دكتورة

فادية عمر الجولاني



التغير الاجتماعي

مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير





التغير الاجتماعي

مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير

تأليف

دكتورة

فادية عمر الجولاني

١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م



دار الاصلاح للطباعة والنشر

ص.ب ٦٣٧١ ـ ت : ٨٣٣٠٣٣٣

المملكة العربية السعودية ـ الدمام

المقـــــــدمة

يعتبر موضوع التغير الاجتماعى من الموضوعات الرئيسية فـــى علم الاجتماع ، وذلك ما جعله ينال من اهتمام المفكرين وعلماء الاجتماع ما لم ينله أى من موضوعات علم الاجتماع الاخرى(١) • واذا كان هذا الاهتمام قد ظهر بوضوح منذ النشأة المبكرة لعلم الاجتماع على يـــد عالم الاجتماع الفرنسى « أوجست كونت » ،ومن واصلوا من بعده مسيرة التفكير السيولوجى من رواد علم الاجتماع ، فان هذا الاهتمام يتزايد اليوم وبشكل ملحوظ بين المحدثين والمعاصرين من علماء الاجتماع ، ومرد ذلك فى أساسه لكون المجتمع البشرى ــ بظواهره ، ونظمه ، وثقافته ، وأعضائه من الجامعات والأفراد ــ يشـــكل الموضوع الأساسى لعلم الاجتماع ، وهو أى المجتمع البشرى يخضع لحالة من التغيير الدائم ، والتى تعتبر سمة أساسية للوجود الاجتماعى ، تلك السمة التى لازمت المجتمع منذ نشأته وحتى الوقت الراهن ، والتى ساعدت المجتمع على بلوغ وضعه الراهن بعد أن مر بمراحل عديدة من التغير ، شملت كافـــة جوانبه الاجتماعية والثقافية والسلوكية •

واذا كان التغير الاجتماعى قد اتسم بالتلقائية والتدرج البطـــىء فى معظم الفترات التاريخية للتطوير ، فانه اليوم وبعد أن حققت البشرية تقدما ثقافيا ملموسا ، يتسم بالغائية والسرعة على كافة أصعدة الحياة الاجتماعية ، وخاصة بعد أن أخذت المجتمعات بسياسات التنمية والتخطيط لدعم عوامل التغير الاجتماعى فى مختلف المجتمعات عامة ، والمجتمعات

---

(١) Boskoff , Alvin , Social Change, Major Problems in the Emergence of Theoretical and Research Foci, in Becker, H. & Boskoff, A., Modern Sociological Theory, New York, Holt, Rinehart, and Winston, 1966. P. 260.

النامية خاصة ، والتى تسعى لتحقيق التقدم بهدف اللحاق بركب المجتمعات المتقدمة فى عالم اليوم وضمان بلوغ المجتمع لوضعه اللائق بين المجتمعات فى عالم الغد .

وقد وصل الاهتمام بقضية التغير الاجتماعى فى علم الاجتماع الى الحد الذى جعل بعض علماء الاجتماع يفردون له مؤلفات بكاملها لمعالجته وتحديد اتجاهاته ، والنظريات التى صيغت حوله من منظورات متعددة ، اضافة لذلك تلك المعالجات التى شملت التغير الاجتماعى فى معظم مؤلفات علم الاجتماع والتى أفردت له فصلا أو بابا خاصا لتحديد مفهومه واتجاهاته ونظرياته ، ولم ينته الأمر عند مجرد معالجة التغير فى حد ذاته ، بل تعدى ذلك عندما اتخذ « روبرت نزبت » من التغير الاجتماعى منظورة لاعادة تحليل النظرية السسيولوجية والكشف عن معالم تطويرها من خلال المعالجات التى استهدفت تحليل التغير الاجتماعى وتقديم التفسيرات النظرية له .

وبذلك تجسدت أهمية التغير كموضوع وكمنظور نظرى فى علم الاجتماع ، الامر الذى جعل موضوع التغير محور اهتمام العديد من الرسائل العلمية ، التى قدمت لدرجتى الماجستير والدكتوراه فى مختلف جامعات العالم ، والتى سعت للتحقق من بعض القضايا النظرية المطروحة حول التغير الاجتماعى ، الأمر الذى وسع دائرة معالجاته من المستوى النظرى الى مستوى البحث والدراسة الواقعية لبعض الانساق الاجتماعية ، للكشف عن معالم تغيرها ، والعوامل التى تعمل وراء هذا التغير . ومما ساعد على دعم الاهتمام بالبحث التطبيقى حول التغير ، سعى المجتمعات لتحقيق التغير عن طريق خطط التنمية وبرامجها التى شملت مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسلوكية ، والتى تخضع فى صياغتها وتوجيهها لسياسات التنمية والاطر الفكرية والتصورية لتلك المجتمعات ، والتى تحدد اختياراتها بالنسبة لتلك الخطط ومشروعاتها .

ومن ثم نفرد هذا الكتاب لمعالجة موضوع التغير الاجتماعى ،

بهدف بلورة الاتجاهات النظرية لفهم التغير من منظور علم الاجتماع ، وموقف النظرية الوظيفية من قضية التغير ، واسسها النظرية والمنهجية لمعالجة التغير وتحليله فى الأنساق الاجتماعية. وبذلك تتسع معالجتنا للتغير الاجتماعى لتشمل المفاهيم المرتبطة به والمسار الفكرى الذى سلكه الحوار النظرى حول التغير الاجتماعى ، وما ارتبط به من توجيه أيدولوجى فى تعيين المفاهيم والقضايا المرتبطة بــه . وتحديد اتجاهاته وابعاده فى المجتمع البشرى : بنماذجه وانساقه المختلفة ، مع التركيز على المنظور الوظيفى واسسه النظرية والمنهجية لفهم التغير الاجتماعى ومعالجته وتحليله فى الانساق الاجتماعية المتغيرة .

وفى ضوء ذلك نعرض لموضوع التغير فى ستة فصول تتكامل مع بعضها فى تقديم الرؤية النظرية للتغير فى النظرية السيولوجية عامة ، ومن منظور النظرية الوظيفية فى علم الاجتماع خاصة : حيث نعالج فى الفصل الاول من الكتاب المفاهيم الاساسية المرتبطة بمفهوم التغير ، وذلك لتحديد العلاقة القائمة بين مفهوم التغير والمفاهيم التقليدية فى علم الاجتماع . مثل : مفهوما التقدم والتطور ، وايضاح مدى تأثير فهم العلاقة القائمة بين تلك المفاهيم الكلاسيكية على فهم العلاقة القائمة بين مفهوم التغير ، والمفاهيم المستحدثة فى النظرية السيولوجية ، مثل : النمو ، والتنمية ، والتحديث ، والتحضر ، والتى ترتبط بمفهوم التغير بشكل واضح فى التراث الفكرى المعاصر لعلم الاجتماع .

ويتناول الفصل الثانى المسار التاريخى والايدولوجى لمعالجات التغير الاجتماعى فى علم الاجتماع ، لاستجلاء طبيعة الحوار الفكرى الكلاسيكى الذى تناول مفهوم التغير ، وما آثاره هذا الحوار من قضايا أولية حول تغير المجتمعات ، وطبيعة العملية الاجتماعية القائمة داخل انساقها ، وذلك وصولا للصورة التى بلغتها الاتجاهات النظرية فى فهم التغير ، ومدى تأثر تلك الاتجاهات فى كل فترة من فترات تطور علم الاجتماع بطبيعة الثقافة السائدة فى المجتمع ، والانتماءات الايديولوجية للمفكرين ، والتى جعلت معالجات التغير عندهم تختلط بالمنحى الايدولوجى

الذى يشير لنظام الأفكار والآراء التى تحدد اختيارهم الأساسى لاسلوب معين ، فى فهم المجتمع البشرى واتجاه تغيره ••

ويعالج الفصل الثالث مدخل النظرية الوظيفية فى دراسة التغير الاجتماعى ، وذلك للتعرف على أبعاد الفهم البنائى الوظيفى للتغير الاجتماعى والمفاهيم والقضايا التى يستند اليها فى تحليله •

أما الفصل الرابع من الكتاب فيتضمن تحليلا للنماذج التصورية لفهم التغير لدى الرواد الوظيفيين ، وذلك لتعيين المفاهيم والقضايا الاساسية التى تنطلق منها تلك النماذج التصورية فى تحليل التغير فى النسق الاجتماعى •

ولذلك تتكامل الفصول الاربعة فى تعيين الاسس النظرية والمنهجية لفهم التغير الاجتماعى فى ضوء النظرية الوظيفية ، والتى يعالجها الفصل الخامس لتحديد المفاهيم الاساسية والقضايا النظرية التى ينطلق منها المنظور البنائى الوظيفى لتحليل التغير الاجتماعى فى النسق من خلال الفروض الاجرائية لتلك القضايا ، والتى تخضع للقياس فى ضوء أسس منهجية معينة تتسق وطبيعة الفهم الوظيفى لمعالجة التغير الاجتماعى •

ثم يأتى الفصل السادس ليقدم لنا نموذجا لمعالجة التغير الاجتماعى اجرائيا فى ضوء المنظور الوظيفى ، بتحديد معالم التحليل البنائى الوظيفى للتغير فى النسق الاجتماعى ، والاسس المنهجية التى ينهض عليها التحليل السسيولوجى والمعطيات المعرفية لهذا التحليل •

وبذلك تتكامل فصول الكتاب فى معالجة التغير الاجتماعى من المنظور السسيولوجى عامة ، ومنظور النظرية الوظيفية فى علم الاجتماع خاصة • وتحديد الأسس النظرية والمنهجية لهذا التوجيه النظرى فى المعالجة التجريبية للتغير ، وتحليل ابعاده وعملياته فى النسق الاجتماعى المتغير ، وصولا لطبيعة ومعالم المعطيات المعرفية التى يتمخض عنها التحليل السسيولوجى لقضية التغير من المنظور الوظيفى •

الفصـــل الأول

المفاهيـــم الاساسية للتغير الاجتماعى

نسعى فى هذا الفصل لمناقشة المحاولات المختلفة التى تناولت مفهوم التغير بالتعريف والتحليل ، وتعيين ملامحه البنائية والوظيفية ، بتحليل العلاقة بينه وبين المفاهيم الأخرى وثيقة الصلة به ، مثل التغـــير الثقافى والتطور والتقدم • وذلك بهدف تعريف التغير الاجتماعى فى ضـــوء العلاقة القائمة بينه وبين مفهومى التحديث والتنمية وذلك ســـعيا منـــا لتشخيص الاسهام الوظيفى للتغير الاجتماعى فى عمليـــة تغيير المجتمـــع وتحضره • ومن ثم نسير فى تحليلنا لهذه المفاهيم وعلاقتها ببعضها فى الخطوات التالية :

التحديد العلمى لمفهوم التغير •

التغير الاجتماعى والثقافى •

التغير الاجتماعى والتطور والتقـــدم •

التغير الاجتماعى والحضرية •

التغير الاجتماعى وقضية التنمية •

التغير الاجتماعى والتحديث •

وذلك ما نتناوله بالتفصيل فيما يلى :

أولا : التحديد العلمى لمفهوم التغير :

اذا كان تحديد المفاهيم تحديدا اجرائيا من السهولة بمكان فى العلوم الطبيعية ، حيث يمكن ملاحظة ظواهرها وقياسها قياسا كميا وتسجيلها تسجيلا موضوعيا • فان ذلك من الصعوبة بمكان بالنسبة لكثير من ظواهر المجتمع • وذلك لأنه قد يختلف المفهوم الاجتماعى Social Concept فى ذاته ، باختلاف المدارس الفكرية والايديولوجيات التى ينتمى اليها • ولهذا يتطلب الأمر عند تحديد المفاهيم الاجتماعية ، الكشف عن الترابطات والتأثيرات المتداخلة لبعض المفاهيم بحيث يمكن الوصول الى الدلالات والابعاد التى جرى الاختلاف على تحديدها بحسب الاتجاهات الفكرية والايديولوجية لبعض المفكرين • وذلك بهدف تثبيت مدلولها فى المعالجة ، وتفادى الصعوبات التى يحتمل ظهورها خلال التحليل [١] • وذلك لأن الخلط بين مصطلحات علم الاجتماع ، على نحو ما أوضح « نيقولا تيماشيف » قد جعل الباحث الواحد يستخدم مصطلحا واحدا للاشارة الى جوانب أو مظاهر مختلفة فى الواقع الاجتماعى • ومن ثم كان من العسير عليه فى أغلب الأحيان أن يقدم تعريفا يمكن استخدامه كأداة لتحديد الظواهر الاجتماعية [٢] •

والتغير الاجتماعى كمفهوم متعارف عليه فى علم الاجتماع ، يعد من السمات التى لازمت الانسانية منذ فجر نشأتها حتى عصرنا الحاضر ، لدرجة أصبح التغير معها احدى السنن المسلم بها ، بل واللازمة لبقاء الجنس البشرى ، والدالة على تفاعل أنماط الحياة على اختلاف أشكالها لتحقق لدينا باستمرار أنماطا وقيما اجتماعية جديدة يشعر فى ظلها

---

(١) د • عبد الباسط حسن : اصول البحث الاجتماعى ، مطبعة لجنة البيان العربى الطبعة الاولى ، سنة ١٩٦٣ ، ص ١٥٤ — ١٦٠ •

(٢) تيماشيف ، نيقولا : نظرية علم الاجتماع ، ترجمة د • محمد عوده وآخرون ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٥٣٥ •

الافراد أن حياتهم متجددة . ولذا يعتبر التغير الاجتماعى من الموضوعات الهامة فى الدراسات الانثروبولوجية الاجتماعية . وقد أنصب الاهتمام حتى أوائل هذا القرن على دراسة النظم فى حالتها الاستاتيكية لوصف مكونات البنـــاء الاجتماعى لمجتمع معين فى فترة زمنية معينة . بقصد ابراز الخصائص الاساسية لهذا البناء . وان كان الانثروبولوجيون قد نظروا للثقافة فى المجتمعات البدائية على أنهـــا ساكنة تماما ، ولا يمكن تغيرها . الا أن الدراسات الانثروبولوجية لتلك المجتمعات البدائية قد كشـــفت عن حدوث التغير فى تلك الثقافات ، وان حدوث تلك التغيرات ببطء هـــو الذى أعطى الاحساس بأنها ثابتة لا تتغير [٣] .

والواقع أن عملية التغير ، ليست مجرد اضافة ميكانيكية أو اقصاء لبعض الانماط والسمات السابقة بطريقة كمية ، وانما هى الى جانـــب ذلك عملية اضافة وتعديل كيفى لمسافات ثقافية مختلفة . فاذا اطـــرد التغير ككل متسلسل كانت نتائجه اضافات لمراحل متتابعة سابقة علـــى التغير ، وهنا تسمى هذه العملية تطورا ، بمعنى أن كل تغير يسير علـــى نهج التغير الذى سبقه . ولهذا تبدو كل التغيرات ذات الطبيعة التطورية على أنها متصلة الحلقات ، الا أن هذا لا ينفى التأثيرات التى تمارسهـــا قوى معينة ذات وجود كامل أو واقع وما قد يترتب عليها من تغـــيرات متلاحقة [٤] . وبذلك يكون للتغير الاجتماعى صلة وثيقة بالتحولات العديدة التى تحدث فى مختلف أنماط الحياة الانسانية . وما دام الانسان مخلوقا اجتماعيا ، كان للتغير أبعاده الانسانية . وذلك لأن كل تغير فى المجتمع ينعكس أثره على الانسان بالضرورة . وعند دراســـة التغيير فى مجتمع ما ، لا يجوز أن ندرسه من خلال فترة قصيرة نســـبيا ،

---

(٣) Koenig, Samuel : Sociology An Introduction to the Science of Society : Barnes and Noble , New York, 1964 pp. 279 — 280.

(٤) Nordskog : Jonn Eric : Social Change : Now York, Toronto, London, p. 42.

وانما يجب أن يكون المدى الزمنى متضمنا لعدة أجيـــال حتى يمكن الوقوف على نتائج التغير بصورة ملموسة •

والواقع أن دراسة النظريات فى علم الاجتماع وعلم الانثروبولوجيا (علم الاجتماع المقارن) شرط ضرورى لنمو المعرفة السسيولوجية التى تمكننا من استقراء الواقع وتحليل العلاقات والنظم والانساق والظواهر • وتفسير الانماط الثقافية والتفاعلات والتأثيرات المتبادلة فيما بينها • وبدون دراسة النظرية تبقى دراستنا واستقراءاتنا وتحليلاتنا سطحيـــة ، ووصفية ، فضفاضة لا تحدها حدود ولا تقويها نظرية •

ولقد تباينت النظريات فى تناولها لمفهوم التغير وازداد هذا التباين بين مختلف المفكرين على امتداد حقبة من الزمن • فابن خلدون مثلا يعتبر من أوائل المفكرين الذين أدركوا أهمية النظرة الدينامية للمجتمع • وذلك ما تكشف عنه محاولاته لتحليل الحياة فى المجتمع البدوى ، ومقارنتهـــا بالحياة فى المجتمع القروى للوقوف على مدى التغير الذى لحق بالمجتمـــع البدوى ؛ وصبغة بالصبغة الحضارية[٥] •

وتدل كلمة « تغير » فى اللغة العربية على معنى التحول والتبدل • فتغير الشىء هو تحول وتبدل هذا الشىء بغيره ، كمـــا أنهـــا تعنـــى الاشياء واختلافها [٦] • ويشير المصطلح Change فى اللغةالانجليزية أيضا الى معنى الاختلاف فى أى شىء يمكن ملاحظته فى فترة زمنيـــة معينه [٧] •

ويفسر مفهوم التغير من وجهة النظر الفلسفية بأنه « ارادة معينة

---

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ص ١٢ •

(٦) المنجد فى اللغة والآداب والعلوم : المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، عام ١٩٥٦ ، ص ٦ •

(٧) Lundberg, G. A. & Others : Sociology, Harper and Brothers 3 , N. Y 1963 p. 675.

تعنى بدورها فعلا ، وسواء أكان هـذا الفعل ضئيلا أو جسـيما فهو تغير » • فكل ارادة اذن فى معناها الفلسفى فعل ، وكل فعل حركة • ولذا فان القول « بارادة التغير » يوضح الارادة ، اذ يكفى أن نقول عـن الانسان أنه انسان ، لنفهم من ذلك أنه وحدة عضوية هادفة ، وانـه فى سيره نحو أهدافه كائن عاقل ، وانه فى ارادته فاعـل ، وانـه متحرك ومحرك ومتغير ومغير (٨) •

ومن ثم كان التغير الاجتماعى من أهم الموضوعات التى جذبـت أنظار واهتمام علماء الاجتماع ، والذين تنوعت اتجاهاتهم فى الدراسة وتعددت آراؤهم ، وانتهج كل منهم أسلوبا معينا فى تفسيره لهـذه الظاهرة • فالتغير يعنى فى حد ذاته أنه ظاهرة طبيعية تخضع لها مظاهـر الكون وشئون الحياة بالاجمال ، وهو من أكثر مظاهر الحياة الاجتماعية وضوحا • فالتغير يشمل البيئتين الخارجية والاجتماعية على السـواء(٩) • والمقصود بالبيئة هنا الأرض باطنها وظاهرها ، أما البيئة الاجتماعية فتشمل مظاهر التراث الاجتماعى ، وما يتضمنه من عادات وعرف وتقاليد وقوانين ومظاهر ثقافية ، وروحية تتمثل فى الفلسفات والعلوم والفنون والآثار والآداب • والمظاهر الحضارية التى تتمثل فى انجازات الانسان العلميـة والأدوات التى تدل على مهارته وذكائه ، والتى تعتبر وليدة الحاجـة الاجتماعية (١٠) • والواقـع أن جميع الثقافات تتسـم بالتغير ، الا أن معدل هذا التغير يختلف فيما بين المجتمعات البسيطة والمعقدة • وذلك لأن التغير يحدث فى المجتمعات الأولى بخطى بطيئة •

---

(٨) زكى نجيب محمود : ارادة التغير ، الفكر المعاصر ، العدد الخامس ، يوليو عام ١٩٦٥ ، ص ١٠ •

(٩) Koeing. Samuel : Sociology , An Introduction to the Science of Socity , Op. cit p. 279.

(١٠) د. مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الثانى ، دار البيان العربى ، القاهرة ، عام ١٩٦٥ • ص ٣٩٤ •

وبذلك تكون ظاهرة التغير الاجتماعى ملازمة للمجتمع البشرى • وفى ذلك يقول « ولبرت مور » أن ظاهرة التغير الاجتماعى ليست ظاهرة حديثة ، اذ أن هناك درجات وأنواعا من التغير حدثت فى الخبرة الانسانية، ولكن الاهتمام بالتغير وسرعته يرجع الى السرعة التى حدثت بها فى تلك المجتمعات [11] • من ثم ذهب « لندبرج » الى أن ظاهرة التغير تحدث فى كل مكان وفى كل زمان ، ولذا يمثل التغير عنده الاختلافات التى تطرأ على ظاهرة اجتماعية خلال فترة زمنية معينة ، والتى يمكن ملاحظتها وتقديرهـا وهى تحدث بفعل عوامل خارجية وداخلية مثل اكتشاف موارد الثروة أو الهجرة أو نشر التعليم [12] • وقد عرف « جينزبرج » التغير الاجتماعى بأنه التغير الذى يحدث فى طبيعة البناء الاجتماعى مثل زيادة أو تناقص حجم المجتمع أو فى النظم والأجهـزة الاجتماعية أو التغيرات اللغوية وكذلك يشمل المصطلح التغيرات فى المعتقدات والمواقف • وبذلك يعنى التغير الاجتماعى كل تحول يحدث فى النظم والانساق والاجهزةالاجتماعية سواء كان ذلك من الناحية المورفولوجية أو الفيزيولوجية خلال فترة زمنية محددة •

وقد اختلف العلماء فى تحديد أسباب التغير ودرجات الاختلافـات الناجمة فى أجزاء المجتمع ، من حيث كونها عواملداخلية أو خارجية • ولهذا ظهرت عدة نظريات لتفسير التغير الاجتماعى على أساس اقتصادى ، أو دينى ، أو ثقافى ، أو تكنولوجى ، أو نفسى • فذهب كـارل ماركس Marks الى أن التغير الاجتماعى يرتبط فى أساسه بالعـامل الاقتصادى باعتباره المحرك الأساسى لكل عملية تغير ، والتى تؤدى بدورها الى تغيرات متعاقبة فى بقية نواحى المجتمع • أما « ماكس فيبر » Max Weber فقد أرجع سبب التغير الاجتماعى الى العامـل الدينى باعتباره المحرك الأساسى للتغير ، وذلك لأن التغيرات التى تحدث

(11) Moore, E. Wilbert : Social Change , Printic Hall of India Private Ltd. New Delhi., 1965 p. 1.

(12) Lundberg, G. and Others, Sociology : Op . cit ., p. 670.

فى المجتمع تفصح عن نفسها فى سلوك الانسان ومظاهر ثقافتـــه مما يدل على أن التغير الاجتماعى ينطوى بالضرورة على تغيرات ثقافيـــة وحضـــارية (١٣) • أما « أجبرن » فقد ركز على العـــامل التكنولوجى والاختراعات ، ثم أكد « سروكن » على الجوانب اللامادية من الثقافـــة فى تفسير التغير •

وقد استعمل اصطلاح التغير الاجتماعى من قبيل علماء الاجتماع للتعبير عن ظاهرة التحول والنمو والتكامل والتكيف والملاءمة ، ممـــا دفـــع هؤلاء العلماء الى استخدام مفهوم التغير الاجتماعى على أنـــه لا يوحـــى باحكام تقويمه عما هو أفضل وما هو سيىء ، أو ما هو خير ، وما هـــو شر • ولكن يقرر الواقع المجرد كما هو فعلا فى المجتمع(١٤) •

وينظر «فيرتشيلد» Fairchilb للتغير على أنه أى تغير يعترى العمليات الاجتماعية أو النظم الاجتماعية ، أو التكوينات الاجتماعية • وقد يكون التغير تقدميا أو تأخريا ثابتا أو مؤقتا ، مخططا أو غير مخطط ، موجها أو غير موجه ، مفيدا أو ضارا (١٥) • كما يعرف « كينجزلى ديفز » Kingsly Davis التغير بأنه كل تغير فى التنظيم الاجتماعى سواء فى تركيبه أو فى وظائفه (١٦) • أما « مالينوفسكى » ، فيشير للتغير منذ البداية بأنه العملية التى يتحول بها نظام المجتمع من نموذج الى آخر • أما عملية التغير عند هربرت سبنسر ، فتشير لانتقال المجتمع من حالـــه يسودها التجانس الى حالة اللاتجانس • وقد حاول والترباجـــوت W. Baghot تفسير تغير المجتمع من خلال السلوك المألـــوف

---

(١٣) د • احمد أبو زيد • البناء الاجتماعى : الدار القومية للطباعـــة والنشر ، سنة ١٩٦٥ ص ٢٥٣ •

(١٤) د • محيى الدين صابر : التغير الحضارى وتنمية المجتمع ،ص٧٣•

(١٥) Fairchild, H.p : Dictionary of Sociology & Related Sciences Little Field, Adams & Co., New york, 1959 p. 277.

(١٦) Kingsly Davis, Human Society Macmillan Co. New york, 1950 p 622.

والعناصر الداخلية التى تتصارع معه ، ورغم هـذا يعتبر الصراع ظاهرة أساسية فى عملية التطوير • كما أضاف اليه « جيمبولبز » L. Gumplouiz ضرورة ربط الصراع بالجماعات باعتبارها مصدرا للشـعور والأخلاق وبالرجوع الى العلامة «هوبهاوس» Hobhouse نجد أنه لـم يتعرض صراحة لوضع مفهوم محدد للتغير الاجتماعى ، اذ أنه اهتم بتحليل المفهوم أكثر من تحديده ، واعتبر ان الزيادة فى المعرفة تدفـع بالمجتمعات لانشاء تنظيمات أكثر كفاءة وعلى نطاق واسـع وان كانـت تلك التنظيمات قد خضعت للسيطرة فى مراحلها الاولى ، الا أنهـا تمتعت بالحرية فى المراحل المتقدمة (١٧) •

ويعد كتاب « التغير الاجتماعى » لـ وليم أوجبرن Ogburn عام ١٩٢٢ ، أول كتاب فى العصر الحديث ، حيث أعطى فيه أهميـة كبرى للاختراعات فى عملية احداث التغير الاجتماعى • ولم يكـن تحديده لمفهوم التغير واضحا بالقدر الذى يميزه عن مفهوم التطـور ، فنراه ينظر للتغيرات التى تحدث فى المجتمع وكأنها صـورة للتطور ، اذ يذهب الى أن دراسة التغيرات فى الثقافة أفضل من دراسة التغيرات فى المجتمع ، وذلك لأن أثر العامل التكنولوجى والاختراعات أكثـر وضوحا (١٨) • أما جون لويس جيلين J. Gillin وجون فيليب جيلين فيذهبان الى أن التغير الاجتماعى يعنى التحول من أنماط الحيـاة المقبولة سواء كان هذا (التحول) راجعا للتبدل فى الظروف الجغرافيـة أو الاجهزة الثقافية أو التركيب السكانى أو الايدولوجيات • أو أن هـذا التحول قد جاءت به أفكار الابتكاريين (١٩) • كما أن روجرز Rogers

---

(١٧) Hobhouse, 1. T : Social Developmeny and Social Change, Application Century Craff, New . York, 1957 p. 65.

(١٨) Ogburn & Nimkoff :Technology and Social Change, Application Century Craff , New York. 1957 p. 65.

(١٩) Rogers Evereh. M : Social Change in Rural Society Applenton - Century , Craffs . Inc . New , York 1960 p . 1.

يذهب الى أن كلمة تغير Change تعنى أية اختلافات يمكن أن نلاحظها خلال فترة من الزمن • أما كلمة اجتماعى فتشير للانسان وعــلاقاته بالآخرين • وبذلك يكون التغير الاجتماعى فى نظره عملية مستمرة خــلال فترة من الزمن تطرأ فيها اختلافات على العلاقات البشرية [٢٠] • وبذلك يعنى التغير الاجتماعى كل تحول فى النظم والانساق والاجهزة الاجتماعية سواء أكان ذلك فى البناء أو الوظيفة • ولــما كانت النظم فى المجتمع متكاملة بنائيا ومتساندة وظيفيا ، فان أى تغير يحدث فى ظاهره لا بد وان يؤدى الى سلسلة من التغيرات الفرعية التى تصيب معظم جوانب الحيـــاة بدرجات متفاوته [٢١] •

وبذلك تبلور مفهوم التغير الاجتماعى نتيجة للاحساس بالتخلــف والعمل على تغير أوضاع معينة ، ونظم معينة ، واقرار قيم ومعايير جديدة تتسق وطبيعة هذه الأوضاع المستحدثة ولو كان التغير مفاجئا ما ترسبت تلك القيم فى تكوين الافراد الاجتماعى ، وما تعرض افراد المجتمع لصراع داخلى شديد بين تراثهم الأصيل والأوضاع الجديدة التى جاء بهـــا التغير الاجتماعى • واذا كنا قد أخذنا مفهوم التغير الاجتماعى على أنـــه تغير للمناشط الاجتماعية لرفع كفاءتها ومقدرتها وفاعليتها بما يجعلها على مستوى الدور الوظيفى المطلوب منها ، فقد بات ضروريا شمول خطط التغير الاجتماعى فى الدول النامية للوسائل الايجابية والسلبية • وان كانت فكرة التغير فى المجتمع ظلت مهملة الى وقت طويل ، فذلك يرجـــع للاعتقاد الذى كان سائدا عن ثبات واستقرار الانساق الاجتماعيـــة ، وحتى عندما اهتم علماء الاجتماع والانثروبولوجيا بدراستها كانـــوا يعتبرون التغير شـــيئا استثنائيا أو عارضا • وان عوامل التغير تؤدى

---

(٢٠) Gillin, John Lewis , & Gillin, Jonn. Philips : An Introduction to Sociology, The Macmillan Company, Canade 1942 p. 482.

(٢١) د • مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع ، مكتبة الانجلو المصرية ؛ القاهرة عام ١٩٦٧ • ص ١١٩ •

لعوامل مختلفة ، ومن ثم تتوقف فاعلية هذه العوامل على مدى تأثيرها فى عملية التغير من مرحلة الى آخرى . واستخدام عملية التغير على هــذا النحو لا ينفى ارتباطها بفكرة البناء الاجتماعى والوظيفة . اذ أن العملية والوظيفة والبناء مراحل ثلاث يجمعها اطار فكرى واحـــد يساعد على تفسير الحياة الاجتماعية وتحديد أبعادها ، ومظاهـــر تغيرها .

ومن ثم يتجه المفكرون اتجاهات مختلفة عند حصر عوامل التغير[٢٢] . وذلك لأن العوامل التى تدفع بعملية التغير كثيرة ومتعددة ، وأن آثارها تختلف باختـــلاف المجتمعات وباختلاف الزمان ، بحيث لا يمكن تعميـــم أى منها على كل المجتمعات كعامل فريد ، واذا كانت الدول الناميـــة تأخذ بأسباب التنمية الاقتصادية والاجتماعية بما يرفع من دخلهـــا القومى ويزيد من متوسط دخل الفرد بها . فان دعم هـــذا الهـــدف يجعلها تراعى كافة العوامل التى ترتبط بالتنمية من قريب أو بعيد . وذلك لأن التغيرات التى تحدث فى النظم والمعايير والقانون تؤدى الـــى احداث تغيرات فى السلوك . ولهذا يحاول الانسان تغيير طباعه وانماط سلوكه بما يتفق مع التغيرات التى تحدث فى عناصر الثقافة ، وذلك لأن الطبيعة الانسانية قابلة للتغير[٢٣] . وذلك ما يمكن أن نشاهده بـــين الجماعات المختلفة داخل المجتمع الواحد . وخاصة اذا ما احتوى هذا المجتمع على عدد من الثقافات الفرعية والمعزولة ، حيث توجد جماعـــات تتمسك بقيمها التقليدية ولا تخضع نفسها للتغير والتى تختلف نســـبة تغيرها عن الأخرى فى المجتمع الواحد طبقا للجنس أو السن أو مختلف الوحدات الاجتماعية الأخرى . ومن ثم تكون الخطوة الأولى فى فهـــم التغير الاجتماعى ، هى فهم ظواهر الدوام والاتصال . أما الخطـــوة

---

(٢٢) Hawlly , A. M : Human Ecology a Theory of Community Structure, The Ronald Press Co . New York, 1950. p. 3.

(٢٣) Nordskog , J. E : Social Change , lnc New York, Toronto, London, 1960 p. 94.

الثانية ، فتتمثل فى التحليل المقارن لنموذجين مختلفين من حيث التغيرات التى طرأت عليهما . ومن ثم ذهب « راد كليف براون » R. C. Brown الى ان كلمة التغير (وبصورة أخص العملية) كلمة غامضة فى علاقتها بالمجتمع .

ولهذا يشير التغير فى علم الاجتماع للاختلافات التى يمكن ملاحظتها فى البناء الاجتماعى ، ووظائف عناصره . ومن ثم صيغت نظريات التغير المبكرة من الأفكار التطورية التى ميزت الفكر الاجتماعى فى القرن التاسع عشر ، واوائل القرن العشرين ، حيث تصور أوجست كونت تغير المجتمع البشرى بناء على تطور العقل الانسانى (٢٤) .

ولما كان للتغير هذه الطبيعة الانسانية ، فقد أصبح ضروريا أن ندرسه خلال فترة طويلة نسبيا بحيث يكون المدى الزمنى متضمنا لأجيال عديدة حتى يمكن الوقوف على نتائج التغير بصورة ملموسة . وقد كان هناك خلطا واضحا كاد أن يشمل أغلب النظريات السسيولوجية حول مفاهيم التقدم والتطور والتنمية والتحضر ومفهوم التغير ، حتى بلغ فى بعض الاحيان ربطها فى مفهوم واحد ، حتى كادت تظهر فى بعض الأحيان وكأنها مصطلحات مترادفة وترتبط ببعضها ارتباطا منطقيا (٢٥) . ومن ثم تناولنا هذه المفاهيم لتحديدها وازالة هذا الخلط والالتباس القائم بينها، لأن ظهورها واستخدامها كأدوات لتحليل المجتمع البشرى تأثرت بآراء العلماء واتجاهاتهم الفكرية فالتقدم والتطور مثلا حددا بشكل تلقائى ليعبر عن طبيعة النظريات العلمية ، فكانت فكره التقدم تؤخذ مقياسا فلسفيا وحكما قيميا يرتبط برغبة الفيلسوف فى تقدم المجتمع ثم ظهرت فكرة التطور بعدها لتكون أكثر موضوعية من سابقتها ، وان كانت قد تأثرت الى حد كبير بالمشابهة بين نمو الكائن الحى ، ونمو المجتمع . ولذا

---

(٢٤) زكى نجيب محمود : ارادة التغير ، الفكر المعاصر ، العدد الخامس ، يوليو عام ١٩٦٥ ، ص ١٠ .

(٢٥) Giezerman, Griogary : The Laws of Social Development. Translated From Russian by Saifulin Foreign Language, Puplishing House, Moscow. pp. 184 - 185.

تمثل الى حد ما الجانب الوصفى لفلسفة التقدم • ومن ثم شـــاع استخدامها الى الحد الذى اثرت فيــه على الجوانب الاجتماعيـــة والحضارية • ومن ثم بدأ مفهوم التغير يعبر عن مراحل انتقال المجتمعات سواء آكانت الى الأمام أو الوراء ، وهو يختلف عن التقدم الذى يعنى التقدم الى الامام • فالتغير الاجتماعى يكون دائما الى الأحسن ، ولـــذا يعتبر التغير الاجتماعى آهم من اصطلاحى التطور الاجتماعى ، والتقدم الاجتماعى ، لأنه يشملها • فالتغير يتطلب فى ميدان الحياة الاجتماعية عاملا أساسيا : وهو ضرورة اتسام الأفراد بالمرونة والحراك الاجتماعى ، لأنهم اذا وقفوا جامدين ولم يستغلوا ما ترتب على التغير الاجتماعى من أوضاع غلبوا على أمرهم والتمسوا القرار من ضغط البيئة • ولذلك يجب أن يكون الأفراد أدوات حية وعناصر مرنة طيعة تستجيب فى سهولة ويسر لدواعى التغير حتى يمكنهم مسايرة ركب الحضارة وملاحقة عملية الارتقـــاء(٢٦) • ولهذا يقتضى الارتكاز على المعرفة العلمية والتفكير الواعى المخطط بمـــا يمكن من دعم عناصر الايجابية لدى الطاقات البشرية وتخليصها من عناصر السلبية •

ومن التحليل السابق يتضح وجود خلط كبير بين نظرة المفكرين للمفاهيم الثلاثة : التغير الاجتماعى ، والتقدم الاجتماعى ، والتطـــور الاجتماعى • حيث استخدم بعضها بما تعنيه المفاهيم الأخرى ، رغم مابينها من اختلاف ، وان ظاهره التغير فى المجتمع استأثرت باهتمام الكثير من علماء الاجتماع فدرسها على أنها تقدم وانتقال بهذا الاتجاه عدد من علماء الاجتماع ، فتناولوا التغير وطبقوه على الانسانية متصورين أن هـــذا التغير هو تطور تقدمى ارتقائى مصحوب بتحسين مطرد ••• وهـــكذا حاولوا الوصول الى القوانين التطورية العامة لحركة الانسانية فـــى عموميتها (٢٧) •

---

(٢٦) د • مصطفى الخشاب : دعائم علم الاجتماع وحقائقه ، مطبعـــة لجنة البيان العربى ، الطبعة الثانية ، عام ١٩٥٦ ، ص ٢٥١ •

(٢٧) د • مصطفى الخشاب : تاريخ التفكير الاجتمـــاعى وتطـــوره ، مطبعة لجنة البيان العربى الطبعة الاولى ، عام ١٩٥٤ ، ص ١٠٦ •

ومن ثم نجد التغير الاجتماعى عملية مستمرة نخضع لها بيئة الفرد الاجتماعية الخارجية والداخلية على السواء ، وتؤدى الى بعض العمليات المجمعة والمنفرة وتتطلب ضرورة تكيف الأفراد ومرونتهم وحراكهم الاجتماعى وفقا لما يتطلبه التغير من مستحدثات ومستلزمات • فكل ما فى المجتمع من مظاهره المادية والروحية والجغرافية والاجتماعية من تقدم أو نكوص ، من قبيل التغير الاجتماعى ، وهو أحد مظاهر الطبيعة الدينامية للمجتمع • ولما كان للتغير الاجتماعى بعض مظاهره الدينامية ، كما له جوانبه البنائية ، فقد بدأ العلماء يناقشون مضمون التغيرالاجتماعى باعتباره أحد الظواهر البارزة فى اطار المجتمعات ، وعلى أنه العملية التى تحدث نتيجة لتحولات فى اطار بناء ووظيفة النسق الاجتماعى • ومن ثم تقوم سياسة التغير الاجتماعى على أسس الاستخدام المثمر والمفيد لطاقات الناس ، فهو عبارة عن عملية للنمو والنهوض ، تستند الى العمل الاجتماعى عن طريق التعلم والتدريب حيث ينظم الناس أنفسهم أو يعدون نشاطهم للتخطيط والتنفيذ وفق احتياجاتهم ، وبما يحل مشكلاتهم • اذ أن نجاح التغير يتوقف الى حد بعيد على درجة النمو العقلى للموارد البشرية ، وعلى مدى استخدام الاسلوب العلمى فى الدراسة والبحوث • والملاحظ أن سرعة التغير الاجتماعى لا تتعارض مع كون الظواهر الاجتماعية تسير وفقا لقوانين ثابتة من الممكن اكتشافها والوصول اليها • ومن ثم لا ينبغى أن يصرفنا التغير الاجتماعى عن البحث العلمى ، بل يجب أن يحفزنا الى ابتداع طرق وأساليب متنوعة تختلف عن الطرق والأساليب التى يستعان بها فى دراسة المجتمعات المتقدمة نسبيا •

والتغير الذى يهم الباحث يتمثل فى أن دلالات الدينامية كثيرة ، وتلاحظ فى جميع الظواهر البشرية التى يهتم بدراستها الباحث • ففى كل مجتمع ندرسه نعثر على ظواهر تتعلق بالمكانات والادوار والقيم التى توجهها وتنظمها والعلاقات التى تنتج عنها • ولا شك أن هذه العمومية

لأساسيات الحياة الاجماعية هى المبرر الذى يجعل الباحث يدخل فى دراسة تغيرها فى نطاق البحث العلمى المنظم .

ولما كان التغير الحقيقى يتمثل فى حالات اقبال نسبة من أفراد المجتمع على مركبات حضارية مادية أو معنوية جديدة وتبنيهم ، واستعمالهم لها باستمرار ، وبشكل يجعل سلوكهم الجديد مختلفا من النواحى القيمية والنفسية ، فان التغير الذى نهتم بدراسته ليس التغير العادى الرتيب الذى لا ينبثق عنه انتقالات حضارية ، ولكنه التغير الذى يظهر كشيىء غير مألوف والذى يؤدى الى ظهور انماط جديدة ، تترتب عليها نتائج اجتماعية ونفسية عميقة .

* * *

ثانيا — التغير الاجتماعى والثقافى :

١ — مضمون التغير الثقافى :

يعتبر التغير الثقافى أحد مصادر التغير الاجتماعى ، وذلك ما توصى بـه غالبية الدراسات التى تناولت التغير تقريبا ، وذلك لأن مسألة الثقافة تشغل جانبا حيويا فى دراسة علم الاجتماع الحديث ، على الرغم من محاولة بعض العلماء أمثال ربرت ماكيفر فى الأربعينات من هذا القرن للتفريق بين اهتمامات علم الاجتماع واهتمامات الانثروبولوجيا ، باعتبار الثقافة من أكثر الموضوعات اتصالا بمهومات الانثروبولوجيا . فدراسات التغير تهتم بمسألة تأثير التكنولوجيا على نسق اجتماعى محدد ، كالأسرة وعلاقة ذلك بفاعلية التغير الثقافى . اذن فثقافة أى أمة من الأمم تتضمن وجهة نظر كل فرد فيها وموقفه من المعايير الثقافية التى تحكم السلوك الفردى ، والعلاقات الاجتماعية وموقفه من الدولة ومن غيره من الناس ، واتجاهه الفكرى نحو الأسرة ، ومن ثم يمكن تعريف الثقافة بأنها كل معقد يحوى المعارف والمعتقدات،

الفنون والاخلاق ، القانون والعادات ، وكل ما يكتسبه الانســــان كعضو فى المجتمع •

وان كانت بعض المجتمعات تتشابه فى كثير من السمات الا أن ثقافة كل منهــا ككل ذات شخصية فريدة غير متكررة ، وتعبر الثقافــة عن تفرد واضح ، الا أنــه لا توجد فى العالم ثقافة تعتبر وحدة متكاملة فى ذاتها ، اذ أن كل ثقافة تستفيد من غيرها • وقد اصبح معروفا ان الاستعارة الثقافية والانتشار الثقافى ، ظاهرتان تميزان كل الثقافــات• فالثقافة وحدة دينامية وظيفية ، وان السمات العديدة التى تتكون منهــا متساندة ولا تعمل أى سمة ثقافية منها مستقلة عن غيرها من ســـمات الثقافة بل تتأثر كل منها بأى تغير يطرأ على أحد وجوه الثقافة •

ومن طبيعة الثقافة امكانية حفظها وتراكمها كما أنها تتمتع الــى حد ما بخاصيه الثبات والاستقرار ، وذلك لأن الثقافة ليست من صنــع فرد واحد أو جيل واحد ، وانما هى نتاج لتراكم معرفة أجيال متتالية • فكثير من عناصر الثقافة ترجع الى عصر ما قبل التاريخ (٢٨) •

ومن أهم الشروط لحدوث التغير اجتماعى ، تراكم الســـمات الاجتماعية الثقافية ، والتى ترتبط ببعضها مكونة خبرات ثقافية واجتماعية جديدة • ولذا يرجع كثير من العلماء وعلى رأســهم وليــم أجبــرن William Ogburn التغير الاجتماعى الى الاختراعات • وكلمة اختراع هنا لا تعنى الأشياء المادية فقط ، بل تتضــمن أيضــا الاختــراعات الاجتماعيــة •

ولذا نجد أن المجتمعات الانسانية دائمة التحول والتطور والتقدم ، وهذه المفاهيم الثلاثة هى ما نعنيه بمضمون التغير الثقافى الاجتماعى Socio - Culture Change الذى يشير الى ذلك الكل المعقد النامى الذى

(٢٨) Biesanz, John and others : Modern Society Prentic Hall New York, 1954 p. 47.

يحتوى على مظاهر مختلفة بحيث يمكن لكل مظهر منها أن يكون موضوعـا لدراسة اجتماعية ديناميكية • وقد استخدم العلماء مصطلح « التغـير الثقافى الاجتماعى » بقصد البعد عن أى اعتقاد من الاعتقادات التى احتوتها مفاهيم التطور والتقدم ، وقد تضمن مفهوم التطور الاجتماعـى Social Evolution اعتقادا بالمراحل المتتابعة والمحتمة للنمو المبنى أساسا على المحددات البيولوجية • كما تتضمن أيضا مفهوم التقــدم الاجتماعى Social Progress اعتقادا مستندا على الاخلاقيات السائدة[٢٩] •

ولا يقوم التمييز الحاد بين التغير الاجتماعى والتغير الثقافى على أساس أن المجتمع أو العناصر البشرية فيه تكون مجموعات من العلاقات المتبادلة أو نماذج من التفاعل الاجتماعى بغرض تحقيق أهـداف مشتركة لا يمكن أن تتجزأ الا عن طريق ما يصطلح عليه من أدوات واشـياء مادية وما ينبثق عنه من أساليب للضبط والنظم الاجتماعية • فالثقافـة بمظاهرها المادية والفكرية ثمرة هذه العلاقات الاجتماعية ، كما أن الاتصال متمثل فى شبكة غاية فى التعقيد ، الا أنه يعبر عن حدة منطقية بينهما ، وضرورة يفرضها الواقع الاجتماعى • ولذا يكون الفصل بين ما هـو ثقافى وما هو اجتماعى بهدف التفسير فى المقام الأول ، شأن الفصل المؤقت الذى يتم فى دراسة النظم الاجتماعية ومظاهرها المـادية وانساقهـا الفكرية ، رغم ما بينهما من اتصال حتمى ، وتأثير متبادل تفرضه الوحدة البنائية فى المجتمع ، والمؤلفة من أجزاء (جماعات وعلاقات) متفاعلة ومتداخلة بحيث لا يمكن لأى جزء منها أن يكون بعيدا عن بقية الأجزاء الأخرى •

ويهتم علماء الثقافة بدراسة التغير الثقافى الذى يتمثل فى تغـير الثقافة المـادية • والمقصود بالثقافة المـادية كل ما يصنعه الانسان فى حياته العامة وكل ما ينتجه العمل البشرى من أشياء ملموسة ، وكل مـا

---

(٢٩) Ogburn, W : Social Change : in the Encyclopedia of the Social Sciences New York, 1963 Vol. 3 p. 330.

يحصل عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم التكنولوجية • أما الثقافة اللامادية ، فتشمل مظاهر السلوك التى تتمثل فى العادات والتقاليد ، والتى تعبر عن المثل والقيم والافكار والمعتقدات • بينما يرى علماء الاجتماع والانثروبولوجيا الذين ينتهجون نهجا بنائيا فى نظرتهم ودراستهم للمجتمع • والباحث الجاد المدقق لا يجب أن يقف عند هذا الحد ، وانما يجب أن يتخطاه الى دراسة التغيرات التى تطرأ على النظم الاجتماعية ، وعلى البناء الاجتماعى ذاته • أى أن المهم فى نظرهم هو دراسة التغير الاجتماعى ، اذا كان علماء الثقافة يثقون بما يسمونه الاحتكاك الثقافى ويعتبرونه السبب الأول فى تغير الثقافات ، وبخاصة ثقافة الشعوب المتأخرة والمتخلفة • فالاحتكاك والتفاعل لا يحدثان فى واقع الأمر بين الثقافات ، وانما بين الأفراد والجماعات [٣٠] داخل بناء اجتماعى محدد يمر أيضا بعملية تغير •

وقد اهتم الانثروبولوجيون بدراسة التغير الثقافى،وشكل اهتمامهم به هدفا أساسيا سواء فى مجال العمل الميدانى أو النظرية على أن دراستهم قامت على أساس مجموعة من النظم الاجتماعية • ويعتبر الاحتكاك الثقافى فى نظر العلماء المعاصرين الوسيلة الفعالة للتغير الثقافى • وكلما طالت فترة الاحتكاك الثقافى بين أى مجتمعين أو جماعتين وتنوعت مظاهر وفرص الاتصال بينهما ، زادت الاستعارات الثقافية حدة •

وتحتوى ظاهرة الانتشار الثقافى على عمليات ثلاثة ، هى :

١ ـ نقل العنصر أو العناصر الثقافية من مكان الى آخر •

٢ ـ قبول هذا العنصر بواسطة جماعة أو مجتمع معين •

٣ ـ توافق العنصر أو العناصر المنقولة والمقبولة مع عناصر الثقافة السائدة فى تلك الجماعة أو فى ذلك المجتمع [٣١] •

---

(٣٠) د • أبو زيد : البناء الاجتماعى ، الجزء الاول ، ص ٢٧٤ •

(٣١) د • أحمد الخشاب : دراسات انثروبولوجية ، دار المعارف • القاهرة ، عام ١٩٧٠ ، ص ٧٢ •

ويعتبر التغير الثقافى أحد المصادر الأساسية للتغير الاجتماعى وذلك ما توضحه دراسات التغير بوضوح • وذلك لأن مسألة التغير الثقافى تشغل جانبا حيويا فى دراسة علم الاجتماع الحديث ، على الرغم من محاولة بعض العلماء أمثال : روبرت ماكيفر للتفريق بين اهتمامات علم الاجتماع واهتمامات الانثروبولوجية باعتبار الثقافة من أكثر الموضوعات اتصالا بمفهومات الانثروبولوجيا • ومن ثم نجد أن دارس التغير اذا ما اهتم بتأثيرات التكنولوجيا على نسق اجتماعى محدد ، كالاسرة لا بد أن يعرض للتغير الثقافى ودوره فى التغير الاجتماعى بوجه عام ، نظرا لأن التكنولوجيا ومميزاتها تعتبر نتاجا ثقافيا تشير لجهودات الانسان العلمية والفنية التى ينميها باستمرار بالتفاعل مع البيئة •

ومن ثم يؤخذ التغير الاجتماعى على أنه التعديلات التى تحدث فى أنماط الحياة فى مجتمع معين ، أو فى شعب من الشعوب • وهذه التعديلات تنتج من عوامل كثيرة متعددة داخلية أو خارجية • ولذا يتخذ التغير أكثر من شكل فقد يكون تغيرا فى السلوك الاجتماعى الصادر عن الأشخاص ، الذين يعيشون فى ذلك المجتمع ، وقد يكون تغيرا فى المجتمع نفسه ، وقد ينشأ عن ذلك ما يسمى بالتغير الاجتماعى والتغير الثقافى ، وذلك على الرغم من أن التغيرات التى تحدث فى المجتمع تفصح عن نفسها فى سلوك الناس ، – أى فى مظاهر الثقافة – وما يعنيه التغير الاجتماعى ليس بالضرورة التغير الثقافى ، وان كان يرتبط به ارتباطا وثيقا (٣٢) •

٢ – مفهوم الثقافة :

وضعت كثير من التعريفات للثقافة ، غير أنه يمكن القول بأن التعريف الكلاسيكى الذى وضعه تايلور فى مطلع كتابه عن الثقافة

(٣٢) جون أرك ، فورد سكوج : التغير الاجتماعى ، ترجمة د . محمد خيرى محمد على ، وزارة الشئون الاجتماعية ، الادارة العامة للتدريب ، عام ١٩٦٩ ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

البدائية يشير الى أن الثقافة أو الحضارة بمعناها الاثنوجرافى الواسع هى ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل المقدسات والعادات الأخرى التى يكتسبها الانسان من حيث هو عضو فى المجتمع • وهذا التعريف يكشف عن كثير من العناصر الاساسية التى يجمع علماء الانثروبولوجيا والاجتماع على أنها تؤلف أهم خصائص الثقافة (٣٣) ومكوناتها •

والثقافة نتاج المعرفة ، ليست حصيلة الوراثة • وما ثقافات العالم الا أساليب العادات الجماعية • والاختلافات الملحوظة بينها ، وهى ذروة نتاج المعارف الجماعية من مختلف الظروف الجغرافية والاجتماعية • ولا تؤثر العوامل العنصرية والبيولوجية فى الثقافة الا بمقدار ما تؤثر به فى الأحوال التى تحدث فيها هذه المعارف ، كأن يتجمع بعض من الناس يختلفون اختلافا بينا فى القوة البدنية ، فيؤدى ذلك للتعصب الجنسى (٣٤) •

ومفهوم الثقافة بمعناه الاجتماعى يختلف كثيرا عن معناه العام، فهو يتضمن كل ما يمكن أن يعلم عن طريق العلاقات الانسانية المتداخلة • كما يتضمن اللغة والعادات والتقاليد والنظم الاجتماعية جميعا • والثقافة بالمعنى الاجتماعى توجد فى المجتمعات البشرية وتتميز بها هذه المجتمعات على وجه الخصوص ، وفى ضوء ذلك نتبين أهمية الثقافة كمفهوم اجتماعى •

ومن أهم المفهومات المرتبطة بالثقافة ، وخاصة عندما تؤخذ كعامل فى التغير الاجتماعى : مفهوم التجديد باعتباره حصيلة لتراكم الثقافة وفروعها نحو الابتكار ، وخاصة فى مجالات السلوك أو العلم •

---

(٣٣) د • أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى ، الجزء الاول ، المفهومات ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، عام ١٩٦٥ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ .

(٣٤) جون ارك ، فورد سكوج : التغير الاجتماعى ، نفس المرجع السابق ، ص ١١١ •

ويعتبر هذا المفهوم ذا أهمية جوهرية فى تحليل اثر التكنولوجيا عامة على المجتمع الانسانى • وربما يكون استخدامه على هذا النحو هو السبيل الذى يجعل التكنولوجيا جزءا من الثقافة بغض النظر عن مدى تقدمها أو تخلفها بالمقاييس العصرية • هذا ويفهم التجديد أحيانا على أنــه تغير أو اختلاف Variation ، ويستخدم هذا الاصطلاح عندما يحدث تعديل واضح لعادات السلوك التى كانت موجودة من قبـل تحت ضغط الظروف التى تتغير بالتدريج • فالتغيرات تحدث فى جميـع الثقافات وفى كل الأوقات وان الثقافة تمتاز بطبيعة مرنة وتأملية للتراكـم والتغير • الأمر الذى يجعلها مصدرا حقيقيا للتغير الاجتماعى ، من حيث أنها الاطار العــام الذى يحدد القواعد والاجراءات التى تجعل الوجود الاجتماعى واستمراره ممكنا •

ان جميع الثقافات تتغير باستمرار فلا توجد ثقافة ثابتة تماما • والثقافة كل وظيفى متكامل ، اذ ان العادات والتقاليد لم تتجمع تجمعـا عرضيا ، بل هناك تشابه بين الثقافة والكائن العضوى ، لأن كل جزء منها يرتبط بطريقة و بأخرى ببقية الأجزاء ، ولهذا فان كل نظام يعكس قيـم الثقافة ككل فى نهاية الأمر • والقول بأن الثقافة تشكل وجودا منطقيـا ووظيفيا متكاملا لا يعنى ان اجزاءها تتفاعل فى انسجام تام بدون ضغوط كما يحدث فى المجتمعات الثابتة البناء • اما الثقافات فتتغير اجزاؤها فى اتجاهات مختلفة ونتيجة لذلك يصبح التكامل والانسجام امـرا مستحيلا •

٣ ــ علاقة التغير الاجتماعى بالتغير الثقافى :

يميز روبين وليامز Robin Williams بين التغير الاجتماعى والتغير الثقافى على اعتبار ان الأخير يعنى « التغيرات فى أنساق الأفكار المتعلقة بأنواع متباينة من المتعقدات : والقيم والمعايير » • أما التغير الاجتماعى فيشير الى التغير فى طبيعة التفاعل (المــادى) الملموس لاتصــالات شخص بآخر • ويرى وليامز فى كليهما أى فى التغير الثقافى والتغــير

الاجتماعى ما يطلق عليـه الحـركة الاجتماعية أو الحافز الاجتماعى أو الحادثة ، حيث يرى أنها ليست متكافئة مع التغير[٣٥] .

ويميز « دون مارتنديل » D. Martindale بين التغير الاجتماعى والتغير الثقافى على أساس أن الأول يشير الـى هـدم الجماعـات والمجتمعات وتشكيلها وبأن الآخر أى التغير الثقافى يشير الى تشـكيل وهدم بعض النواحى الخاصة بالثقافة والمدنية[٣٦] . فى حين أن دافيـد درنيسلر D. Dresler يشير الى أنه يعد تعديلا للانماط التقليدية والمنقولة الينا من ثقافة الماضى ، وادخالا لانماط جديدة ، ويبين «دريسلر» أنه من المحتمل جدا أن يتم تبنى العادات الجديدة بسهولة أكثر اذا ما كانت هذه العادات مفيدة ومرغوبة اجتماعيا ، واذا كانت لا تتصادم مـع العادات التى تسبقها فى الوجود ، والتى لا تزال موضع احترام ، وان الناس لا يتنازلون نهائيا عن ثقافتهم التقليدية ، وان التغيرات فى الثقافة تفرض دائما بالقوة على الثقافة الموجودة ، ومن ثم يكون التغير نسبيا[٣٧] .

أما التغير الثقافى عند مالينوفسكى فيعنى التغير الاجتماعى ، وهذا ما أكده « لويسى ماين » الذى كان يدرس قضايا المجتمع بنفس أسلوب علماء الانثروبولوجيا الفرنسيين الذين يركزون على المجتمع ككل ، وليس على الثقافة فقط على نحو ما كان يفعل علماء الانثروبولوجيا الأمريكيون[٣٨] ويتضح ذلك من تصوره للثقافة باعتبارها محتوية على مجموعة من

---

(٣٥) Loomis, CharlesP. & Loomis - Zonak :Modern Social Theories D. Van Nostrand Company Inc. New York, London 1963 p. 517.

(٣٦) Martindale, Don : Social Life and Culture Changes. Van Norstrand Co. Inc. Prinston , New Jersey Conada 1962,p. 3 .

(٣٧) Dessler, David : Sociology , The Study of Human Interaction California State College Long Beach , U. S. A. 1969 pp . 141 - 144.

(٣٨) Main Lucy : Malinowski and the Study of Social Change Raymond Firth (ed) Man and Culture p 232.

العناصر تتعلق بتنظيمات المجتمع الاقتصادية وأيضا نسقه المعيــارى ودستوره السياسى ، وميكانيزمات وسائل التعليم ، وأنساق الديــن والمعرفة (٣٩) •

٤ ــ مصادر التغير الثقافى ومعوقاته •

أكدت مدرسة راتزل Ratzel على مبدأ انتشار الثقافة ، وساهم كثير من العلماء الألمان الامريكيين بعد ذلك فى دراسة هذا المفهوم• حيث ذهبوا الى أن الانتشار هو هجرة العناصر أو السـمات الخاصــة بثقافة معينة الى ثقافة أخرى وهو يتم بطريقتين : اما عرضيا أو بطريقة موجهة ، كما أنهم يؤكدون أن النمو الثقافى فى حد ذاته ليس له وجودا الا اذا حمله أشخاص وذلك لأنه عندما ينتقل الفرد من منطقة ثقافية الى منطقة أخرى ، تنتقل معه الانماط الثقافية التى يحملها ، ومما يدعــم الانتشار الثقافى تقدم وسائل الاتصال الفكرى وزيادة احتكاك وفاعلية حاملى الثقافة الخارجية •

ومما هو جدير بالذكر أن التغير الثقافى يرتبط بعدم اكتفــاء المجتمع بوسائله الحضرية وامتداد بصره الى ما وراء ذلك ، أى الى كل ما يحقق اشباع الحاجات الاجتماعية التى تختلف من جيل الى جيل ، ومن مجتمع الى آخر ، بهدف تعويض الاحتياجات التى لم تتمكن الحضارات من توفيرها لأعضائها فى وقت معين والتى تدفع بالانسان للبحث عن حلول لهذه المشكلات عن طريق استعارة أنماط من ثقافات أخرى تعوضه هذا القصور فى حضارته • ومن ثم يكون التغير الثقافى تغيرا انسانيا فى وسيلته وخاصيته ، اذ أن نشاط الانسان يغير الثقافة كما يؤثر تغــير الثقافة فى طبيعة الانسان • ولهذا يحاول الانسان أن يغير من طباعــه وأنماط سلوكه ، بما يتفق مع التغيرات التى تحدث فى عناصر الثقافــة•

---

(٣٩) Smelser N.J : Essays in Sociological Explanation Prentic - Hall Inc . Engle wood Cliff, New Jersay 1968 p 258.

ومن ثم يكشف تاريخ البشرية بشكل عام عن قابلية الطبيعة الانسانية للتغير (٤٠) •

ولهذا ذهب بيلز L. Beals الى أن التغير الثقافى يحدث فى الحالات الآتية (٤١) :

١ — عندما يضاف عنصر جديد أو يحسن عنصر قديم عن طريق الاختراع •

٢ — عندما تستعير الثقافة عناصر ثقافية من مجتمعات مجاورة •

٣ — عندما تصبح العناصر الثقافية القائمة غير ملائمة لمتطلبات البيئة ، الأمر الذى يجعل أعضاء الثقافة يتخلون عنها ويتبنون عناصر أخرى لتحل محلها •

٤ — عندما تفقد المجتمعات بعض العناصر بسبب اهمالها أو بسبب عدم القدرة على نقلها من جيل الى جيل •

ولما كان الاختلاف فى القيم مرتبطا باختلاف نظرة كل أمة لهذه الحياة اعتبرت القيم الاجتماعية عاملا من عوامل التغير الاجتماعى ، وبالنظر للثقافة على أنها تغير فى قيم الاشياء نجد أن آثارها تنعكس على الانتاج الأدبى والفلسفى والفكرى عامة • ومن ثم يتبدل العنصر الثقافى ويتغير بفعل عوامل كثيرة فى المجتمع منها القيم ، وذلك لأن نظرة أفراد المجتمع الى قيم الأشياء تتغير تبعا لتغير ثقافتهم • ومن ثم يؤدى الانتشار الثقافى نتيجة لتقدم وسائل الاتصال الفكرية ، الى كثير من التغيرات فى نظم المجتمع وأفكار افراده ، والتى ينعكس اثرها على البناء الاجتماعى للمجتمع ووظائف انساقه •

---

(٤٠) Nordskog J. E : Social Change Op . Cit p 94.

(٤١) Beals L. Ralph : An Introduction to Anthropology, The Macmillan Company , NewYork, Third Edition, 1965 p. 291.

ومن ثم ذهب أوجبرن W. Ogburn الى أن الثقافة ذات طبيعة دينامية وتراكمية وان سرعتها تزداد فى جوانبها المادية الاكثر تراكما ، مثل التكنولوجيا والثقافة المادية • ولهذا كانت المجتمعات البشرية فى تغير دائم وعملية تكيف مستمرة لهذه المتغيرات لاستيعاب الجديد والتخلص من القديم الذى لا يمكنه مواجهة الظروف الحديثة المتغيرة • ويتم هذا فى صورة تفاعل يؤدى الى حدوث تكامل ثقافى ووظيفى ومعيارى وشخصى جديد مع قيم وغايات ووسائل المجتمع التى يتحرك فيها وخلالها فى اطار نسيج متشابك • ولذا يضاف للثقافة عناصر جديدة عن طريق الاستعارة من الثقافات الاخرى المعاصرة • ونظرا للترابط بين أجزاء الثقافة المختلفة ، فان التغير فى ناحية منها يحدث نوعا من التكيفات والملاءمات من الاجزاء الأخرى بأكملها •

واذا كان بعض علماء الاجتماع يرون ضرورة اجراء تحليل أفضل للتخلف الثقافى نظرا لتعقد التنظيم الاجتماعى الحديث ، فذلك يرجع لاعتقادهم بأن الوحدة الثقافية تنحرف عن مسارها الصحيح اذا كانت الثقافة مفروضة على المجتمع • ومن الأمثلة الواضحة لذلك فرض الثقافة الغربية على المناطق الشرقية والآسيوية (٤٢) •

* * *

ثالثا ــ التغير الاجتماعى ومفهوما التطور والتقدم :

١ ــ التغير الاجتماعى والتطور :

يشير التطور الاجتماعى Social Evolution لتدرج المجتمعات فى مراحل خلال فترات معينة من الزمان ، تؤدى الى ظهور عدد كبير من الصور البنائية للمجتمع ، بحيث تتعدد صورها القليلة المحدودة التى كانت موجودة فى الماضى ، وتأخذ فى الاتجاه نحو الاتساع أو الشمول

(٤٢) Maciver., R. M. and Page Ch., Society An Introductory Analysis. Macmillan and Co., Ltd. London 1964 p. 29.

أو التقدم أو التعقد ، وبحيث يكون التطور طبيعيا ، والتدرج على مراحل تلقائية دون أن يكون هناك تدخل مقصود ، أو تخطيط يسبق هذا التطور •

وثمة اتجاهان للتطور الاجتماعي سادا بشكل واضح : يركز أولهما على تصوير المراحل المتعاقبة التي يمر بها نموذج المجتمع ، كما فعل لويس مورجان L. Morgan في كتابه المجتمع القديم Encient Sociey اذ حدد مراحل التطور الاجتماعي وأكد على أن كل مرحلة تتميز بنظم اجتماعية معينة • وقد تعرض هذا الاتجاه لنقد أساسي مؤداه أن قدرا كبيرا من المجتمعات الموجودة يوضح أن تطور الثقافة ليس احاديا في مساره ، ولكن نجد أن كل مجتمع يطور أو ينشيء نموذجا خاصا به وارتباطات معينة بينه وبين تاريخه[٤٣] • ومن أهم سمات النزعة التطورية تلك تصور انتقال المجتمع كلية من مرحلة الى أخرى بناء على عوامل كثيرة تمثلت في ابتكار الوسائل المادية أو ابتداع أفكار جديدة •

ولهذا يعتمد مفهوم التطور الاجتماعي أساسا على التصور الذي يفترض أن كل المجتمعات تمر خلال مراحل محددة ثابتة في مسلك يتدرج من أبسط الأشكال الى أعقدها • بالاضافة الى ذلك فان المفهوم يمتد ليشكل عملية التغير التدريجي Gradual Change التي تتم في كل المجتمعات • وتشمل التنظيمات وأدوار الأفراد التي يعاد تحديدها[٤٤] • ومن الخطأ اعتبار مفهوم التطور متضمنا لضرورة مرور كل المجتمعات في نفس المراحل • ولذلك بدأت نظرة العلماء للتطور الاجتماعي تتغير ، ومن ثم تناولوه على أنه عملية من عمليات التغير الاجتماعي •

والواقع أن مناهج الدراسات التطورية تأرجحت بين المنهج التاريخي والاستقرائي • أما وجهة النظر الاستقرائية فقد اعتبرت

---

(٤٣) Brown, Radcliffe : Method in Social Anthropology. Chicago University of Chicago Press 1958 p 10.

(٤٤) Duncan, Michell : A Duncan Dictionary of Sociolog Routledge & Kegan Paul London , 1968 p 169.

الفعل اساس العملية التطورية المستمرة • أما وجهة النظر التاريخيــة فتنظر لعملية التطور على أنهــا سلسلة من المراحل المتعاقبة للنمــو أو للتطور [٤٥] • ولقــد كان للتطوريين منظــور خاص للتطور يبــدأ بالكائنات الحية ونظمها ، وينتهى بالانسان ونظمه الاجتماعية وبذلك يعد التطور البيولوجى بداية للتطور الاجتماعى [٤٦] • وتعتبر النظريــة البيولوجية الداروينية الأســاس المحورى للفكر التطورى الذى كان مسيطرا على المناخ الفكرى لأوروبا فى القرن التاسع عشر • هذا بالاضافة الى تأثر الفكر الداروينى بفلسفات الصراع التى كانت لها سيطرة وقوة فى هذه المرحلة •

وبعد صدور مؤلف دارون أصل الأنواع عام ١٨٥٩ متضمنا منظورة للتطور ساد الاعتقاد بأن تغير المجتمعات يسير حسب قوانين احادية المسار أو (الاتجاه التطورى الاحادى الامتداد Unilinear Evolution) • بمعنى أن هناك مراحل تطورية متعاقبة وبصورة متوالية [٤٧] • وأن عمليــة التطــور (وهى المستعارة من النظرة الدارونية البيولوجية) يقصــد بها فى علم الاجتماع انبثاق اشكال جديدة من الاشكال الاصلية من خلال عناصر التشابه والاختلاف وبطريقة تلقائية تدريجية • ولهــذا يرى « ماكيفر » ضرورة وضع حد بين فكرة التقدم والتطور ، كما أن نورد ســكوج Nord Skog يرى أن التغير والتطور ليسا بمفهوميــن تقويمين غير أن هذين المفهومين على أية حال مهمان فى تعريف التقــدم Progress ، وذلك لأن التقدم يستخدم كمفهوم تقويمى معتمــد على نظرة الملاحظ • وان التطور ربما يظهر فى بعض الأحيان كتقــدم ، وفى

---

(٤٥) Brown Radcliffe : Method in Social Anthropology , Op . Cit p. 22.

(٤٦) Brown Rodcliffe : Method in Social Anthropology , Op. Cit , p. 22.

(٤٧) ماكيفر وبيرج : المجتمع ، الجزء الثالث ، ترجمة د • سمير نعيم أحمد ، مكتبة النهضة المصرية ، عام ١٩٧١ ، ص ٢٦ •

أحيان أخرى كتأخر [٤٨] • وقد لخص كوهين تصوره للتطور بتحـديد أربعة افتراضات تعكس جوهر الاتجاه التطورى تمثل أولها : فى أن المجتمعات البدائية المعاصرة تمثل المراحل الاولى للتطور الاجتماعـى الانسانى • وثانيا : أن هذه المجتمعات يمكن وضعها فى درجة معينـة من التسلسل التطورى بالنظر الى محكات مؤكدة وثابتة للتطور • وثالثا : أن التاريخ التطورى للمجتمع أو لمجموعة من المجتمعات المتجـاورة يمكن أن يعاد صياغتها صياغة تركيبية بالنظر الى حضور أو تواجـد خصائص أو سمات معينة لا تلائم مرحلة معينة من التطور ، يمكن النظر اليها على أنها بقايا من مرحلة ماضية ، وان تفكير ماركس Marx لم يكن بعيدا عن التطورية وان كان قد صاغ افكاره صياغة أخـرى بوضعها فى اطار فلسفى يؤمن بالمادية أساسا ويعتبر التغير فى علاقـات الانتاج ، تغيرا للنظم الاجتماعية • وبالنسبة للتطور الاجتماعى نجـد أن « فيرتشيلد » قد تحاشى عنـد تعريفه لهـذا المصطلح عمليـات التطور البيولوجى ، وذلك لأن اصطلاح التطور لا يتضمن بالضرورة معنى التغير الى الأفضل أو الى الزيادة فى التعقيد ، وان كان مفهـوم التطور عنده يشير الى نواحى التغير الاجتماعى فى المدى الطويل •

وقد لخص كل من كونت وسبنسر فلسفة القرن التاسع عشر للتطور الاجتماعى كما ظهرت فى ذات الوقت أفكار رئيسية متشابهة فى التفكير الانثروبولوجـى لمورجـان Morgan وماكلينـان Maclinan تدور حول افتراضات ، مضمونها أن عقل الانسان يعمل فى كل ثقافـة بنفس الطريقة • كما يساهم مورجان فى نظرية التطور بفكرة مؤداهـا أن التغير الانسانى يعبر عنه تطور المقدرة الفنيـة فى استغلال الموارد الطبيعية حيث انتقل الانسان من المرحلة التاريخية التى كان يحياها فى الغـابة ويتخذ غذاءه من النباتات البرية الى المرحلة المعـاصرة التى يعيشها الانسان فى المجتمع المركب ، حيث تلعب فيه صور التقـدم

---

(٤٨) د. أحمد الخشاب : التغير الاجتماعى ، الهيئة المصرية العـامة للتأليف والنشر ، عام ١٩٧١ ، ص ٢١ .

المادى والصناعى والفكرى والمهنى والطبقى دورا بارزا • ويمتاز مورجان عن علماء القرن التاسع عشر بأنه بالرغم من ادراكه لتطور المجتمع فى مراحل معينة وهو متأثر بالنظرية الدارونية الا أنه لاحظ أن الوقائع الاجتماعية تتساند مع بعضها بالقدر الذى يحافظ على بقاء المجتمع (٤٩) • أما ليزلى هوايت L. White فيرى أن التكنولوجيا أساس التطور والتقدم ؛ وانها تعنى التحرك فى اتجاه زيادة استخدام موارد الطبيعة أو زيادة الانتفاع بالطاقة الموجودة • ويبين « أرزبيوف » Arzieof مدى اهتمام الكثير من علماء الاجتماع الغربيين بالتغير الاجتماعى والتطور الاجتماعى ، ونظرة معظمهم الى التطور الاجتماعى على أنه عملية متصلة بالتغير الاجتماعى ، الذى يعرفونه بالتغيرات الكمية التى لا تقود الى تغيرات كيفية (نوعية) أساسية وحتى لو اعترفوا بالتغيرات الكيفية فانهم لا ينظرون اليها على اعتبار أنها مرحلة ضرورية فى التطور الاجتماعى الذى يبرر الانتقال الى نوعية أخرى •

ويشير تقرير هيئة اليونسكو الى أن التغير الاجتماعى يعنى التحول والتطور والتقدم • فالتحول نوع من التغير المستمر ، فى حركته يتخذ اتجاها واحدا من اتجاهات أربع • فاما أن يكون الى الأمام أو الى الوراء الى أعلى أو الى أسفل • والتطور نوع آخر من التغير يأخذ صورة النمو من شكل بسيط الى شكل أكثر تعقيداً • أما التقدم فلا يعرف سوى الاتجاه الى الامام دائما بغرض الوصول الى هدف مثالى يتخذه المجتمع أو يحدده لنفسه ، ويسعى لتحقيقه •

ويعتبر ابن خلدون من أوائل المفكرين الذين تصوروا أن المجتمع يتطور فى حركة دائرية لها حلقات متتالية بعضها يرمز للتقدم ؛ وبعضها يرمز للاضمحلال والتأخر •

ويوضح د • حسن شحاته سعفان أن المقصود بالتطور هو التغير التدريجى الهادى ، ويدل التطور فى رأيه على الطريقة التى تتغير بها

---

(٤٩) تيماشيف ، نيقولا : نظرية علم الاجتماع ، المرجع السابق،ص٨٠ •

الأشياء من حال الى حال • والتطور بذلك هو الحالة الطبيعية العادية للجماعة الانسانية والمجتمع الذى لا يتطور يكون شاذا ، بل لا يمكن أن يتصور مجتمع بدون تطور حيا • وقد يكون التطور فى جماعة أكثر وضوحا وجلاء واقوى منه فى جماعة أخرى • وقد يكون فى فترة أكثر وضوحا فى جماعة منه فى فترة أخرى ، ولكن لا يمكن أن يخلو منه مجتمع • والخلاف الوحيد بين المجتمعات فى هذا يتلخص فى مدى سرعة التطور (٥٠) • وفى ذلك يقول بوتومور أن فكرة التطور الاجتماعى استبعدت مباشرة من نظريات التطور البيولوجى فى القرن التاسع عشر نتيجة لتأثير فلسفة التاريخ فى علم الاجتماع (٥١) • وأما المفكر الاجتماعى الامريكى وليام سومنر W. Sumner فقد قرر أن التطور الاجتماعى يسير فى طريقة المرسوم تحت سيطرة الطبيعة ، وكذلك من الخطأ أن يعتقد الانسان أنه قادر على التخطيط لعالم جديد ، بل الواقع أن النظريات التطورية فى التفسير السسيولوجى تتعارض مع حقيقة المجتمع الذى يتغير فى بنائه وانساقه ونظمه وقيمه ومعاييره بفعل عوامل حركة الحياة الاجتماعية نفسها •

٢ — التغير الاجتماعى والتقدم :

عندما نتناول اتجاه التغير يكون الهدف من ذلك تقييم ما اذا كان مساره صوب التقدم أم لا • اذ أن التقدم يمثل حركة واعية تأخذ اتجاها منطقيا مع ما يعتبره الناس فى المجتمع سليما ومقبولا • واذا كان من الوجهة الاكاديمية النظرية يصعب وضع مقياس أو معيار عالمى لتحديد مفهوم التقدم ، فذلك يرجع الى أنه يقتضى تعيين الدرجة بالنسبة للقيم الخاصة بالفرد ، والتى تكون ذاتية بطبيعتها ، الا أنه يمكن الاستعانة بمبدأ عام يتمثل فى العلاقة الرشيدة بين الوسيلة والهدف

---

(٥٠) د . حسن شحاته سعفان : اسس علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، الطبعة الخامسة ، عام ١٩٦٠ / ١٩٦١ ، ص ٢٦٥ — ٢٩٦ .

(٥١) بوتومور : تمهيد فى علم الاجتماع ، ترجمة د . محمد الجوهرى وآخرون ، الطبعة الاولى ، دار الكتب الجامعية بالاسكندرية ، عام ١٩٧٢ .

Means and Goal واتخاذها كمعيار للتقدم • فقد ييسر هذا دراســـة التنظيمات من خلال الوسائل التى يستعملها ومدى ارضائها للحاجات المحددة سواء كانت عامة أو خاصة • وذلك لأنه كلما ظهرت الأدلة على ارتفاع درجة الارضاء كلما كانت درجة تقدم المؤسسات أكبر والعكس بالعكس • وبهذه الكيفية يصبح مفهوم التقدم نابعا من تصاعد درجات الاشباع نتيجة تغير الوسائل فى هذا الاتجاه التصاعدى •

والواقع أن موضوع التقدم من الموضوعات التى تناولها المفكرون الاجتماعيون بالدراسة منذ وقت بعيد ، وحتى قبل نشأة علم الاجتمـــاع بمفهومه الحديث ، وذلك ما يؤكده وجود المفهوم فى كتابات بعض الفلاسفة فى أواخر عصر النهضة،ومن بينهم فرنسيس بيكون (١٥٦١ — ١٦٢٦ م)، ورينيه ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠م) •• ولعل أهم ما يشير الى هـــذه الفكرة فى أعمال بيكون ما كتبه عن المنفعة كغاية للمعرفة ، وأن من أهم اهداف المعرفة تحسين حالة الانسان ، وزيادة فرص سعادته ، وتقليـــل آلامه ، وان الهدف الرئيسى من التعرف على حقائق العالم الطبيعى هـــو بسط سلطان الانسان على الطبيعة ، وهذا هو ما يعبر عن مبدأ التقدم(٥٢) • غير أن أول محاولة لاقامة نظرية عن التقدم كانت على يد « فونتنل » B. de Fontenelle (١٦٥٧ — ١٧٥٧م) حين ذهب الى أن اســـتمرار تجمع المعرفة العامية يهيىء السبيل أمام البشرية لتحقيق التقـــدم والنمو ، وذلك ما عبر عنه أيضا Abbe dost Pitre سنة (١٦٥٨—١٧٥٣م) •

وقد ظهرت فى أفق الفكر الاجتماعى صورة أخرى لدراسة التقدم فى كتابات فلاسفة التاريخ • اذ أنهم ينظرون الى التاريخ البشرى على أنه يسير وفق خطة أو فكرة معينة ، ومن ثم حاولوا اكتشاف القانـــون العام الذى تخضع له مجموعة الحوادث الانسانية التى يشملها التاريخ• ومن هؤلاء تيرجو Turgio (١٧٢٩—١٧٨١م) عندما ذهب الى أن

---

(٥٢) Bagnell, John Bury : The Idea of Progress In John Eric Nordskog (ed) , Social Change, New , York Mc Graw Hill Book Co., Inc 1960 p 126.

الحضارة عملية تراكمية ، وان كل تطور حضارى يعجل بالتقدم • أمـا كوندرسيه (١٧٤٣–١٧٩٤م) فيؤكد على حتمية التقدم فى جميع جوانب الحياة الانسانية (٥٣) •

ثم أصبحت فكرة التقدم محورية فى كتابات المفكرين الاجتماعيين فى القرن التاسع عشر وذلك ما أكده جينزبرج Ginsberg بقوله أن خير من يمثل نظريات الكمال Thoories Perfectibility فى تقدم الجنس البشرى هو « كندرسيه » الذى ذهب الى أن تقدم المجتمعـات البشرية يرتبط بتطور العقل البشرى ، وذلك لأنه يؤمن بان العقل يسيطر على هذه الحركة (٥٥) • ومن ثم يعتقد فى امكان تحسين الأنواع البشريـة عن طريق :

أولا : الاكتشافات الجديدة فى الفنون والعلوم •

ثانيا : الا قدم الحاصل فى مبادىء السلوك والتطبيق الأخلاقى •

ثالثا : فى تحسين القدرة البشرية •

وذلك لأن كوندرسيه يؤمن بأن العامل الأساسى فى هذه الأمـور السابقة والمحركة هو العقل (٥٦) • ولهذا نجد أن فكرة التقدم ظهـرت بوضوح مع فلسفة التاريخ ، خاصة عند « كندرسية » وغيره من الفلاسفة الذين كانوا يتصورون مراحل متعاقبة للوصول الى الكمال بدون الاستناد

---

(٥٣) د • حسن شحانه سعفان : تاريخ الفكر الاجتماعى والمدارس الاجتماعية ، القاهرة : مطبعة دار التأليف ، عام ١٩٥٧ • ص ١٠٤ •

(٥٤) Ginsberg, Morries : Essays in Sociology and Social Philosophy, Evolution and Progress, Volume Three, William Heineman, Ltd, London, 1961 p. 12.

(٥٥) Ginsbetg , Morries : Ibid p. 12.

(٥٦) ليفى بريل : فلسفة أوجست كونت ، ترجمة د . محمود قاسـم والسيد محمد بدوى ، الطبعة الثانية ، مكتبة الانجلو المصرية ، عام ١٩٥٢ ؛ ص ٢٧٢ — ٢٧٤ •

الى منهج وضعى • ومن ثم كانت دراستهم بعيدة عن معرفة الطبيعة الانسانية لأنها تشبثت كثيرا بالأوهام والآمال التى لا يقبلها العقل[٥٧] • ولهذا ذهب « بيرى » Bury الى أن فكرة التقدم تشير الى أن الحضارة سارت وتسير فى اتجاه مقصود • ومن ثم عرف « هوبهاوس » التقدم بصورة عامة بأنه يعنى تغير الشيىء الى الأحسن ، وعلى ضوء ذلك عرف «فيرتشيلد» مفهوم التقدم بأنه كل تغير اجتماعى أو حركة اجتماعية Social Movement فى اتجاه هدف معين مأمول • وبذلك ينحصر مفهوم التقدم الاجتماعى فى نطاق السيطرة على الطبيعة من ناحية ، وعلى الطبيعة البشرية والعلاقات الانسانية من ناحية أخرى •

واذا كان « سان سيمون » S. Simon قد بشر بعصر ذهبى قادم ، فقد تابعه فى هذا الاتجاه تلميذه كونت الذى ذهب الى أن التقدم هو سير اجتماعى نحو هدف معين تقطعه الانسانية فى أدوار تطورية ارتقائية ، وهذا السير يخضع لقوانين ضرورية هى التى تحدد مداه وسرعته • ولذا اهتم «كونت» (١٧٩٨–١٨٥٧م) بالمراحل التى يمر بها تقدم المجتمع الانسانى ، وأكد أن الانسانية تسير سيرا تلقائيا فى تقدمها • فى اتجاه معين ويخضع لقوانين ضرورية تحدد مداه وسرعته ومراحل تطور البشرية الثلاث[٥٨] • وأكد على الارتقاء العقلى (الفكرى) Intellectual Advance كأساس يحكم قانونه فى التقدم • ولهذا ذهب الى أن كل مرحلة ضرورية للاخرى ، وبذلك تكون عملياته تقدم وليست تراجعا [٥٩] • وذلك ما دفعه للاعتقاد بأن التطور الاجتماعى ما هو الا استمرار للتقدم العام ، وبذلك ينظر كونت للتقدم باعتباره

---

(٥٧) د. السيد محمد بدوى : التطور فى الحياة فى المجتمع ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، عام ١٩٦٦ ، ص ١٤٣ •

(٥٨) د. مصطفى الخشاب أوجست كونت ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة البيان العربى عام ١٩٥٦ ، ص ١٥ .

(٥٩) Barnes, Harry , Elmer : An Introduction to the History of Sociology , The University of Chicag. 1970 p. 86.

عملية محكومة بنفس قوانين نمو المجتمع [٦٠] ، ويتخذ قانون مراحل التقدم كأساس لتفسير تطور الطبيعة الانسانية [٦١] ، ولهذا كان اختلاف قانون كونت عن سبنسر من الناحية الجبرية أساسا • اذ يرجع كونت التعجيل فى سيرة التقدم للمعرفة الموضوعية ، بينما يتصف المذهب التطورى عند سبنسر بالنموذج الجبرى [٦٢] •

وبذلك اختلفت نظرة المفكرين الى التقدم من عصر الى عصر آخر • فالتقدم مثلا فى القرن الثامن عشر يعنى قدره الانسان على استغلال موارد المجتمع الطبيعية والانسانية • وقد وضعت فى القرن العشرين مقاييس معينة للتقدم ، الا انها كانت محاولات تخرج عن واقع المجتمع وواقع حياتنا الاجتماعية • ولهذا لم تصل مقاييس التقدم الى درجة من الدقة الموضوعية يمكن معها الاعتماد عليها كمقاييس مقننة للتقدم بالنسبة للمفكرين فحسب ولكن بالنسبة للمجتمعات أيضا • وذلك لأن التقدم مسألة نسبية تختلف باختلاف المفكرين وباختلاف الاطار الفكرى للمجتمعات •

ومن ثم يكون التقدم الاجتماعى كل مظهر أو فكرة أو عمل ناجح يؤدى للسيطرة على البيئة الكلية ويساعد على التحرر بقدر الامكان من عامل الزمان وعامل المكان ، وذلك بالنسبة لمظاهر الحياة الاجتماعية المادية فيها وغير المادية وبحيث تؤدى الى اطلاق النشاط الانسانى وحفزه للعمل فى جدية وتعاون من أجل تحقيق هدف معه وكل مرحلة تحقق هذا الهدف تعتبر تقدما •

وفى بداية العصر الحديث كانت الفكرة السائدة عن التغير الاجتماعى

---

(٦٠) نيقولا تيماشيف : نظرية علم الاجتماع ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ترجمة د . محمد عودة وآخرون ، دار المعارف ، عام ١٩٧٠ ، ص ٤٠ •

(٦١) نيقولا تيماشيف : نظرية علم الاجتماع ، المرجع السابق ، ص ٤٢ •

(٦٢) تيماشيف ، نيقولا : المرجع السابق ، ص ٤٤ •

أنه تقدم مستمر ، وأول من اعتنق مذهب التقدم فونتيل B. de Fontelle وكذلك معاصره « شـــارل بيرو » Perrau الذى كان معجبا بالتقدم الذى وصلت اليه العلوم فى عصره الى درجة يتصور معها عدم القدرة على تخطيها فى المستقبل وبذلك استمرت فكرة التقدم عند كل من فيكو وتورجو وكانت حتى أوجست كونت ومن بعده المحدثين من علمـــاء الاجتماع ٠

***

رابعا ـ التغير الاجتماعى والحضرية :

٣ ـ علاقة التغير الاجتماعى بالتحضر :

تتسع عمليات التغير الاجتماعى لتشمل التحضر ، فضلا عن اشتمالها على التغـــير التكنولوجـــى والتصـــنيع ٠ فالتحـــضر Urbanization والتصنيع على علاقات اجتماعية بالتغير ، فاذا كان التحضر يعنـــى نمو المدن فى الحجم والأهمية مما يدعو الى تحرك بعض سكان الريف الـــى المدن لتكوين علاقات جديدة شغل مراكز جديدة ٠ فمصطلح الحضرية Urbanism يعنى بقاء هؤلاء فى قراهم وأخذهم بأساليب المدينـــة والتحضر وتقبلهم لنسق القيم الحضرية الذى يؤكد فى نظرتهم نحـــو تدرجات المكانة عندهم مما يدعو الى نبذ أدوارهم القديمة وتمســـكهم بأدوار جديدة (٦٣) ٠ ويدخل فى عملية التحضر التغيرات التى تحـــدث فى طباع وعادات وطرق معيشة ، أو أسلوب حياة الذين هجروا القريـــة أو الريف الى المدينة واستقروا فيها ، وكذلك التغيرات الناتجة عن التحضر وما يصحبها من نتائج اجتماعية وثقافية أخرى كالتصنيع وتقسيم العمل الجماعى ٠ ومما هو متفق عليـــه بين الاجتماعيين الاعتراف بأن الحيـــاة الحضرية تحبذ التعدد وفردية السلوك ، وجماعية المشاركة وأولويـــة الجماعات الثانوية أو الوظيفية ، على الجماعات الأولية ٠ والاهتمـــام بالتحضر هو الاهتمام بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والعمرانيـــة

---

(٦٣) Sanders Irwin : Approach to Social Change, ed. Holt R & Winston , New York 1962 pp 403 - 404.

للمدن ، والمشكلات التى تنتج عن عملية التحضر السريع مثل مشكلات المعيشة ، والمشكلات الاسرية ، اذ أن الاسرة من أكثر وحـــدات البناء الاجتماعى تأثرا بالتحضر •

وتعد ظاهرة التحضر من الصور التى تدل على تطور ونمـــو المجتمع وتغيره ، كما أن عملية التحضر تشير الى تحول الأفراد من النمط التقليدى فى الحياة ، الى نمط آخر أكثر تطورا وتعقيدا وتقدما ، بالقدر الـــذى يشير فيه التحول لأسلوب الحياة (٦٤) Style of life وتبدله • وبذلك يعد مصطلح التحضر من المصطلحات التى حظيت باهتمام عـــدد كبير من علماء الاجتماع ، وبخاصة علماء الاجتماع الحضرى ، على الرغم مما يكتنفه من غموض شأنه فى ذلك شأن غيره من المصطلحات المستخدمة فى العلوم الانسانية عامة ، والعلوم الاجتماعية خاصة •

وبالنسبة للتحضر بذلت جهود كثيرة لتحديد تعريفاته ، وكان الاتجاه العـــام الذى يجمع بينها ، هو الربط بين التحضر وبين التغير والتحول البنائى والوظيفى ، حتى أن بعضا منهم يذهب الى أن مصطلحى التحضر والتغير مصطلحان مترادفان • فالأول مرادف للثانى ، والثانى مرادف للاول ومعنى الربط بين التحضر والتغير . ان التحضر ظاهرة ديناميكيـــة فعالة تؤثر فى تنظيم المدينة ونظمها والتحضر ليس ظاهرة استقراريـــة استكاتيكية ، لكنها ظاهرة تعنى التغير السريع • والتحضر هو تغيير يشمل بناء المجتمع وهو نوع من التغير العميق الذى يصيب اطارات المجتمـــع مورفولوجيا وفيزيولوجيا ، والتحضر يشير لتغير بناء التنظيم الاجتماعى بحيث يمكن القول أن الدراسات الحضرية التى انشغلت بظاهرة التحضر كظاهرة ديناميكية تعد ميدانا حديثا من ميادين الدراسة • وان كانـــت المدينة بظواهرها المختلفة ظاهرة حضارية قديمة لم تستحوذ على اهتمام الدارسين لها حتى الثورة الصناعية ، فقد استحوذت من اهتمام المفكرين الاجتماعيين واعتبروها مرادفة المجتمع ذاتـــه •

---

(٦٤) Lerner Daniel : The Passin of Traditional Society to Modernization , The Middle East, New , York. 1958 p 78.

٢ ـ مفهوما التحضر والتغير الحضارى :

يعرف التحضر بأنه عملية تركيز سكانى يتم بوسيلتين •• اما بزيادة عدد أماكن التجميع السكانى أو نمو حجم التجمعات السكانية • وقد أجمع علماء الاجتماع وعلم البيئة الانسانية على أن هذا التعريف البسيط من أكثر التعريفات وضوحا وبعدا عن الالتباس ، لأنه يفرق بين عملية التحضر نفسها وما قد يصحبها من آثار جانبية أو ظروف تابعية • وهناك عاملان ملازمان لعملية التحضر •• أولا : السكان • وثانيا : التكنولوجيا أو التقدم العلمى • فالزيادة السكانية والتقدم العلمى وعملية التحضر عوامل متلازمة يؤثر أحدها على الآخر •

ويتفاوت تعريف مفهوم التحضر من دولة الى أخرى • وتلخص الأمم المتحدة(٦٥) فى الكتاب السنوى الديموجرافى أسس تفاوت المفاهيم بين الدول فيما يلى :

١ ـ يعرف مكان ما بأنه حضرى فى عدد كبير من الدول على أساس حجم معين للسكان المقيمين به ، وقد يتفاوت الحد الأدنى لعدد السكان ، فبينما نجد أن أى تجمع سكانى يبلغ عدد سكانه ٢٥٠ نسمة فى الدينمارك يطلق عليه حضرى ، بينما لا يقل الحد الأدنى لعدد سكان مكان يطلق عليه حضرى فى كوريا عن ٤٠٠٠٠ نسمة • وعموما يتفاوت الحد الأدنى المتفق عليه لتعريف تجمع انسانى بأنه حضرى بين معظم الدول ، وان كان من المتفق عليه اعتبار رقم ٢٠٠٠٠ نسمة الحد الأدنى للتجمع الحضرى •

٢ ـ يعرف مكان ما بأنه حضرى فى بعض الدول على أساس أدائه وظائف ادارية وحكومية • فمثلا يطلق على عاصمة المركز الادارى كلمة حضر أى يتوقف استعمال كلمة «حضر» على قيام مجتمع انسانى يعنى

---

(٦٥) Demographic Year Book (United Nations 1960) p. 34 & Table 9 .

بأداء وظائف ادارية لما يحيطه من أقسام ادارية بغض النظر عن حجـم السـكان •

٣ ـ يعتمد التعريف الثالث للتحضر على الجمع بين مجموعة من الخصائص فقد تجمع بين كونه وظائف ادارية معينة مع وجود عـدد معين من السكان ، أو تحديد نسبة معينة لمن يعملون بالزراعة •

وهناك تعريف مشابه يؤكد على التغير الحضارى المقصود والمخطط فى التنمية الاجتماعية ، والذى يتناول جوانب عدة فى الحياة المـادية والبشرية فى اطار المجتمع القومى ، ويتصل ذلك بالعادات والتقاليـد وأنماط السـلوك التى تحكم اتجاهات الأفراد من أجل عيشتها ورفـع المستوى الاجتماعى ولمواجهة الاحتياجات المتزايدة فى المستقبل(٦٦) •

وقد ذهب « روستو » فى تعريف التنمية بأنها تهدف الى تغير علاقات الانسان بالانسان الآخر وبالاشياء والحياة ، بمعنى أنها تعمل على تغير نمط حضارته فالتنمية عنده تغير الانسان أكثر من كونها تغير لبيئتـه الطبيعية • ولا شك أن الدراسة الوظيفية لحضارة أى مجتمع تعتبر مهمة • فكثير من الهيئات العلمية تميل الى أن تقرن عملية التصنيع بعمليـة التحضر • ولذا يرون أن البلاد التى لا تغلب عليها صفة الصناعة تعتبر بلاد متخلفة لأنها تحتوى على مظاهر مستمرة فى مراحل سابقة • وذلك لأن الصناعة ترتبط ارتباطا اساسيا بالتحضر ، أى أن العمل الصناعـى يتم عادة فى وسط حضارى يختلف عن الوسط الحضارى الذى يتـم فيه العمل الزراعى • فبينما يتجه العمل فى الريف الى الارتباط التـام بالبيئة الطبيعية والعادات بالتقاليد الريفية والدينية ، يتجه العمـل فى الصناعة الى الارتباط بالبيئة الحضرية التى تعتبر الى حد كبير من صنـع الانسـان •

---

(٦٦) جامعة الدول العربية : الامانة العامة ، المؤتمر الثانى عشر للشئون الاجتماعية والعمل ، الدورة الثانية عشر ، القاهرة فى ٩/٦ مايو سنة ١٩٦٨ ، التخطيط للتنمية فى جمهورية مصر العربية ، مقدم من وزارة الشئون الاجتماعية ص ١ •

أما اصطلاح التغير الحضارى .. فهو كما يعرف ببساطة التعديلات التى تطرأ على الحضارة خلال فترة من الزمن ويستعمل اصطلاح التغير الحضارى بالتداخل مع الدينامية الحضارية . وقد استخدم اصطلاح التغير الحضارى كثيرا من علماء الانثروبولوجيا الامريكيين وكذلك علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى وعلماء الانثروبولوجيا البريطانيين . والذين اعطوا أهمية لدراسة التغير الحضارى أكثر من دراسة التغير الاجتماعى وفى ذلك يقول (كينجزلى دافيز K. Davis) أن التغير الحضارى أوسع وأشمل من التغير الاجتماعى (٦٧) . ويمكن استخدامه لقياس مدى التغير الذى يحدثه فى طبيعة المجتمع بالنسبة لبقية المجتمعات سواء من الناحية المادية أو المعنوية . هذا بالاضافة الى كون مفهوم التغير الحضارى المصطلح الملائم لهذه الحالة (٦٨) .

ومن ثم نظر البعض للتنمية على أنها عملية تغير حضارى فى طبيعة المجتمعات التقليدية . وهناك تعريف شامل للتنمية يعتبرها عملية تغير حضارى تتناول آفاقا واسعة فى المشروعات التى تهدف خدمة الانسان وتوفير الحاجات المتصلة بعمله ونشاطه ورفع مستواه الثقافى والصحى والفكرى والروحى . وهذه التنمية تعمل بصورة عامة على استخدام الطاقات البشرية أحسن استخدام من أجل رفع مستوى المعيشة ، ومن أجل خدمة أهداف المجتمع (٦٩) .

٤ ــ خصائص المجتمع الحضرى :

استحوذت قضية النمو الحضرى على اهتمام كثير من العلماء والباحثين فى الدراسات الحضرية عامة . وفى علم الاجتماع الحضرى

---

(٦٧) Kingsley Davis : Human Society , Second Edition, Macmillan Co. New York 1967 p 222 .

(٦٨) د . محيى الدين صابر : التغير الحضارى ، وتنمية المجتمع ، ص٧٥ .

(٦٩) د . أحمد الخشاب : وآخرون : الطريق الصعب .. طريق التنمية ، مكتب الوعى العربى ، (بدون سنة) ، ص ٣٧ .

خاصة وقد زاد هذا الاهتمام فى الآونة الأخيرة بشكل واضح نظرا للزيادة الملحوظة فى مكان الحضر فى العالم ككل ، والذى تسبب فى ظهور العديد من المشكلات التى تستأهل الدراسة والبحث •

فالمدينة أو القطاع الحضرى يعتبر بصفة عامة وحدة اجتماعية متميزة بازدحام سكانها فى مساحة معينة رغبة فى تبادل المنافع وتحقيق الغاية فى الاجتماع الانسانى • ويقوم النشاط بها على الصناعة والتجارة ، كما تمتاز بسهولة المواصلات وارتقاء مستويات المعيشة ؛ وزيادة تقسيم العمل والتخصص وغيرها من المميزات التى تختلف بها عن المجتمع الريفى (٧٠) •

ويعد تصنيف توذيز من التصنيفات التى ميزت بين الحياة الريفية والحياة الحضرية من خلال مفهومين استخدمهما ، هما : المجتمع المحلى والمجتمع العام •

(ا) المجتمع المحلى : ويمتاز المجتمع المحلى بأن الكل الاجتماعى موجود قبل اجزائه بمعنى أن الفرد يولد فيجد الروابط الاجتماعية مستقرة ومنتظمة وتقوم الجماعة بتنشئته وتشكيله وفقا لاتجاهاتها وطبيعة نظمها وقوالبها الجماعية • والاسرة فى نظره هى التعبير الأول عن حقيقة المجتمع المحلى • وتمتاز الحياة الاجتماعية فى هذا الشكل بالتضامن وقوة الروابط وسيادة الشعور الجمعى والمشاركات الوجدانية ويقوم هذا الشكل على روابط الدم والقرابة والجوار والصداقة ، ونجد فيه كذلك قوة الرغبات الطبيعية وقوة الغرائز والدين والعادات والتقاليد •

(ب) المجتمع العام : ويمتاز المجتمع العام بأن الشكل الاجتماعى عبارة عن تركيب صناعى فى أجزاء كثيرة ووحدات متعددة • بمعنى أن المجتمع ينقسم الى هيئات ومؤسسات وجماعات كثيرة قائمة على أساس ارادى • ولذلك نجد الروابط الاجتماعية فى هذا المحيط العام والمشاركات الوجدانية غير متكاملة والعلاقات بين الأفراد قائمة على الحذر

---

(٧٠) د. مصطفى الخشاب : الاجتماع الحضرى ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، عام ١٩٦٨ ، ص ٥٣ .

والحرص • ويوسع « تونيز » الهوه التى تفصل بين هذين الشـكلين بقوله ان الفرد عندما ينتقل من مجتمعه المحلى الى المجتمع العام ، يدخل أرضا جديدة ويتعامل مع مجتمع غريب (٧١) •

ولقد ميز « دوركايم » بين الحياة الريفية والحياة الحضرية مـن خلال التضامن الاجتماعى الذى تعرض لهما فى مؤلفه تقسيم العمـل الأجتماعى الذى نشر لأول مرة عـام ١٩٨٣ • فالنمط الأول : هـو التضامن الآلى Mechanical Solidarity والنمط الثانى : هـو التضامن العضوى Organic Solidarity ويوجد النمط الأول من التضامن فى المجتمعات البدائية والقديمة والتى يسهم أفرادها بأنماط عمل متشابهة ، كما تعتمد معيشتها على الصيد والقنص والزراعة • أما النمط الثانى من التضامن فيوجد فى المجتمعات الحديثة والمتقدمة ، حيث يقـوم التعاون فيها على أساس التباين واختلاف الأفراد والجماعات فـى تخصصاتهم بحيث يقوم كل منها بانتاج سلع وخدمات تختلف وتتباين عن السلع والخدمات الأخرى لتضمن حاجاتهم المتنوعة • وقد أدى التباين والتنوع فى مجتمعات التضامن العضوى الى زيادة التخصص وتقسيم العمل ، فلم تعد التخصصات محددة بنطاق الجنس واختلاف درجات السن ، وانما تجاوزتها الى تخصصات متعددة وأعمـال متباينة فرضت الاعتماد المتبادل بين أفراد المجتمع فى مجالات الحياة المختلفة ، وبذلك يبدو التضامن العضوى بأجل صوره فى المجتمع (٧٢) •

٥ ـ التغير الحضارى فى المجتمعات النامية :

والتغير الحضارى من أقوى وسـائل التغير فلهذا التغير ظروف وأسـباب وعمليات ونتائج • والتغير الحضارى فى المجتمعات النامية

---

(٧١) د • مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ، الكتـاب الثالث موضوعه المدارس الاجتماعية المعاصرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ص٦٢، ٦٣ •

(٧٢) Durkheim E : The Division of Labour in Society Trans. by Simpson, The Free Pres of Glenco, Colliers Macmillan Limited , London, 1964 p. 30.

يتمثل فى عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى تأخذ بها هـذه المجـمعات ومستوى الحياة التى تقاس بكمية الخدمات الاجتماعيـة التى تتوافر للفرد فى المجتمع •

وقد حاولت المدرسة الوظيفية أن تدرس التركيب القائم للحضارة نفسها ووظيفتها وهذا الاتجاء التحليلى ، نتيجة للاتجاه الوظيفـى الذى ساد فى كل ألوان المعرفة البشرية فى القرن العشرين •

وقد ذهب البعض الى تفضيل استخدام مصطلح التغير الحضارى بدلا من التغير الاجتماعى • كما يقرر «كينجز لى ديفيز» أن التغـير الحضارى يشمل العلوم والفنون والتكنولوجيا والفلسفات وصور التنظيم الاجتماعى [٧٣] •

والتحضر كأسلوب لاحياة يؤدى الى تغيرفى سلوك وتفكيرالاشخاص• ونظرا لأن التصنيع من العوامل الفعالة فى خلق ظروف التحضر ، فانه يؤثر على سلوك الأشخاص ، ولـما كانت الدول النامية تسعى بصورة عامة الى رفع مستوى معيشة افرادها وزيادة الدخل القومى بها عـن طريق التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، ولتحقيق ذلك لا بد من أن تلجأ الدول النامية الى التصنيع كى تستطيع أن تحقق ما حققته الدول المتقدمة صناعيا وهو ما تحاول الدول النامية جاهدة الوصول اليه • فالدول التـى تعتمـد فى اقتصـادها على الزراعة تعتبر دولا متخلفـة وفى مرحلة سابقة على مرحلة المدينة الحديثة ، ولذا تعتبر الصناعة قمة التطـور الحضـارى الذى تنشده الدول النامية •

واذا نظرنا الى عملية النمو الحضرى التى تمر بها الدول الناميـة لاتضح لنا وجود كثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التى تجعل من الصعب توفير الحياة الانسانية المناسبة لسكان المدن • فعلى الرغـم من الجهود الكبيرة التى تقدمها الحكومة الاردنية للتغلب على بواعـث

---

(٧٣) Charles Loomis & Zonat K Loomis : Modern Social Theories , Op . Cit p 630.

هذه المشكلات وايجاد الحلول المناسبة لها ، فان الحقائق تشير الى عدم سهولة التغلب عليها ان لم يكن استمرارها وازدياد حدوثها ، وذلك يرجع الى مجموعة من العوامل التى من أهمها الخصائص السكانية غير الملائمة لهذه المجتمعات الحضرية وطبيعة بنيانها الاجتماعى والاقتصادى ومعدلات نموها .

فازدياد حجم المدن فى أى مجتمع نام ليس نتيجة لتغير مماثل فى معدلات التنمية الاقتصادية أو لتغير جذرى فى هيكل الحياة الحضرية، وانما راجع أساسا الى قوى الطرد الريفية التى دفعت بالمهاجرين من سكان المناطق الريفية الى التدفق على المدن سعيا وراء فرص عمل أو مستوى معيشى أفضل فى الوقت الذى لم تستوعب فيه هذه المدن سوى جزء ضئيل جدا منها . وبصورة عامة ارتبط التغير الحضارى فى المجتمع الأردنى بعملية التطور والنمو التدريجى والتى صاحبها فى الآونة الأخيرة ظهور تغيرات وظيفية واضحة لانساقه الاجتماعية التى شملتها خطط التنمية الثلاثية والخمسية والسباعية .

* * *

خامسا ـ التغير الاجتماعى وقضية التنمية :

١ ـ مفهوم التنمية وتعريفاته :

استخدم عدد من الدارسين مفهومى التنمية Development والتغير الاجتماعى Social Change وكأنهما يشيران الى موضوع واحد . كما أن مفهوم التنمية Development يتداخل مع عدد آخر من المفاهيم وبوجه خاص مفاهيم النمو Growth والتحول Transformation والتحدث Modernization ، اما علم التنمية فيشمل جميع الجوانب التى تسهم فى تنمية أو تقدم المجتمع سواء اعتمد ذلك على أسلوب تنمية المجتمع أو على تنسيق المجتمع ، أو على الانعاش الاجتماعى وغيرها من الأساليب التى تستند لمفاهيم مثل علم التنمية والتنسيق أو الانعاش والتى تؤخذ كمصطلحات لها وظيفتها كأداة للتنمية . وذلك بدوره يوسع دائرة التداخل بين مفهوم التنمية والمفاهيم الاجتماعية الأخرى .

وقد جاء فى تقرير لهيئة الأمم المتحدة أن التنمية ما هى فى الحقيقة الا تلك الجهود المبذولة من قبل المواطنين والحكومة فى سبيل تحسين أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فى المجتمعات المحلية لتسهيل اندماج هذه المجتمعات فى حياة الأمة والمساهمة فى تقدمها بقدر الامكان(٧٤) .

أما دينهام Dunham فيعرف تنمية المجتمع بانها الجهود المنظمة لتحسين ظروف الحياة فى المجتمع وذلك بتشجيع وحث المقيمين فى هذا المجتمع على مساعدة أنفسهم وتعاونهم بعضهم مع بعض مع تقديم المعونة الفنية اللازمة عن طريق المنظمات الحكومية والاهلية (٧٥) . فالتنمية كما يؤكد « هوبهاوس » هى المعرفة التى يمكن بواسطتها اكتشاف السيطرة على الموارد البشرية والمادية أو كما يقول أو للتفاعل بين الجانب الطبيعى والاجتماعى من أجل الرخاء والتقدم لجميع الأفراد(٧٦) .

وقد كان الاجتماعيون يرفضون اصطلاح « التنمية » فى تحليلاتهم للمفاهيم الاجتماعية Scial Concepts على أساس انهم يتناولون التغير بدون حكم تقويمى سواء كان هذا التغير الى أسوأ أو الى أحسن . الا أنهم يقومون بتحليل النتائج المترتبة على التنمية(٧٧) . وذلك لأن التنمية قوة دافعة تطيح بالمعوقات وتبعد السلبية وتمنع استخدام

---

(٧٤) United Nations Document E / 2931, Twentieth Report of the Administrative Committe on Coardination to the Economic and Social Council 1956 Annex 3. p. 2 .

(٧٥) Dunhan Arthur: Community Welfare Organization, Principle and Practice Thomas Grawel Co. New York 1958 p. 248.

(٧٦) Hobhouse L. T. : Social Development Its Nature and Condition. Op . Cit p. 1960.

(٧٧) Ponsioen J. A. : Social Welfare Policy First Coll ection Contributions to Theory Edited Movon & Co. Grave Hage 1962 , p. 35.

أساليب العنف وتوجه الطاقات البشرية من أجل تحقيق أهداف المجتمعات النامية لتحيل آثار السلبية الى قوة ايجابية لتحقيق أهداف وآمال المجتمع[٧٨] • والتنمية لا تهتم بجانب واحد فقط ، كالجانب الاقتصادى أو الاجتماعى مثلا ، وانما تمثل كافة جوانب الحياة الاجتماعية على اختلاف صورها وأشكالها فمنها ما هو اقتصادى ، ومنها ما هو اجتماعى ، ومنها ما هو نفسى اجتماعى ، ومنها ما هو ثقافى ومنها ما هو سياسى ومنها ما هو تربوى ، ومنها ما هو قانونى ، ومنها ما هو ادارى[٧٩] • وبذلك يرتبط بها حدوث تغيرات كيفية وكمية عميقة وشاملة • ومن ثم لا تكون البلاد المتخلفة فى حاجة الى عملية نمو بقدر ما تكون فى حاجة للتنمية وذلك لأن التنمية تشتمل على النمو وعلى التغير ، والتغير بدوره اجتماعى واقتصادى ، وكيفى وكمى[٨٠] •

ومن ثم تعددت آراء علماء الاجتماع والاقتصاد حول مفهومى النمو والتنمية فاصطلاح النمو يشير الى عملية الزيادة الثابتة أو المستمرة التى تحدث فى جانب معين من جوانب الحياة • أما التنمية فعبارة عن تحقيق زيادة سريعة تراكمية ودائمة فى فترة محددة من الزمن[٨١] • كما أن النمو يحدث فى الغالب عن طريق التطور البطىء والتحول التدريجى • أما التنمية فتحتاج الى دفعة قوية ليخرج المجتمع من حالة الركود والتخلف الى حالة التقدم والنمو • وبهذه الدفعة القوية تتناقض عملية التطور والتدرج[٨٢] • ولذلك تتطلب كما رأينا أحداث تغيرات

---

(٧٨) Hobhouse. L; T : Socical Development Ibid p. 92.

(٧٩) سيد عويس : علم الاجتماع فى بلد اشتراكى فعال فى الطليعة ، عدد ٢١٢ ديسمبر عام ١٩٧٠ ، السنة السادسة ، ص ٨٠ .

(٨٠) د • عبد الباسط محمد حسن : التنمية الاجتماعية ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، عام ١٩٧٠ ، ص ٩٠ .

(٨١) Pazos, Felipe : Requirement For Rapid Economic & Social Develoment in Social Aspect of Econemic Development in Latin America , Vol I 1965 p 175.

(٨٢) د .. عبد الباسط محمد حسن : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

وظيفية لكي يستطيع الكائن الحي أن يجابه تحديات البيئة ، وفي عملية النمو تكون التغيرات الوظيفية ضئيلة نسبيا بالمقارنة بعملية التنمية ، بينما التغيرات الهيكلية فى عملية النمو ضخمة نسـبيا اذا ما قورنت بعملية التنمية[٨٣] • وبذلك نجد ان التنمية تشتمل على النمو وعلى التغير ، والتغير بدوره اجتماعى وثقافى واقتصادى ، كيفى مثلما هو كمى[٨٤] • وبالرغم من كثرة المحاولات حول صوغ مفهوم التنمية الاجتماعية فانه لازال غير محدد المعالم • فهناك تعريفات عديدة لهذا المفهوم تتباين فيما بينها ويمكن ارجاع هذا التباين الى تباين الاستناد النظرى لصوغ المفهوم وتباين الايدولوجيات التى تستند عليها عملية التنمية وأساليبها ، ولذلك يمكن التمييز بين مدى التنمية قصيرا أو طويلا ، وبين مستواها قوميا أم محليا ، وأسلوب تدريجها هادئا (اصلاحيا) أم ثوريا •

ولقد استخدم عدد من الدراسين مفهومى التنمية والتغير الاجتماعى وكأنهما يشيران الى موضوع واحد •• وفى هـذا الصدد يمكننا أن نشير الى أرنولد توينبى فى دراسته عن كيفية ظهور الحضارات وتطورها ، وسوركن فى دراسته عن الانســاق الثقافية المتعددة التى تزدهر ثم تنـدثر ، وكارل ماركس فى دراسته عن الانهيار الجدلى للانســاق الاقتصادية وظهور انساق أخرى جديدة ، ودراسات كل من باريتو ، وماكس فيبر عن الصفوة والسلطة ، اذ ان تلك الوجهات تضع أحـد المفهومين محل الآخر • وعموما يمكن القول ان جميع هؤلاء الدارسين كانوا دارسين للتغير الاجتماعى وليس للتنمية •

والتنمية كمصطلح يستخدم دوليا على نطاق واسع لا يشير الى

---

(٨٣) د. • وفيق أشرف حسونة : معوقات التنمية الاجتماعية فى الريف المصرى ، ورقة مقدمة فى الحلقة الدراسية فى علم الاجتماعى الريفى ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، عام ١٩٧٠ ، ص ١١ •

(٨٤) محمد زكى شافعى : التنمية الاقتصادية ، الكتاب الأول ، مكتبة النهضة العربية عام ١٩٦٥ ، ص ١١ •

عملية نمو تلقائى ، وانما الى عملية تغير مقصود بها سياسات محددة ، ونشرف على تنفيذها هيئات توجيه مسئولة ، تعاونها هيئات على المستوى المحلى تستهدف ادخال نظم جديدة أو خلق قوى اجتماعية جديدة مكان القوى الاجتماعية الموجودة بالفعل ، أو اعادة تنشيطها بطريقة جديدة وتهيئة الظروف المختلفة لهذا الجانب من التغير الاجتماعى الذى يطلق عليه التنمية . وبذلك تتجه عملية التنمية الشـاملة الى أهداف مرحلية تتمثل فى مضاعفة الدخل القومى ورفع معدلات الدخول ، والى أهداف بعيدة تتمثل فى ارتفاع مستوى المعيشه والتوسع فى الخدمات الاجتماعية والرعاية الاجتماعية ، وتحقيق أقصى قدر من الوئام الاجتماعى .

٢ ــ علاقة التغير بالتنمية :

اذا أخذنا مفهوم التغير الاجتماعى على أنه تغير للمناشط الاجتماعية لتعمل بكفاءة ومقدرة وفاعلية ، تتزايد مع ما يقدم لها من خدمات . وهنا يجب أن تكون خطط التغير الاجتماعى بالنسبة للدول النامية متضمنة للوسائل الايجابية والسـلبية لمقابلة هـذه الزيادة المطردة أو للحـد منها . ولذلك يلاحظ ضرورة قيام ثقافة جديدة وأيديولوجيات جديدة وقيم مستحدثة تظهر مع تطور المجتمع النامى بعد أن أخذت بأسباب التغير ، وتؤدى بنا للنظرة التحليلية لعملية التغير الاجتماعى . وبذلك تتضمن التنمية التغير والنمو فى آن واحد . فعملية التنمية الاجتماعية تؤدى الى تغير فى المواقف التى تعرض لها فى حين أن تحريك المواقف والعقبات تعد بدورها شرطا أساسيا لتحقيق التقدم . وهـذا النوع من التغير والتطور ينطبق بصفة خاصـة على المحتوى الهدفى لأية عملية للتنمية . واذا كان الناس فى المجتمع يتصرفون فى حدود قيم ومعايير معينة ، فان عمليات التنمية يجب أن تضع فى اعتبارها القيم السائدة فى وظائفها الاجتماعية ، حتى يجرى تغيرها وتبديلها ، واذا ما أظهرت الأحداث استحالة قيامها مع عمليات تحريك المواقف والعقبات وفقا لمـا تتقبله السياسة التى وضعت على ضوئها خطة معينة للتغير ، ويجب مراعاة

التكامل والترابط بين خطط سياسات التغير الاجتماعى المختلفة حتى يتحقق التســـاند الوظيفى المطلوب بين منظمات وهيئات الانســـاق المختلفة لبناء المجتمع • وقد تتطلب بعض التغيرات التى تأتى بها اجراء تعديلات اجتماعية فى بعض جوانب ثقافة الأفراد وأساليب حياتهم ، وأنماط سلوكهم • وان عدم حدوث هـــذا التغير يؤدى الى وجود أنماط ثقافية لا تكون منسجمة مع الأوضاع الجديدة للحياة الاجتماعية مما ينتج عنه نزاع وصراع بين أنظمة حضارية متعارضة تؤدى الى المظاهر الانحلالية فى العلاقات الوظيفية للبناء الاجتماعى ، وان التغيرات الاجتاعية التى تتعرض لها أوضاع وأنظمة هذه المجتمعات ، والتى تتأثر بها أبنيتهـــا وأنساقها الجزئية والكلية وأنماطها المختلفة ، انما ترجع لهذه السياسات الايجابية التى ترسم بغرض احداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية لهذه المجتمعات وخط السير الناجح لها •

وفى هـــذا الصدد يجب أن نقوم على أساس عدم وجود فاصل بين أهداف السياسة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فهى تستهدف من وراء ذلك زيادة الدخل القومى ورفع مستوى المعيشـــة مما يتيح للمجتمع فرصة التوسع فى تقديم الخدمات لأفراد الشعب ، وبالتالى اتاحة فرصة الاستمتاع بها ، كذلك فان التنمية الاقتصادية منها لا تسير بخطى حقيقية ولا تؤتى ثمارها الا اذا توافرت لها الظروف الاجتماعية الملائمة والتى تدفع المواطنين الى العمل والبناء والانتاج الكفء •

وهكـــذا نجد ان الخطة الوطنية هى أساس النشـــاط الاقتصادى والاجتماعى فى المجتمعات النامية والتى تســـتهدف النهوض بانتاجها القومى فى النواحى الصناعية والزراعية والتجارية التى تستهدف الى جانب تحقيق التطور الاجتماعى منهـــا مع مراعاة التنسيق والربط بين الأهداف ، بحيث تتكامل جميعها على شكل خطة قومية واقعية تقدمية •

٣ ـ التنمية الاجتماعية والتغير :

يذهب البعض الى أن التنمية الاجتماعية مفهوم حديث للتعبير عن التغير الحضارى المقصود والمخطط ، والذى يتناول كل جوانب الحياة المـادية والبشرية فى اطار المجتمع القومى ، وكذا ما يتصل بالعادات والتقاليد وأنماط السلوك التى تحكم اتجاهات الأفراد بما يحقق استيعاب أكثر الطاقات وحشدها فى سـبيل رفع المستوى الاجتماعى واطراد نموه لمقابلة الاحتياجات المتطورة والمتزايدة للجماعات والأفراد فى ظل أيدولوجية تترجم آمال الأمة وتحاول أن تصور ما يجب أن يكون عليـه مستقبلها فى كافة الميادين(٨٥) •

والتنمية الاجتماعية لدى المصلحين الاجتماعيين تعنى توفير التعليم والصحة والمسكن الملائم ، والعمل المناسب لقدرات الانسـان ، وكذلك الدخل الذى يوفر الاحتياجات المختلفة والأمن والتأمين الاجتماعى والقضاء على الاستغلال وعـدم تكافؤ الفرص والانتفاع بالخدمات الاجتماعية • وبذلك لا تتناول التنمية الاجتماعية حسب المفهوم الاجتماعى جانبا واحدا ، وانما هى عملية تغير فى التركيب السـكانى للمجتمع ، أو فى بنائه الطبقى أو فى نظمه الاجتماعية وأنماط العلاقات الاجتماعية وفى القيم والمعايير التى تؤثر فى سلوك الأفراد ، والتى تحدد مكانتهم وأدوارهم فى مختلف التنظيمات الاجتماعية التى ينتمون اليها • بالاضافة الى أنها تتناول مختلف المشـكلات المتصلة بالتغير الاجتماعى والمشـكلات العماليـة ومشـكلات الهجرة والمشـكلات الأخرى الناتجة عن التغير السريع(٨٦) •

---

(٨٥) التخطيط للتنمية الاجتماعية فى ج.م.ع ، تقرير مقدم من وزارة الشئون الاجتماعية الى المؤتمر الثانى عشر للتنمية الاجتماعية والعمل ، جامعة الدول العربية ، الدورة الثانية ، القاهرة ٦/٩ مايو سنة ١٩٦٨ ، ص ١ •

(٨٦) د • محمد حسن عبـد الباسط : التنمية الاجتماعية ، المطبعة العمالية ، القاهرة ، عام ١٩٧٠ ، ص ١٠٠ ـــ ١٠١ •

✓ ولما كانت التنمية الاجتماعية بمثابة سلسلة من التغيرات الهيكلية والوظيفية اللازمة لنمو المجتمع[٨٧] . فقد نظر اليها باعتبارها العملية التى تعيد بناء المجتمع وتركيبه وتزيد النشاط وتوسع مجاله وتزيد التخصص وترشده ، وتكيف السلوك ، وتضفى طابعا نظاميا على أنواعه[٨٨] . وبذلك تكون التنمية عملية ديناميكية تحدث فى المجتمع ؛ وتجد مظاهرها فى تلك السلسلة من التغيرات الهيكلية والوظيفية التى تصيب مكونات المجتمع . وتعتمد هذه العملية على التحكم فى حجم ونوعية الموارد المادية والبشرية المتاحة للوصول بها الى أقصى استغلال ممكن فى أقصر فترة مستطاعة وذلك بهدف تحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة للغالبية من أفراد المجتمع .

وتؤدى بنا النظرة التحليلية لعملية التغير الاجتماعى الى أن التنمية هى تغير ونمو فى آن واحد . فعملية التنمية الاجتماعية تؤدى الى تغير فى المواقف التى تتعرض لها فى حين ان تحريك المواقف والعقليات هو بدوره شرط أساسى لتحقيق التقدم ، وهذا النوع من التغير والتطور ينطبق بصفة خاصة على المحتوى الهدفى لأية عملية للتنمية . واذا كان الناس فى المجتمع يتصرفون فى حدود قيم ومعايير معينة ، فان عمليات التنمية يجب أن تضع فى اعتبارها القيم السائدة فى وظائفها الاجتماعية حتى تجرى تغيرها وتبديلها اذا ما أظهرت الاحداث استحالة قيامها ، مع عمليات تحريك المواقف والعقليات وفقا لما تتطلبه السياسة التى وضعت على ضوئها خطة معينة للتغير .

---

(٨٧) وفيق حسونة : معوقات التنمية الاجتماعية فى الريف المصرى ، ورقة مقدمة فى الحلقة الدراسية فى علم الاجتماع الريفى ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، عام ١٩٧٠ ، ص ١ .

(٨٨) Dov Weintranb : Developmental of Change Towards a Generalized Conceptualization of its Basic Dimention of Relation Among them. Dev . of Sociology . Hebrew Uni, Jerusalem 1972 pp. 9 - 12.

وربما كان المفكرون الاقتصاديون أول من اهتموا بدراسة التغير وكانوا فى بداية الأمر يركزون اهتمــامهم ودراســتهم على الجوانب الاقتصادية للتغير ، دون التركيز أو الاهتمام بالجوانب الاجتماعية لها • الا أن ازدياد الاهتمام بهذا الموضوع على المستوى الدولى • والتخصص داخل العلم الواحد أدى الى اهتمام المفكرين الاقتصاديين بدارسة هــذه الجوانب ، وآثار اهتمام عــدد كبير من المفكرين الاجتماعيين لتناولها سسيولوجيــا •

ويوضح البروفوسور « سيمون كابزينر » أن التنمية الاتصادية للمجتمعــات الصـــغيرة ترجــع الى احساسهم بالمجتمــع المحــلى Sense of Comunity واستعدادهم للتغير عن طريق الضغوط والارغام ولا يمكن العمل على زيادة الوعى الاجتماعى لدى الأفراد الا عن طريق التغير فى أنماطهم الحضارية والثقــافية • ويقول « كــوال » Coole ان مجرد زيادة الاستثمارات الجديدة لا يؤدى بالضرورة الى سرعة التصنيع أو الى انطلاق عجلة المدينة الحديثة الى الامام بسرعة كبيرة فان تحقيق هذا الهدف يتطلب بصيرة نافذة فى تعبئة الموارد البشرية الميسورة للانتاج ، وتوزيعها ، وقيادتها قيادة فعالة تتناسب مع التشكيلات الجديدة لمتطلبات الانتاج ، ويقتضى الأمر تغير العادات والتقاليد التى ظلت تســيطر زمنا طويلا حتى يمكن الافادة من وســائل الانتاج الحــديثة(٨٩) •

ويرى المفــكران جيرهارد كولم Gerhard Colm وتيــودر جيجر T. Geiger ان للتنمية الاقتصادية فى البلاد المتخلفة أهدافا اجتماعية • فبرامج الانتاج الاقتصادية والتى تتضمنها التنمية الاقتصادية تستهدف فى الواقع رفع مستوى المعيشة للمواطنين وتحقيق الرفاهية الاجتماعية

(٨٩) Coale, Ansly J : Population and Economic Development In Philip M. Hauser (ed) The Population Dilemma , New Jersey, Prentice-Hall in - 1963 p. 49.

للسكان (٩٠) • كما أن « جونار ميردال » Gonar Mirdal يعتقد ان عمليات الانماء الاجتماعى بدأت تدخل النطاق الاقتصادى ، فاقتصاد أى دولة لا يقف جامدا دون تحرك ، بل انه فى تحركه نحو التنمية أو التخلف يؤدى الى درجة ما من الخدمات والمنتجات التى يحتاج اليها الناس فى المجتمـــع (٩١) •

والتنمية الاقتصادية لا تسير بخطى حثيثة ولاتؤتى ثمارها الا اذا توافرت لها الظروف الاجتماعية الملائمة ، والتى تدفع المواطنين الى العمل البناء والانتاج الكفء • فاذا كان الهدف الاسمى للانتاج هو توسيع نطاق الخدمات فان الخدمات تعمل بدورها كقوة دافعة لعجلات الانتاج • ولذا فالتغير الاقتصادى من وجهة نظر معينة انما يكون عاملا آخر من عوامل تغير هـــذه المناشط ، حيث ان المجتمعات النامية قد أخذت بأسباب الانماء الاقتصادى وتعمل على انماء الصناعة بها ، وتأكيد دخول الأجر عادة وما يطرأ على بيئتها الصناعية من تغيرات (٩٢) •

وقد تمكنت بعض الدول المتقدمة حاليا من تحقيق النمو الاقتصادى قبل أن تقع آثار المشـــكلة السكانية ، بعكس الدول النامية الآن ، والمهددة باحتمال انفجار سكانى فيها ، بدرجة تهدد كل سياسات وبرامج التنمية فيها بالخطر (٩٣) •

---

(٩٠) Colm Gerhard & Geiger Theodore : Puplic Planning and Private Decission , Making in Economic and Social Development in ward J Richard The Challing of Development Theory and Practice pp. 7 - 8.

(٩١) Snow Ander W, Charles & Others : Issues of Political Development (2) 1967 Printed by Permission, New Jersey p. 1.

(٩٢) Marshall , W., : Principles of Economics An Introductry, Volume Enghth Ed. Macmillan & Co. Ltd. London. 1956 p 518.

(٩٣) د . محمد مبارك حجير : السياسات المـــالية والنقدية لخطط التنمية الاقتصادية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، (بدون تاريخ) ، ص ٢٨ .

٤ ــ علاقة التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالتغير :

لاحظنا آن بعض علماء الاقتصاد آشاروا ولو بصورة عرضية الى أهمية الجوانب الاجتماعية فى التنمية الاقتصادية ، كما هو الحـال عند شومبيتر وروسو ، وذلك لأن التنمية الاجتماعية لا يمكن فصلهـا عن التنمية الاقتصادية نظرا للارتباط الوثيق بينهما • ومن الأمور المتفق عليها فى الوقت الحاضر ان يتضمن التخطيط فى الدول النامية ، وحتى المتقدمة موازنة بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية • واذا كانت التنمية الاقتصادية تؤدى فى المدى البعيد للوظائف الاجتماعية التى تستهدف رفاهية الانسان ورفع مستوى معيشته • فان التنمية الاجتماعية تؤدى اضافة الى وظيفتها الأساسية وظيفة اقتصادية حيث تستهدف تحقيق أقصى استثمار ممكن للطاقات والامكانيات البشرية فى المجتمع • ولكن هناك بعض اجراءات التنمية تطبع بطبيعة اقتصادية بحته دون الاهتمام بتحقيق أهداف اجتماعية • فزيادة الانتاج مثلا هدف اقتصادى • حيـث لا تتحقق بمقتضاه زيادة الرفاهية الاجتماعية من عدالة توزيع الدخل بـين المواطنين بعد زيادته بطريقة تضمن لكل انسان مستوى انسانيا ملائمـا من المعيشة [٩٤] • ولذلك كانت التنمية عملية معقدة ، لأنه من الخطـأ التركيز على العوامل الاقتصادية المجردة فى التنمية الاقتصادية دون أخذ الجوانب الاجتماعية فى الاعتبار • وذلك لأن معظم مشروعات التنمية التى بدأت دون أن تأخذ فى اعتبارها نوع التنظيم الاجتماعـى السائد وسياقه الاجتماعى والثقافى قد واجهت كثيرا من المقاومـة والمعارضة [٩٥] •



(٩٤) د • عبد المجيد فراج ، الاقتصاد والاجتماع والتنمية ، مقال فى الأهرام الاقتصادى ، العدد ٣٢٨ ، ص ٤٥٨ ــ ٤٦١ •

(٩٥) Foster , Philip : Education and Social Change Chicago Press, Chicago 1968 p. 38.

سادسا ــ التغير الاجتماعي والتحديث :

ثمة علاقة واضحة بين التحديث والتغير الاجتماعى ، تتحدد أبعادها بمعرفة أبعاد الدور الذى تمارسه جماعات الصـــفوة Elites فى تحديث الأمم ، سواء كانت الصفوة المثقفـــة أو البيروقراطيـــة أو العسكرية • اذ أن هـــذه الجماعات المختلفة تلعب دورها فى عمليـــات التحول الاجتماعى ، ولهذا الدور تأثيره الواضح فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية • ومن ثم ذهب « جاسون فنكل » و « ريتشارد جابل » الى حد القول بأن عملية التحديث تؤدى الى تغير العلاقات الاجتماعية واضعاف المعايير القديمة والتقاليد التى كانت ترشد الأفعال • كما أن القادة القدامى يفقدون مراكزهم ويفقدون أيضا سلطاتهم السياسيـــة والاجتماعية التى كانت مرتبطة بمركزهم • كما أن التفاوت قد يوجـــد بين من يميلون للتحديث والجماهير العادية • وهنا يشيران الى أن هـــذه التحولات قد تثار وترشد فى الغالب عن طريق الجماعات الصغيرة والتى نسميها بجماعات الصفوة • والتى يتوافر لها قسطا كبيرا من السلطة فى الجماعة أو المجتمع على نحو ما ذهـــب اليـــه « هارولد لاســـول » Harold Lasswell والواقع أن التنمية السياسية هى قمة السلطة للجماعة فى النسق السياسى وهى تمثل الأشـــخاص الذين تتوافر لديهم السلطة التى تمكنهم من انجاز الأهداف (٩٦) • ومن ثم أخذ « سدانلى بايز » التحديث بمعنى اتجاه الدول للاقتصاد المخطط الذى يحقق التنميـــة الاقتصادية (٩٧) • ولذا يكون للتحديث هنا علاقة بالتغير الاقتصادى فى المجتمع ، كما أنه على علاقة واضحة بالتغيرات الاجتماعية سواء علـــى

---

(٩٦) Finkle, Jason L; & Gable R : chard W. : Political Development & Social Change N. Y. John Wiley & Sons, Ine 1971. p. 232.

(٩٧) Payse Sdanleh . Political Ideology and Economic. Modernization : World Politics , 1975 Vol . 27 . p. 171.

مستوى العلاقة الاجتماعية أو المعايير [٩٨] ، وظهور التخصص وغير ذلك من سمات حضارية .

وفى ضوء ذلك نسير فى معالجتنا لموضوع التحديث فى الخطوات التالية :

* مفهوم التحديث والاتجاهات النظرية لمعالجته .

* خصائص المجتمعات المستحدثة .

* مظاهر التغير الاجتماعى فى عملية التحديث .

وذلك ما سوف نتعرض له بشىء من التفصيل على النحو التالى :

١ — مفهوم التحديث والاتجاهات النظرية لمعالجته :

تأثر تعريف مفهوم التحديث بالاتجاه النظرى الذى يتناول المفهوم . فقد تناول البعض مفهوم التحديث فى علاقته بالتنمية الاقتصادية ، ولذا عرفه « سدانلى بايز » بأنه يتمثل فى اتجاه الدولة للتخطيط الاقتصادى بهدف تنمية المجتمع [٩٩] . وبذلك يربط هذا الاتجاه بين التحديث والتنمية الاقتصادية وما يصحبها من تغيرات اقتصادية فى المجتمع . وقد عرف « دافد ابتر » David Apter التحديث وهو بصدد تحليل عواقبه السياسية بأنه يعنى انتشار وتوزيع للادوار المنتظمة فى المجتمعات بما يخدم الغرض الوظيفى فى عملية التصنيع [١٠٠] .

كما استخدم « جورج بلانكستين » المفهوم على أنه يشير لعملية التغير عن طريق اكتساب أو استعارة الانساق التقليدية للخصائص المرتبطة

---

(٩٨) Finkle & Gable : Ibid . P. 233.

(٩٩) Payse , Sdanley : Op cit . p 171.

(١٠٠) Ake, Claude : Modernization and Political Instability World Politics. 1974. Vol. 26. N. Y. p. 577.

بالمجتمعات الاكثر تقدما ، والاقل فى طابعها التقليدى[١٠١] • ومن ثم عرف « جاسون فنكل » و « رينشارد جابل » التحديث بأنه العملية التى يتم خلالها تغير العلاقات الاجتماعية والمعايير التقليديه وتقاليد الماضى التى كانت توجه الأفعــال ، وتخلق التفــاوت بين القائمين بالتحديث والجماهير[١٠٢] • وبذلك نجد أن تعريف مفهوم التحديث رغم تاثره بالاتجاهات النظرية الا آنه يشير فى غالب الامر الى تلك العمليه التــى يترتب عليها احداث تحولات فى انساق المجتمع ونظمه ، ما يترتب عليه تغير فى الطابع التقليدى للمجتمع ، والأخذ بأسلوب الحياة السائدة فى المجتمعات الاكثر تقدما •

وان كان مفهوم التحديث قد حظى باهتمام العلماء الاجتماعيين خاصة فى الآونة الأخيرة ، مما ترتب عليه ايجاد تراث حول مفهــوم التحديث ، الا أن المفهوم ما زال يحتاج للكثير من المعالجات التى تكشــف عن بعض جوانب الغموض والتداخل بينه وبين المفاهيم الاخرى مثــل التغير والتنمية ، والتحضر من ناحية ، ومدى ارتبــاطه بالاتجاهات من ناحية أخرى • خاصة وان نظرية التحديث ما تزال فى مراحلهــا الأولى من البلورة والصياغة نظرا لأن الاهتمام بمفهوم التحديث لم يظهر الا مؤخرا • الا أن التحليل السسيولوجى للمفهوم يقتضى ربطــه بالاتجاهات النظرية الاساسية فى علم الاجتماع ، لكى يســاعدنا ذلك على تحديد ابعاد الصياغة النظرية لمفهوم التحديث والاتجاهات الفكرية التى تناولته • فاذا كانت النظرية الوظيفية تركز على النظرية الكليــة والشمولية لتغير النسق ، فان النزعة الجدليه تركز على أهميه البنــاء التحتى والنظام الاقتصادى فى عملية تغير النسق ومن ثم برزت اتجهات

---

(١٠١) Blanksten, George : Modernization and Revolution in Latin Americq : See Barringer Herbert : Social Change in Developing Areas : Cambridge. Schenkman Publishing Company 1965. P. 225 .

(١٠٢) Frinkle, & Gable : Op , cit. p. 233.

مماثلة لتلك الاتجاهات الفكرية فى النظرية السسيولوجية لفهم التحديث • وذلك ما يمكن تلمسه من خلال تحليلنا للتراث النظرى •

اذا تناولت بعض النظريات التحديث على أنه عملية عضوية أو شمولية متضمنة للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالاضافة للاتجاهات والبناء السياسى ، وغيرها من الملامح المتفاعلة مع بعضها(١٠٣)، خلال عملية التحول • وبذلك يتسق هذا الاتجاه فى فهمه لعملية التحديث مع النظرية الوظيفية فى علم الاجتماع •

أما الاتجاه الآخر فيتناول التحديث متأثرا بالنظرية الجدلية ، ومن ثم يركز بوجه خاص على التنمية الاقتصادية باعتبارها متغيرا مستقلا أو محددا للتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية والسيكولوجية •

ورغم أن نظرية التحديث ما زالت حديثة العهد ، ولم تنل من الشيوع ما بلغته النظريات الأخرى ، الا أن الاستعانة بها تفيد فى عملية تحليل الواقع الاجتماعى فى المجتمعات المستحدثة وتفسير مظاهر التغير بها ، والتنبؤ بمستقبلها •

ومن هذا الحوار يتبين لنا العلاقة الواضحة بين التحديث والمفاهيم الأخرى المرتبطة بالتغير وذلك ما ذهب اليه جون اتيرنر Eturner حيث أكد أن التحديث باعتباره عملية موكبة ومعقدة يتضمن التصنيع والتحضر والترشيد والعلمانية (١٠٤) ث

٢ ـ خصائص المجتمعات المستحدثة :

للمجتمعات المستحدثة خصائصها الواضحة من خلال التعريفات والتحليلات النظرية لمفهوم التحديث • فقد تبين من تعريف « هربرت

---

(١٠٣) Gregor , A. James : Fascism and Modernization ; World Politics , 1974 . Vol XXVI. V. 3 . P. 370.

(١٠٤) Gregor, A : Ibid . p. 371.

بارينج » Herbert R. Barring و « جورج بلاكستين » Gorge Blaksten و « ريموند مارك » Mack Raymond W أن التحديث يشير لعملية التغير التى يتم خلالها اكتساب الانساق التقليدية لخصائص المجتمعات الأكثر تقدما • وهذه الخصائص التى حددوها هى : الدرجة العالية من التحضر والمعرفة الواسعة والدخول العالية • والحراك الاجتماعى والجغرافى والدرجة العالية للاقتصاد التجارى والصناعى • والاتصال الجماهيرى(١٠٥) •

وقد اقترح ماكس فيبر أن الخصائص السياسية لهذا المجتمع الحديث تتضمن : النظام الادارى والقانونى التى يتم تغيره بواسطة التشريعات والهيئة الادارية والسلطة المفروضة على الاشخاص ، ومشروعية استخدامها (١٠٦) •

واذا كان « ماكس فيبر » قد ركز اهتمامه حول الخصائص المرتبطة بالجانب السياسى فى المجتمعات المستحدثة ، فان « جون اتيرنر » قد اقتنع تماما بأن التحديث باعتباره عملية معقدة تتضمن التصنيع والتحضر والعلمانية والترشيد وهى المؤشرات الموضوعية التى استمد منها الخصائص الاربعة للمجتمع المستحدث بوجه خاص ، وللتحديث بوجه عام • ومن ثم اعتبر هذه المؤشرات الأربعة بمثابة مفاهيم تحليلية لخصائص التحديث ، حيث يكون التصنيع متقدما ، وذات طابع تكنولوجى متقدم ، فضلا عن ارتفاع مظاهر الحضرية ، وظهور المدن الكبيرة فى اطاره ، ووضوح الجانب العقلانى به ، حيث تسير الامور بناء على الترشيد فضلا عن ظهور الجانب العلمانى وضعف الجانب القدرى فى مختلف المجالات • وقد دلل « جون اتيرنر » على ذلك بامثلة حية من

---

(١٠٥) Blanksten, George : Op . cit . p 255.

(١٠٦) Bendix, Reinhard : Max Weber : An Intellectual. N. Y. Doubleday and Co., Inc, 1960, p. 413.

الدول الاشتراكية مثل الصين والاتحاد السوفييتى واليابان ، والتى أخذت بسايسة التحديث ، ومن ثم توفرت فيها هذه السمات والخصـــائص المشار اليها سلفا [١٠٧] • وذلك رغم اختلاف الاساس الايديولوجى لعملية التحديث •

٣ - مظاهر التغير الاجتماعى فى عملية التحديث وآثارها الاجتماعية :

لما كانت عملية التحديث مرتبطة بتغيرات حضارية وصناعيــــة واقتصادية واجتماعية فقد بات تحليل علاقة التغيرات الاجتماعية بعملية التحديث من الأمور الهامة للوقوف على خاصية البناء الاجتماعى فـــى ظروف عملية التحديث ، وما يتعرض له من حالات عدم الاســــتقرار والصراع ••• وغير ذلك من جوانب متغيرة فى المجتمعات المستحدثة • ذلك لأن تقييم الافكار الاجتماعية لعملية التحديث تقتضى منا أن نتناول مظاهر هذا التغير البنائى وعوامله التى تؤثر وتتأثر بعملية التحـــديث والتى ترتبط بدورها بمظاهر التغير الحضرى ، حيث انهارت معها سلطة القيم الروحية للهيئة الدينية نظرا لانتشار التيارات العلمانية[١٠٨] وهى خاصية أساسية من خصائص المجتمعات المستحدثة وان كانت هنـــاك اتجاهات تهتم بمكاسب التحديث المتمثلة فى التصنيع والتقدم المـــادى والرعاية الاجتماعية والترشيد السياسى ونمو الحضرية وغيرها من نتائج عملية التحديث • فان هناك اتجاها آخر يشـــير الى أن للتحديث تكاليف اجتماعية متعددة منها الفساد Corruption ، وتلوث البيئة وغيرهـــا من المشكلات الاجتماعية والشخصية التى نلمسها فى الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة والدول النامية بشكل عام [١٠٩] • ومن ثم نعرض هذا

---

(١٠٧) Gregor , A. James : Op. cit p. 371.

(١٠٨) د • مصطفى الخشاب : الاجتماع الحضرى ، القاهرة ، مكتبـــة الانجلو المصرية ، عام ١٩٧٦ ، ص ١٦٢ •

(١٠٩) Powell, David . E : The . Social Costs of Modernization World Pol : T : cs 1971. Vol 23 N. Y. p 618.

البند فى نقطتين :

ـــ مظاهر التغير الاجتماعى فى عملية التحديث .

ـــ الآثار الاجتماعية لعملية التحديث .

(ا) مظاهر التغير الاجتماعى لعملية التحديث :

نتبين من التحليل السابق أن عملية التحديث شاملة لكافة الجوانب الاجتماعية والثقافية والاتجاهات السياسية وغيرها من الجوانب المتفاعلة مع بعضها خلال هذه العملية . كما نتبين أن هناك تغيرات تطرأ على خصائص المجتمع المستحدث تتمثل فى تقدم التصنيع بتنظيماته ، والتكنولوجيا المتقدمة ، وما يترتب عليه من نهوض بالانتاج والدخل القومى وزيادة فى دخول الأفراد ، وتحسين مستواهم التعليمى . هذا بالاضافة الى تقدم سبل الرعاية الاجتماعية للعمال والاسر والطفولة والشباب والشيوخ واتساع دائرة النشاط التجارى ، وتزايد الترشيد السياسى ، فضلا عن نمو الحضرية واتساع دائرة المدن الحضرية وما يترتب على ذلك من مظاهر تقدم للمجتمع [110] ، واتساع المؤسسات وتزايدها وتغير نمط العلاقات الاجتماعية ، وظهور التخصص وغير ذلك من مظاهر الحياة فى المجتمع الحضرى [111] .

(ب) الآثار الاجتماعية لعملية التحديث :

لعمليات التغير الاجتماعى المصاحب لعملية التحديث ابعادها المتعددة على المستوى السياسى والاجتماعى والشخصى ولا شك أن هناك بعض الآثار الاجتماعية المترتبة على جوانب التغير المختلفة فى عملية التحديث وذلك ما دفع بدافد بوول David Powell الى حد القول بأنه

---

(١١٠) Gregor, James : Op . cit . p 371.

(١١١) د . مصطفى الخشاب : الاجتماع الحضرى ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، عام ١٩٧٦ ، ص ٦٦ ـــ ٦٧ .

لا داعي للتمادى فى ذكر انتصاراتنا على الطبيعة لأن لهذه الانتصارات وتلك المكاسب المصاحبة لعملية التحديث تكلفتها الاجتماعية وسوف نناقش هذه الاثار بالنسبة للجوانب السياسية ، والاجتماعيه ، والشخصية :

*** أثر عملية التحديث على الاستقرار السياسى :**

طرح « كلود آك » سؤلا أساسيا فى دراساته للتحديث وعدم الاستقرار السياسى ، يستفسر فيه عن أثر عملية التحديث على الاستقرار السياسى •• وسعى لتفسيره والاجابة عليه نظريا ، باقتراح وجود أسباب لتوقع عدم الاستقرار السياسى فى المجتمعات المستحدثة فى حين أن المجتمعات التقليدية لا تعانى من عدم الاستقرار السياسى • وهنا تكون الفرضية التى يطرحها للمناقشة متمثلة فى علاقة عملية التحديث بعدم الاستقرار السياسى • فاذا كان الاتجاه العام فى التراث الفكرى حول التحديث يربط بين التحديث والانومى أو صراع الدور ، وذلك للاعتقاد بأن التحديث يتسم بتغير المعايير والقيم نتيجة للتغير الكبير المفاجىء ، وعدم التوجيه ، مما يضعف الروابط الاجتماعية وميكانزمات الضبط الاجتماعى (١١٢) ، ويؤدى الى خلق الضغوط السيكولوجية ، ومن ثم تؤدى هذه العوامل بدورها الى خلق عدم الاستقرار السياسى (١١٣) Political Instability ، وقد أكد دافد ابتر David Apter هذا الوضع فى المجتمع الصناعى • الامر الذى يؤكد ما ذهب اليه (آك) بالنسبة للمجتمعات المستحدثة •

*** الآثار الاجتماعية للتحديث :**

ولم يكتف كلود آك بالعواقب السياسية وعدم الاستقرار السياسى للتحديث بل ذهب الى حد أبعد من ذلك بتأكيده ان لعملية تحديث المجتمعات آثارها التالية :

---

(١١٢) Ake, Claude : Op . cit : p. 576.

(١١٣) Ake , Claude : Ibid p . 576.

ـ حيث يصاحب عملية التحديث ضعف واضمحلال التكامـــل المعيـــارى •

ـ كما أن العديد من الأدوار المعقدة فى حاجة الى ادارة قد لا تتوافر فى مراحل التحديث الأولى •

ـ تزايد التطلعات مع عـــدم توافر المقدرة الكافية فى الأفعـــال لتحقيقها ، مما يترتب عليه فقدان ثقة الأفراد فى أنفسهم ، وفقـــدان ثقتهم فى استجابة الآخرين المتفاعلين معهم لهم •

هذا بالاضافة الى ما ذهب اليه « ابتر » من التحديث غير متكامل ، وذلك لقناعته الفكرية الراســخة ، بانه كلما استحدثت المجتمعـــات فان التكامل المعيارى للنسق السابق يأخذ فى الضعف • وأبتر محق هنا فى قوله : بأن التحديث يمكن أن يضعف التكامل المعيارى للنســـق التقليدى ، ويؤدى الى صراعات الدور • غير أن « ابتر » لا يستكمل لنـــا الصورة حول النتائج المترتبة على التحديث ، خاصة فيما يتعلق بتكامل المجتمع • وذلك لأن عملية التصنيع ترتبط بالمعايير البيروقراطية وتطلعات البيروقراطية التى لا تكون متجانسة مع الانماط التنظيميـــة والمعـــايير بالمجتمعات التقليدية [١١٤] • واذا كان التصنيع يجر معه بعض مصـــادر الصراع الا أن التصنيع يساعد على تجميع الناس ويؤدى الى انشـــاء التنظيمات الاكثر تجانسا ، ويســـاعد على خلق الوعى الاجتمـــاعى والاقتصادى الطبقى • هذا ويؤدى التحديث الى تكثيف الصراع بزيادة الاختلافـــات البنائيـــة على نحـــو ما ذهب اليـــــه ونر وهـــوزليتز Weiner & Hoselitz [١١٥] •

* الآثار الشخصية للتحديث :

ذهب كل من « ابتر » و « باى » الى أن التحديث عملية غير متكاملة نتيجة لما يترتب عليه من ضعف المشاعر والعواطف المترابطة والتى تؤثر

(١١٤) Ake Claude : Op . cit p. 580.

(١١٥) Ake Claude : Ibid p. 581.

على عدم ثقة الفرد في الآخرين ، وتوقعاته السلوكية [١١٦] • وقد أكد هذا الاتجاه ما ذهب اليه كل من هوزليتز ، وونر بالنسبة للتحديث ، وعلى وجه الخصوص النمو الاقتصادى باعتباره عاملا له تأثيره على خلق التبلد السياسى والعزلة هذا فضلا عما ذهب اليه كلود آك من أن التحديث يؤدى الى زيادة التوقعات والتى سرعان ما يتحول الى ثورة [١١٧] • هذا فضلا عن كون التحديث عاملا فعالا فى احداث التغير الاجتماعى السريع والذى يؤدى الى ظواهر الفساد ، والتى تؤدى بدورها الى ظاهرة العنف • والفساد هو السلوك الذى ينحرف عن المعايير المقبولة فى النظام لخدمة الغايات الخاصة •

ومع ذلك فانالتحديث اثاره الطيبة وهذا ما ذهب اليهونر وهوزليتز ، اذ أن التحديث والنمو الاقتصادىيؤديان الى توافر التسهيلات التعليمية، وخلق الجماعات الجديدة • هذا فضلا عنكون التحديث يؤدى الى خلق التنظيمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الاكثر تجانسا مما يترتب عليه خلق الوعى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى •

وبذلك يكون للتحديث علاقة واضحة بالتغير الاجتماعى والتحضر وذلك ما اقتنع به جون تيرنر John E. Turner حيث ذهب الى أن التحديث عملية معقدة تتضمن التصنيع والترشيد والعلمانية والتحضر [١١٨] • ونفس الشىء أكده « جورج بلانكستين » حينما ذهب الى أن مفهوم التحديث يشير الى عملية التغير التى يتم عن طريقها اكتساب الانساق التقليدية للخصائص المرتبطة بالمجتمعات المتقدمة • ومن هذه الخصائص درجة التحضر العالية [١١٩] •

* * *

---

(١١٦) Ake Claude : Ibid p. 578.

(١١٧) Ake Claude : Ibid p. 583.

(١١٨) Gregor, A. James : Op . cit . p. 371.

(١١٩) Blanksten, George : Op . cit . p. 225.

الفصل الثانى

المسار التاريخى والايديولوجى للتغير

كان للمحاولات المختلفة التى تناولت مفهوم التغير الاجتماعى فى فترات تاريخية مختلفة أثرها الواضح على تعيين أبعاد المفهوم وخصائصه ، كما أنها أسهمت فى ادخال تغيرات بنائية ووظيفية عليه • وان كانت الدراسات السابقة للتغير قد أسهمت فى تطور المفهوم باثارة قضايا نظرية ومنهجية مختلفة تتعلق به وبتعريفه واتجاهاته وعلاقته بالمفاهيم الأخرى ، مثل التطور والتقدم • فان الاتجاهات المعاصرة والحديثة كان لها أثرها الواضح على المفهوم وتحديد أبعاده • ألا أن الاهتمام الحديث بالتغير قد تزايد نتيجة لتعرض المجتمع البشرى لتغيرات سريعة بالصورة التى جعلت الكثير من العلماء ينظرون اليه باعتباره محور الحياة الاجتماعية المتغيرة • الا أن وضوح الالتزامات الايديولوجية واختلاف مواقف المفكرين من النظام القائم قد أثر على المفهوم فى تعريفه وتحديد علاقته بالمفاهيم الاخرى ، وذلك طبقا الميل الايديولوجى الذى يلتزم به الباحث • هذا بالاضافة للاهتمام المتزايد بالتغير والذى بدأ بالتركيز على الحتمية العاملية ، ثم بدأت النظرة العاملية تخف الى حد ما فى الفكر المعاصر • وبعد ذلك ظهرت اتجاهات حديثة فى فهم التغير الاجتماعى وذلك ما سوف نناقشه على النحو التالى :

* المسار التاريخى للتغير •
* اختلاط التغير بالايديولوجيات •
* الاتجاهات المختلفة فى التغير •

* * *

أولا : المسار التاريخى للتغير الاجتماعى :

شغلت قضية التغير اهتمام المفكرين والفلاسفة الاجتماعيين ، ومن ثم تناولوا هذا الموضوع فى سياق تفكيرهم العام فى المجتمع • وقد برز اهتمامهم بهذه القضية من خلال تركيزهم على طريقتين أساسيتين فى تحليل المجتمع والحضارة بشكل عام •••• تمثلت الطريقة الأولى فى الدراسة المقارنة لمجتمعات وحضارات مختلفة • وتمثلت الطريقة الثانية فى دراسة وتحليل المجتمعات بشكل عام وقبل أن نتناول هاتين الطريقتين نشير لبعض تلك النظريات القديمة في التغير الاجتماعى حيث كان هناك نظرة قديمة تربط التغير الاجتماعى بالارتدادية ، وذلك ما أبرزه « ولسن واليز » Wilson Wallis فى كتابه التقدم والثقافة• وكان ذلك هو الرأى السائد فى بلاد المشرق القديم وذلك ما تضمنه كتاب الحكيم الصينى « لاوتيس » Lauties والذى عاش عام ٦٠٠ ق•م ، هذا فضلا عن ظهور أعمال أخرى ابداعية فى بعض البلاد تؤكد على أن الانسان عاش فى الاصل فى حالة سعادة تامة ، وهذا هو المفهوم الذى ساد العصور الأولى • ومن ذلك الحين وفكرة الارتداوية واضحة فى كتابات واعمال المفكرين ، الى أن ظهر رأى آخر فى فهم التغير الاجتماعى ، وان كان أقل شيوعا عن سابقة الا أنه نشأ مصاحبا له ، وهو يتمثل فى أن تاريخ البشرية يسير فى دورات ثابتة وطبقا لهذه النظرية يعيد التاريخ نفسه بعد أن يمر فى سلسلة من المراحل ويرجع الى المرحلة الاصلية ، ثم يبدأ الدورة ثانية • وقد تمسك بهذا الرأى بعض الكتاب الهنود • فكان واضحا فى المذهب البودست Buddist وقد أشار ج • بيرى J Bury فى كتابه فكرة التقدم الى أن ذلك المفهوم ظهر أيضا فى تعليمات فلاسفة اليونان والاغريق ، وعلى وجه الخصوص عند الفيلسوف اليونانى ماركيز اير اليز Marcus Uralius [1]

---

(١) Koeing , Samuel : Sociology. Op . cit pp. 278 - 280.

ثم واصل الفكر البشرى مسيرته فى تناول التغير الاجتماعى وظهر رأى قديم آخر يستوضح مجرى التاريخ وهو ذلك الرأى الذى تعرض له نيويل سمز Newell Sims فى كتابه مشاكل التغير الاجتماعى حيث اسماه بفكرة الارتقاء Idea of Accent وطبقا لهذه النظرية التى ندر تداولها نسبيا يأخذ التغير الاجتماعى مكانه فى اتجاه تصاعدى اذ أن الانسان يستمر فى التقدم من الحالة البدائية حتى يصل الى حالة التقدم حيث لا يتوقع تقدم بعده • ولقد عبر عن ذلك فى كتابات الاغريق الشعرية ، وفى فلسفة الابيقوريين ، وفى أعمال الشعر الرومانى وفلسفة لاكريتس Lacrtius ؛ وبصورة عامة يمكن القول ان الاتجاه القديم فى التغير كان اتجاها سلبيا حيث تمسكوا بالرأى المتشائم وبان التغير يؤدى الى عواقب وخيمة •

وفى القرون الوسطى عولج التغير متأثرا باهتمامات الناس فى تلك الفترة حيث كان اهتمامهم منصبا على القوى الخارقة فى توجيه التغير الاجتماعى • ومن ثم انحصر اهتمام الانسان فى فهم التغير على أساس معتقداته ، وتصوراته الاسطورية • وجدير بالذكر أن الاعتقاد الذى ساد تلك الفترة كان يشير الى أن الأهداف الخاصة يحققها الله • وان هذه الأهداف سوف تتكامل فى لحظة ما ، والعالم يمضى الى المنتهى ؛ ويمثل هذا المذهب منتهى الارتدادية والتشاؤم ولم يكن فيه نقطة مضيئة سوى أمل الانسان فى وجود حياة سعيدة فى المستقبل ، والجدير بالذكر هنا أن هذا الاتجاه لم يتضمن الفكرة الخاصة بأن القوى البيئية لها دور كبير فى بلوغ الغاية • ولقد لعب قادة الفكر دورا كبيرا فى تطوير الاتجاه الحديث نحو التغير الاجتماعى ، وقد كان من ابرز المفكرين العرب الذين تناولوا التغير الاجتماعى العلامة ابن خلدون ، حيث اهتم بعملية الارتقاء الاضطرادية وبتاريخ الانسانية وبذلك مهد لفهم جديد لظاهرة التغير الاجتماعى [٢] •

(٢) Koenig, Samuel : Op . cit . p. 281.

وفى مستهل العصور الحديثة عولج التغير باعتباره اتجاها تقدميا ونظر اليه على اعتبار انه تقدم مستمر ، وكان ذلك واحدا من الآراء التى شاعت فى مستهل العصور الحديثة حيث نظر للفكر الانسانى على انه قادر على تغيير النظام الاجتماعى وهذه النقطة الجديدة فى الفكر البشرى تعكس الثقة المتزايدة فى الفرد واقتناعه بأنه سيد لمصيره • فالتغير الذى يعتمد فى رأى الانسان أساسا على أكثر من مصدر واقعى من بيئته• وعلى وجه الخصوص فى العالم الطبيعى، رأى متفائل فى التغير الاجتماعى• ولقد اعتنق هذا الرأى عدد كبير من المفكرين المحدثين فى القرن السابع عشر ، فعرفه فرانسيس بيكون Francis Bacon بأنه تقدم مستمر ، واستقر هذا المفهوم وسار أكثر وضوحا فى أعمال المفكرين الفرنسيين وعلى وجه الخصوص « تيرجو » وكوندرسيه Condercet فى القرن الثامن عشر ، ثم توصل تيرجو الى أن المجتمع الانسانى يأخذ فى التغير التدريجى الا أن اتجاه تغيره تقدميا دائما حتى أعلى المستويات، حيث يكون المجتمع البشرى دائما عاقد العزم للوصول الى أعلى حالات كماله • وقد ذهب « كوندرسيه » من قبل تيرجو معتقدا ان الكمال البشرى غير محدود ، وان عمليات التطور الاضطرادية سوف تظل فى استمرار ، فى طريقها الاضطرادى بلا انتهاء •

وقد تصور الاجتماعيون الاوائل ان التغيير يتدرج تقدميا فى مراحل محددة من المستويات الدنيا الى المستويات العليا • وبالمثل كانت ملاحظة « أوجست كونت » وتسليمه جدليا بوجود مراحل ثلاث متمثلة فى المرحلة التيولوجية والمرحلة الميتافيزيقية والمرحلة الوضعية معتقدا ان الجنس البشرى قد مر فى تطوره خلال المرحلتين الأولى والثانية متدرجا فى التقدم حتى وصل للمرحلة الوضعية • ففى المرحلة الاولى يعتقد الانسان فى القوى فوق الطبيعية باعتبارها القوى التى ترسم معالم العالم ، ثم يرتقى اعتقاده تدريجيا من القوى ذات الاثر السحرى الى قوى الآلهة الى الوجدانية • وهذه الحقيقه استمرت

فى نظره حتى بداية العصور الحديثة حيث وصل الى المرحلة الميتافيزيقية، وهى المرحلة التى حاول الانسان فيها أن يفسر الظاهرة مستندا الى المنطق • أما المرحلة الوضعية فهى المرحلة العلمية حيث يعتبر الانسان ان البحث عن الاسباب النهائية ميوؤس منها وغير ضرورى واهتم ببحث الوقائع المفسرة التى يمكن ملاحظتها عمليا • ومن ثم يعتقد كونت أن هذا المفهوم يتضمن التقدم والذى يتحقق اذا ما تبنى الانسان الاتجاه الوضعى فى بحثه من أجل الطبيعة والظاهرة الاجتماعية (٣) • ثم جاء هربرت سبنسر Herbert Spencer فقدم نظريته فى التغير على أنه التقدم الدورى ، حيث شبه المجتمع بالكائن العضوى وقارن نمو المجتمع بالتغير العضوى ومن ثم ربط التغير فى عموميته بالتقدم واصر على أن المجتمع البشرى يرتقى تدريجيا الى حالة أفضل •

ولقد قدم علماء الاجتماع فى القرن الثامن عشر نظريات أخرى عن التطور الاجتماعى مشابهة تماما لما تم وضعه من نظريات ثم اتفق الاجتماعيون الروس أمثال مالينوفسكى فيلاديمير مع نظرية أوجست كونت ذات المراحل الثلاث فى التطور البشرى • ومن ثم قدم نظريته التى تتماثل معها تماما والتى طبقا لها يمر المجتمع البشرى فى المراحل التالية :

المرحلة الأولى : حيث يعتبر الانسان نفسه مركز كل شىء بعد أن كان من قبل مشغولا بالاعتقاد فى القوى الخارقة وفى المرحلة الثانية يميل الانسان للتجديد فهو عصر التأمل الميتافيزيقى وفى المرحلة الثالثة سار الانسان يعتمد على المعلومات التجريبية وعلى الوسائل التى تدرب عليها ليتحكم بها فى الطبيعة من أجل منفعته ، ولقد اعتمدت هذه النظرية على التجريد والنزعة الفكرية أكثر من الحقائق ، ثم جاء انصار النظرية الغائية فى التطور وذاع صيتها بين عدد من علماء

---

(٣) Koanig Samucel : Op . cit p. 282.

الاجتمـــاع المعاصرين ، حيث ذهب عدد من مشـــاهير الاجتماعيين الى عدم الاهتمام بالتقدم فى حد ذاته على أساس ان انجازه يعتمد على المجهود والوعى ومن ثم عرف ليستر وارد Lister Ward التقـــدم على أنه تقدم فى السعاده البشرية والتى اعتبرها هدفـــا لكل الافراد • حيث أن المجتمع يحقق لأعضائه الســـعادة عن طريق الادراك والوعى والتخطيط الكفء ، الذى يعتمد على المعرفة العلمية والتعليم • وقد أكـــد وجهة النظر تلك بعض علماء الاجتماع امثال شارلز الوود Alwood حيث تمسك بأن التطور الاجتماعى يعتمد على الوعى والتعليم والمعرفة العلمية • ثم سعى بعض الاجتماعيين المعاصرين لتفسير التغير الاجتماعى فى ضوء الحتمية العاملية ، غير أن بعضا منهم امثال سمنر وكلير أكدا أن التغير الاجتماعى يتحدد تلقائيا باعتباره عملية ضرورية وليست اراديـــة ، وذلك لانهما يريان أن المجهود الارادى والتخطيط الرشيد قد يحدثا فرصا محدودة للتغير حتى تهيىء له الفولكلورات والقيم والفرص المناســـبة لاحداث التأثير ، ومن ثم اعتبرا التخطيط الطويل المدى أكثر فاعلية•

ثم بدأت بعد ذلك الظاهرة الاجتماعية تدخل فى المجال الطبيعى تحت تأثيرات نظرية دارون فى النشوء والارتقاء ، وان كنا قد شاهدنا ما ذهب اليه سبنسر وبعض العلماء الأوائل من أن الحياة الاجتماعيـــة والتنظيم يسيطر عليهما بالقوى الطبيعية ، فان الرأى الذى يؤكد على الحتمية الاقتصادية يذهب الى أن الحياة الاقتصادية تشكل العامل المهم فى عملية التغير ، وان أول من اعطى لهذا المفهوم تعريفا محددا هو كارل ماركس ، ثم كانت محاولة وليم اوجبرن فى تناول قضية التغير الاجتماعى مؤكدا فى ذلك على فروق التخلف الثقافى ، وان كان مفهوم التخلف الثقافى قد ورد فى كتابات أخرى لعلماء الاجتماع ، وعلى وجه الخصوص سمنر وميلر وولز وفيركاندت الا أن أوجبرن قد أتقن الفكرة وصاغها فى نسق نظرى محدد مؤكدا أن كثرة الاختراعات وتراكم الثقافة المادية يؤدى لاحداث تغيرات سريعة فى الجوانب المادية اكثر من الجوانـــب

اللامادية • ثم جاء ستيوارت شابين فعرض نظريته فى التسبيب المتزامن للتغير ، حيث ذهب الى أن مختلف أجزاء الحضارة أو نظمها الاجتماعية تمر خلال دائرة النمو قويها وضعيفها ، واذا كانت دورات الاجزاء الاكبر لذلك الدوائر مثل الحكومة والاسرة ••• الخ • متفق ومتزامن فـان الحضارة العامة تكون فى حالة تكامل واذا ما حدث التزامن بمختلف اجزاء الحضارة خلال فترة قوة سوف تكون المدنية فى حالة ازدهار مطلقة ، واذا لم تكن عناصر الحضارة متزامنة ومتكاملة سارت الحضارة فى حالة خلل اجتماعى • واذا ما حدث الانحراف فى التزامن كان مصير المدنية الحضيض ، وذلك يفسر اعتقاد « شابن » بأن النمو والاضمحلال من مكونات الحضارة لأنهما موجودان فى حياة كل شىء •

ثم ذهب بيتريم سروكن فى تناوله للتغير الاجتماعى الى أن التغير المتكرر Variable Recurance أكثر من الدورى • الا أن معظم الاجتماعيين يرون فى النظرية الدورية تحديدا صادقا• ولقد شرح سروكن نظريته التى طبقا لها تتطور المدنية فى اتجاه معين وفى فتـرة محـددة ، ولكن فى الوقت الذى تغير فيه القـوى الداخلية اتجاهها ستتحول لمجرى جديد • وهذا الشوط الجديد يتوقف عند نقطـة معينة • وبعد عدد من تلك التحولات والتبدلات تعكس المدنية مجراها وتعود لوضعها الاول • ولقد تناول جاستون بوتول (٤) نظرية التغـير عند سروكن من حيث الكم والكيف • وذهب الى أن التغير فى الكـم لا يؤدى بالضرورة وفى كل حال الى التغير فى الكيف كما أن التغـير فى الكم يتمثل فى زيادة عدد الوحدات • أما التغير فى الكيف فيعرفـه سروكن بأنه التحسن فى طرق الاستخدام • وقد ذهب بوتول لضرورة انتظام تعاقب هذين النوعين من التغيرات عند سروكن واختـلاف تداولهما وانتقالهما فى الزمان والمكان فقد يحدث تبعا للحالات الخاصة

---

(٤) جاستون بوتول : تاريخ علم الاجتماع ــ دار المعارف ، القاهرة ، عام ١٩٦٤ ، ص ١٣٩ •

ان يسبق التغير فى الكيف التغير فى الكم والعكس بالعكس •

ومن ثم نجد أن تناول التغير الاجتماعى وتحليله بين العلماء كان منصبا على الدراسة المقارنة للمجتمعات والحضارات المختلفة من ناحية ودراسة المجتمع وتحليله بشكل عامقديما وحديثا وعلى سبيل المثال • نجد أنفرجسون ومولنتلوى فى أوائل القرن الثامن عشر ، وتوكفيل وماركس فى منتصف القرن التاسع عشر ، ودوركايم وماركس فيبر فى أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين كل هؤلاء العلماء الاجتماعيين كانوا معنيين بوسائل التغير بالنسبة للمجتمعات والحضارات المختلفة فاهتموا بالتحليل والمقارنة ودراسة المجتمع بشكل عام وبذلك احتلت هذه المداخل المنهجية الثلاثة وضعا مرموقا فى النظريات الاجتماعية فى أواخر القرن التاسع عشر • ثم أهمل بعد ذلك بتحليل المجتمعات بين الباحثين الاجتماعيين حيث اهتموا بتناول ظواهر اجتماعية محدودة النطاق مثل تصرف وسلوك الافراد والجماعات الصغيرة • واهم ما تمخضت عنه الدراسات والنظريات المتعلقة بالتغير هو التأكيد على طريقة المقارنة والتحليل بالنسبة للمجتمع أو احدى انساقه وظواهره (٥) •

* * *

ثانيا ــ اختلاط مفهوم التغير بالايديولوجيات :

ان فهم التغير وادراك عوامله وتتبع مساراته وتحليل نتائجه قد اختلط بالايديولوجيات والمذاهب الفكرية والفلسفية المتصارعة • هذا ويزخر تراث علم الاجتماع بنظريات عديدة عن التغير سواء فى أعمال الرواد الاوائل امثال : اوجست كونت ودوركايم وماركس وسبنسر وماكس فبير وباريتو ، أو فى دراسات المعاصرين المحدثين امثال : اجبرن ، تشابن ، سروكن ••• الخ •

---

(٥) Eisenstadt. S. N.:Modernization Protest and Change, Englewood Cliffs , N.J. Prentic Hall 1966 pp 4 - 6.

فالتغير الاجتماعى ظاهرة حركية تجمع بين جوانب متعـــددة وتقوم على عوامل متعددة أيضا • وقد يختلف مستوى التغير الاجتماعـــى من مجتمع لآخر وباختلاف العصور كذلك • وعلى هذا النحو فـــان البحث فى ظاهرة التغير الاجتماعى أو مجاله باعتباره تغيرا فى اطـــار القيـــم القائمـــة أو تغـــيراً فى اطـــار البناء الاجتمـــاعى والاقتصادى أو فى اطار التكوين العقلى والثقافى للافراد ، وتحديد العوامل المؤدية لهذه الظاهرة قد شغل المفكرين الكلاسيكيين والمعاصرين والمحدثين على حد سواء ، وان كان كل من هؤلاء المفكرين قد تأثر بالتراث الفكرى وافكار معاصريه ، الا أنه عندما صاغ افكاره حول التغير تأثر فى ذلك بانتمائه الفكرى والمناخ الثقافى لمجتمعه • ومن ثم بدأ الخلط بين مفهوم التغير والايديولوجية السائدة فى المجتمع والتى ينتمى لها المفكر • وقد كانت محاولة ماركس من المحاولات الأساسية التى ضمنها يموذج الصراع للمجتمع •• فالعملية الجدلية عنده تتضن نموذج الصراع للمجتمع (٦) وذلك ما قرره ماركس حينما ذهب الى أنه بدون الصراع لا يمكن أن تقوم للتقدم قائمة وفى ذلك تبنى واضح لقضية فحواها أن الصراع بالمعنى الاميريقى يمثل كل من المعايير والعناصر الاساسية فى البناء الاجتماعى وبالمصطلحات البسيطة تعطينا العملية الجدلية شيئا ما حول مصادر نوع معين للتغير الاجتماعى • وان كان هناك بعض علماء الاجتماع قد سعوا فى ضوء انتمائهم الفكرى لأخذ نموذج الصراع للمجتمع على أنه بديل للنزعة الوظيفية فان البعض لم يقتنع بهذا المنحى ومنهم « روبرت كول » الذى يذهب الى أن « داهر تدروف » قد اعترف بنفسه أن نموذج الصراع لا يمكنه البرهنه على كل الأسئلة وذلك لأنه من الصعوبة بمكان التحـــدث حول التنبؤ بالمخرجات الاميريقية عندما يحتاج المرء النظر لنموذج التكامل، ثم يعود لنموذج الصراع على نحو ما ذهب « داهر تدروف » •

---

(٦) Cole , Robert : Structural . Functional Theory, The Dialectic, and Social Change, 1966 p 39.

أما عن الاتجاه الوظيفى فيبدأ بوضوح من موقف اميل دوركايم من التغيير وتأكيده على أن التغير يحدث من الداخل ، واعتبار العامل السكانى فعال ومؤثر فى التغير • وقد واصل الفكر الوظيفى تأكيده على حدوث التغير من الداخل ومن ثم يشكل النسق الوظيفى شكلين من التغيرات يتمثلان فى البناء الاجتماعى والعناصر التى يتضمنها ، والنزعة الوظيفية التى ينظر اليها فى المحل الأول على أنها تداخل وترابط هـذه العناصر (كلاهما عند مستوى القيم والتنظيمات وبانتظام نتائجهما بالنسبة للبناءات الكبرى التى تكون داخلة فى تركيبها) • ولهذا يكـون البناء الأكبر والذى يحقق وجوده بواسطة العناصر الداخلة فى تركيبه محددا لحضور أو غياب هذه العناصر ، مثال ذلك صعوبة ادراك البنـاء السياسى الكلى بدون وجود المؤسسة العسكرية الكبرى • وليس هذا الشىء فقط هو الذى يحدد حضور أو غياب العنصر المعطى الذى يحدد ما اذا كان البناء الاجتماعى قد تحقق أم لا ، ولكنا قد نتحدث كذلـك حول القيم التى تجعل سـياقا مختلفا عن سـياق آخر الى حد ما • وبذلك يؤكد الاتجاه الوظيفى على ميكانزمات معينة لتحقيق التكامل فى البناءات الاجتماعية وبذلك من المحتمل الا يتحقق البناء الاجتماعى نتيجة لوجود بعض الناصر التى لا تساند فى ادائها الوظيفى مع العناصر الاخرى • ويشير ذلك الى أن حضور البناء يعتمد على التفاوت بين معدلين •• معدل التغاير والتفاوت المحتمل بالنسبة لكل عنصر متضمن فى البناء والذى يساهم فى وجود البناء • وفى سياقات التغ يرالاجتماعى نهتم باحتمالات الاستمرار والتغير للنسق القائم • مثال ذلك (يتمثل فى نظرتنا لاحتمال بلوغ النسق السياسى كبناء ديمقراطى) وقد حاول بعض الوظيفيين تناول بعض المفاهيم الوظيفية بالتحليل مثل مفهـوم الاعاقة الوظيفية والتمايز حيث اقترح عدد منهم ان مفهوم الاعاقـة الوظيفية يزودنا بمؤشرات فهم التغير الاجتماعى • واذا ما عدنا الآن لفحص هذا المفهوم وعلاقته بالجدل فقد كان ميرتون المفكر الذى استخدم هذا المفهوم ليؤكد به على التوتر والاضطراب على المستوى البنائى وقد

اتخذ فيه ميرتون مدخل تحليلى لدينامية التغير الاجتماعى وقد عرف « ميرتون » القصور الوظيفى Dysfunctions بتلك العواقب الملاحظة والتى تحد من عملية التكيف أو التلاؤم فى النسق (٧) ٠

وقد اهتم روبرت كول بمفهوم القصور الوظيفى وذهب الى أنه يشير للتوترات والمتاعب بدون مرجع نسقى لمصادر هذه التوترات والتصدعات ٠ وان كان هذا الجانب لم يتحدد بواسطة ميرتون ، الا أنه كان مدركا فى دراسته الامبيريقية للمصدر البنائى للقصور الوظيفى ٠ ولهذا نجده يلاحظ أن أى عنصر يكون له أداء وظيفى للنسق ، وقد يكون معوقا له نتيجة لقصوره الوظيفى ٠ وذلك يختلف عن الاتجاه الماركسى الذى لا يرى أن لكل عنصر اداءه الوظيفى وقصوره الوظيفى ٠ وقد يكون للمنصر أداء وظيفى بادىء الأمر ثم تصبح نتائجه معوقة وظيفيا بعد ذلك ٠

وعموما نجد أن الاتجاه الوظيفى قد اتخذ موقفا محافظا من النظام القائم ٠ أما الاتجاه الجدلى فقد اتخذ موقفا راديكاليا من النظام برفضه الجمع بين الوظيفتين فى العنصر الواحد ٠

اما المدخل الجدلى للتغير فيأخذ وضعا مغايرا للاتجاه الوظيفى حيث أن الاتجاه الوظيفى يؤكد على فهم البناء والوظائف قبل أن تذهب لفهم التغير ٠ وتتمثل مآخذ كول على الاتجاه الوظيفى فى فهم التغير فى أنه لم ينظر للتغير على أنه عملية مستمرة بمعنى أن له صفة الاستمرار وان التكامل والتوازن حادثة مؤقتة ، وذلك ما أكد عليه المدخل الجدلى للتغير حيث يشير الى أن بذور التغير تكمن داخل البناء نفسه والمدخل الجدلى للتغير بذلك يؤكد على ضرورة فهم العالم كعملية معقدة تتعرض

---

(٧) Merton, Robert: Social Theory and Social Structure, Glencoe, III . The Free Press, 1957 p. 51.

خلالها البناءات لتغيرات مستمرة • وبعد ذلك يرفض الفهم الوظيفى للعالم باعتباره مجموعة من الأشـــياء المعقدة • وتمثل هذه التعارضات قضايا أساسية فى علم الاجتماع (٨) • وبذلك يستند الفهم الجدلى للتغـــير على الموقف الايديولوجى للماركسية من النظام العـــام والذى يتمثـــل فى رفضه وذلك لأنها ترى أن التغير يتولد داخل النسق ومن ثم يجـــب أن ينظر للبناء لا على أنه اطار استاتيكى للمجتمع ، ولكن على أنه مصدر للشكل الدورى للتغير وبذلك يؤكد على التناقض الداخلى الحـــادث والكامن فى البنـــاء (٩) •

وقد ارتبط علم الاجتماع الوظيفى بهذه الصورة بوجهة نظـــر المجتمع أو بالجماعات التى توجد بداخله • لأنها لا تؤمن بوجود مشاكل اجتماعية متأصلة فى نظمه الخاصة الاســـاسية • وذلك لأن النزعـــة الوظيفية تؤكد على دور القيم الاخلاقية ، وعلى أن الحالة الاخلاقيـــة أكثر عمومية • وبذلك تهمل الوظيفة وعلى وجه الخصوص البارسونزية بعض الفرضيات الرئيسية للنزعة الماركسية(١٠) • حيث تؤكد على التوازن والتماسك الداخلى اكثر من الصراعات والتوترات والتى تعتبر حادثة زمنية مؤقتة • وهو بذلك يذهب الى أن الصراعات والتوترات لا تقتضى احداث تغيرات جذرية للنظام طالما انها حادثة زمنية مؤقتة فى حين أن الماركســـية تعتبر الصراع والتوترات ذات خاصية دائمة ومن ثم تؤكد على تغيـــير النظام للتخلص من الصراعات الدائرة فى بنائه • وهنا تكون مصـــادر التغير فى الرؤيا الوظيفية متمثلة فى التوترات الحادثة بين وحـــدتين

---

(٨) Cole, Robert : op . Cit , p. 43.

(٩) Berge, Van Den : Dialecti . and Functionalism Toward A Theoretical Synsthesis , Am. Sociological R. 1963 pp. 695 - 705.

(١٠) Gouldner , Alvin : The Coming Crisis of Western Sociology , London New Delhi Heineman, 1971 p. 352.

بنائيتين أو أكثر • وهذا التغير الداخلي يحدث عندما تكون ميكانزمات الضبط فاشلة وغير قادرة على استيعاب عوامل التوتر •

وبذلك تذهب النظرية الماركسية الى أن التغير الاقتصادى يحـــدث، ويؤدى الى غيره من التغيرات المختلفة خلال الصراع الكبير الذى ينشـــأ بين الجماعات الاجتماعية وبين الاجزاء المختلفة من النظام الاجتماعى • وتذهب النظريات الاجتماعية حديثا الى حـــد القـــول بـــأن الصراع Conflict فى أوسع معاينة ينبغى أن يكون سبب التغير الاجتماعى Social Change والمنطق وراء ذلك الاتجاه أنه اذا كان هنـــاك وعى فى المجتمع وانه اذا كانت القطاعات المختلفة متكاملة فلن يكون هنـــاك الا ضغط ضئيل متجه لاحداث التغير • ومن ثم فان التغير يجـــب أن يكون نتيجة الصراع بين الجماعات وبين الافراد المتنافرين فى النظـــام الاجتماعى والثقافى • فالصراع قد لا يكون كافيا لاحداث تغير فى كثير من الظروف كما أنه قد لا يكون ضروريا فى بعض الظروف برغم أنه فى أحيان أخرى يعد أمرا ضروريا • فالصراع فى حد ذاته هو نتيجـــة لكثير من أنماط التغير الاجتماعى ولعل الارتباط بين الصراع والتغير هو الذى دفـــع بعض علماء الاجتماع الى القول بأن الصراع هو السبب الغالب فى التغير •

كما أن أصحاب مدرسة الصراع Conflict ومنهم كوزر L. Coser, ودهرفدروف R. Dahendorf وجون جالتينج Galting يرون أن المجتمع قبل أن يمر فى حالة توازن بين أنساقه المختلفة لا بد أن يمـــر بحالة من الصراع بين المصالح والتنافس بين الجماعات المختلفة من حيث القوة والامتياز وحيث يكون النزاع والصراع هو الشرط الأساسى للحياة الاجتماعية وبالرغم من أن العلامة العربى ابن خلدون اعتبر الصراع بين البدو والمشتغلين بالزراعة امرا هاما لتطور المدنية ، فان افكاره لم تنل حظها من الذيوع والانتشار • ومن الجدير بالذكر ان الاشكال

الأيديولوجية للصراع سواء الماركسية التى تمثلت فى مصالح البروليتاريا والداروينية التى تمثلت فى الطبقة العليا من المجتمع البرجوازى لم تتعارض مع نظرية الصراع مدرسة سوسيولوجية لأنها اثبتت أوضاعا اجتماعية ٠

أما العلامة جاك نوفيكوف وينسب الى المدرسة الداروينية فتركز نظريته فى الصراع على أن المجتمع البشرى يتميز بمظاهر الصراع والوفاق ويسير فى سلسلة متتابعة الحلقات بمراحل رئيسية تتمثل فى تعاقب المرحلة الفيزيولوجية ، فالاقتصادية ثم السياسية وأخيرا العقلية وهو يعتبر من الرواد الاساسيين الذين اهتموا بتحليل الصراع تحليلا علميا هدف من ورائه اثبات أهمية ظاهرة الصراع وضرورة وجودها فى المجتمع الانسانى وما تؤديه للمجتمع من فرص تساعد على التغير الاجتماعى والتكييف مع البيئة ٠

* * *

ثالثا — الاتجاهات الرئيسية فى التغير :

قطع الفكر السوسيولوجى شوطا كبيرا فى فهم التغير الاجتماعى ، وتحليل ابعاده وعملياته ومصادره ، والمدخل النظرى والمنهجى لتحليل المتغيرات الاجتماعية التى تتعرض لها المجتمعات البشرية ومع ذلك لم يكن الاهتمام بقضية التغير مكثفا على نحو ما حدث فى المرحلة المعاصرة والحديثة من تاريخ تطور علم الاجتماع ، وان كانت تلك الاهتمامات قد بدأت بالتأكيد على الحتمية العالمية فى فهم التغير ، الا أن مواصلة الحوار الفكرى والمنهجى حول الموضوع قد بلور اتجاهات حديثة منظورة واضاف فهما جديدا لقضية التغير ولم يقف المعاصرون والمحدثون عند حد التفكير الكلاسيكى فى التغير ، بل ظهرت اتجاهات حديثة تؤكد على أهمية الابعاد المتعددة فى فهم التغير الاجتماعى وتحديد مساره وفى ضوء ذلك نعرض للاتجاهات الرئيسية للتغير الاجتماعى على النحو التالى :

١ — الاتجاهات الحتمية العاملية للتغير الاجتماعى ٠

٢ ــ الاتجاهات المعاصرة للتغير الاجتماعي •
٣ ــ الاتجاهات الحديثة للتغير الاجتماعي •

أولا ــ الاتجاهات الحتمية العاملية للتغير الاجتماعي :

فسر الاجتماعيون المعاصرون نظرية الحتمية في التغير الاجتماعى وربما يعكس ذلك الى حد ما وجود تقبل لهذا الاتجاه عند بعض منهم وطبقا لهذا الرأى يأخذ التغير الاجتماعي مكانه بسبب القوى المؤكدة الاجتماعية أو الوظيفية أو كلتيهما معا وبالاحرى بسبب الفكر الانساني والاغراض البشرية واذا كان علماء الاجتماع لا يقرون العوامل القطعية الا أن القليلين منهم يناقشون الطبيعة الحتمية لتلك العملية وفي ضـوء ذلك نناقش الاتجاهات المختلفة فى فهم الحتمية فى التغير والتى تمثلت فى الحتمية الاقتصادية والحتمية التكنولوجية وحتمية العامل النفسى والحتميـة الايديولوجية والحتمية الاجتماعية •

(أ) الحتمية الاقتصادية للتغير الاجتماعي :

بدأت الظاهرة الاجتماعية تدخل المجال الطبيعى تحت تأثير نظرية دارون فى الارتقاء • وعندما ذهب سبنسر وبعض علماء الاجتماع الاوائل الى حد القول بأن الحياة الاجتماعية والتنظيم يسيطر عليهما بالقوى الطبيعية • ووضح ارتباط هـذا الرأى بالمفهوم القائل بأن الحيـــاة الاقتصادية تشكل العامل الأول والاساسى فى الحياة البشرية ولقـد كان لماركس السبق فى تحديد هذا المفهوم وذلك رغم أنه تأثر الى حـد كبير بمبدأ الميتافيزيقية الهيجلية الذى يتمسك بأن الافكار هى أساس القوى المحركة للحياة • ولقد اقتنع ماركس أخيرا بأن العوامل الماديـة فى الحياة ، على وجه الخصوص الجوانب الاقتصادية تمثل العوامل المحددة ، ولذلك صار ماركس المؤصل لما يعرف بالحتمية الاقتصادية ، اذ أنه أوضـح دور العـوامل الاقتصـادية [11] تلك فى دفع حركـة

(11) Koenig, Samuel : op . Cit . p. 284.

التغير في المراحل التي تمسك بها هو ومساعداه بريفلي Briefly وفردريك انجلز على اعتبار أن المجتمع يمر بها وكل مرحلة منها ترتبط بنظام محدد ، كما أن التغير من مرحلة الى أخرى يعزى بالتحديد للعوامل الاقتصادية الرئيسية والتي يقصد بها عند ماركس ، وسائل الانتـــاج والاستهلاك وذلك لأن التغير في الجوانب الأساسية للوسائل الاقتصاديه يحدث تغيرا فى جميع الهيئات الاجتماعية مثل : الحكومة والدين والأسرة ومن ثم يكون العامل الاقتصادى عنده هو الأساس فى المجتمع لأن جميع جوانب الحياة الاجتماعية تعتمد عليه وتحدد به كلية •

وبذلك يمر النظام الاجتماعى طبقـــا لماركس بمراحل وصور أربع أساسية متمايزة كل منها متوائم مع طراز معين مرتبط بنظام الانتاج اما المرحلة الخامسة فهى الوجه الفكرى النهائى فى العمل والمظهر ولا مناص منها • وقد كانت كل مرحلة من هذه المراحل السابقة على المرحلة النهائية تخضع فى تغيرها والانتقال منها الى المرحلة الأخرى لطبيعة التغيرات التى تجد على العوامل الاقتصادية المحددة لكل منهـــا •

وقد وجهت الانتقادات المختلفة لنظرية ماركس فى دراسة التغـــير الاجتماعى بالتركيز على الحتمية الاقتصادية ، ومع ذلك فقد ادخـــل ماركس فكرة جديدة فى دراسة التغير الاجتماعى بتأكيده على أن تطـــور المجتمعات الانسانية يقوم على اسباب اقتصادية واجتماعية ، وان كانت فكرة ماركس قد تعرضت للنقد على اعتبار انها تعطى العامل الاقتصادى الاولوية كمصدر للتغير فذلك يرجع الى طبيعة الفهم الوظيفى الذى يؤكد على الفهم الكلى للنسق • ولسقوط فكرتى التطورية والحتمية من سياق الفكر السسيولوجى •

(ب) الحتمية التكنولوجية :

ذهب انصار المدرسة التكنولوجية الى اسناد الظاهرة الاجتماعيـــة ووظيفتها الى اعمال فنية تلعب دورا متفوقا بالآلات والمخترعات دون أن

يضعوا فى اعتبارهم الظواهر الاجتماعية الاخرى ، ومن ثم ذهبوا الى أن التكنولوجيا تخترع أولا • وكان لهذه المدرسة أتباع كثيرون منهم العالم الاقتصادى الامريكى فيبلان وعالم الاجتماع الامريكى «اوجبرن» الذى ذهب الى أن أشكال الحضارات ما هى الا نتاج تراكم الاختراعات والاكتشافات[12] •

وذهب « اجبرن » فى نظريته حول التكنولوجيا كعامل أساسى فى عملية التغير الى ان الاختراع لا يخضع لمتطلبات الثقافة دائما وذلـك لأنه قد ينتج فى ظروف وأوضاع ثقافية مختلفة [13] • ومن بين أنصار المدرسة التكنولوجية عالم الاثنوجرافيا الفرنسى « لورد اجوز هان » ، « وجيمس بواشى » ، « وهوارد سكوت » ، « ولوبيس ممفورد » فى كتابه التكنيك والحضارة الذى نشر عام ١٩٣٠ وأكد فيه على أهميـة الآلات وفضل تفوقها فى عملية التغير الاجتماعى • وان كان «كلير» قـد ذهب الى أن القدرات الفنية أفضل أثرا فى عملية التغير • وأكد على الدور الوظيفى للابتكارات فى عملية التغير فان اجبرن فى فرضـه المتعلق بالتخلف الثقافى واثره فى العملية التأثيرية فى التغير الاجتماعى لم يكن العالم الوحيد الذى ناقش هذا الفرض • اذ انه كان متضمنا فى كتابات العديد من العلماء الاجتماعيين الاخرين • وعلى وجه الخصوص سمنر Summenr وميلر لير Muller Lyer وفير كانت Vier Kant والاز Wallas ، ولكن اوجبرن هو الذى اتقن الفكرة وصاغها فى نسق نظرى محدد بتأكيده على أنه مع كثرة الاختراعات يحدث تراكم فى الثقافة المادية بالقدر الذى لا تسايره سرعة التغير فى الجانـب اللامادى من الثقافة بحيث تسير غير متلائمة مع ظروف التغير الجديد • ومن ثم يبدأ تخلف السنن الاجتماعية بعد التغير الحادث فى الجوانب

(١٢) Ogburn , W. F : op . cit . p. 80.

(١٣) Ogburn, W. F : op . cit . p. 87.

المادية وبذلك يكون تخلف تبنى الثقافة المستحدثة عن الاحوال المدنيـــة الجديدة عاملا فعالا فى دفع عملية التغير •

وذلك لأن تكيف العناصر المعنوية للتغيرات المادية تحتاج لفترة لكى تتواءم معها وقد تكون هذه الفترة قصيرة أو يطول أمدها مما يترتب عليها حدوث اضطرابات فى العلاقات الاجتماعية فى المجتمع (١٤) •

وتعد النظرية التكنولوجية التى حاول البعض ربطها خطأ بالاتجاه الماركسى نظرية ذات مدلول حديث فهى من جهة تقوم على محاولة اعطاء تفسير حالة التماثل القائمة بين المجتمعات الاشتراكية والمجتمعـــات الصناعية • ومن جهة ثانية تستخدم لتحليل التغير الاجتماعى فى المجتمعات التى يمكن أن تطلق عليهـــا المجتمعات النامية Developing Societies كما تمكننا من التنبؤ بعملية التغير فى هذه المجتمعات ، وعلى هذا النحو فان هذه النظرية يمكن أن تعتبر ذات جانبين •• جانب تقدم لنا فيـــه الظروف الكامنة لاحداث التغير وجانب آخر يقدم فيه الظروف التى تحتم التغير الاجتماعى • فمن وجهة نظر الجانب الأول فهى صادقة فى ناحيـــة، كما أنها عاجزة فى نواحى أخرى ، فاى تغير تكنولوجى مهما يبدو عظيما فسوف يؤدى الى احداث تغير اجتماعى كنتيجة حتمية للتغير التكنولوجى، وان كل تغير تكنولوجى تصاحبه بالضرورة تغيرات اجتماعية معينة/ وليس معنى ذلك القول بأن التغير التكنولوجى وحده هو الذى يخلق لنا أو يتسبب فى حدوث سائر أنماط التغير الاجتماعى المعروفة • ويمكن القول بأن التغير التكنولوجى ليس بشرط ضرورى لغيره من أنواع التغير الاجتماعى المختلفة • حقيقة قد تكون الظروف التكنولوجية ضرورية قبل أن تحدث عوامل وتغيرات معينة ، الا انه ليس من الضرورى أن تساهم تلك العوامل فى احداث التغير الاجتماعى ، كما أنها قد لا تتطلب أى تغير فى الفن التكنولوجى •

---

(١٤) الدكتور مصطفى الخشاب وآخرون : أصول علم الاجتماع ، المرجع السابق ص ٢٤٧ •

(ج) الحتمية النفسية :

سعى أنصار المدرسة السيكولوجية لابراز دور العامل النفسى ، فذهب « لستر وارد » الى حد اعتباره العامل المسيطر على المجتمع والافراد ، ومن ثم حاول تفسير الظواهر الاجتماعية فى اطار سيكولوجى • وقد ذهب « دى روبرتى » الى أن ظواهر الحياة تتسم فى الغالب بوجود العمليات النفسية الأولية مثل الشعور ، الاحساس ، الانفعال ، التهيج • ومن ثم يبنى على هذا الاختلاف فى الظواهر النفسية الأولية جوهر الظواهر فوق العضوية المنحصرة فى التفكير والمعرفة، غير أن « دى روبرتى » يذهب الى أن الدوافع المختلفة والتغيرات شرط لازم للعمليات النفسية الشعورية •

وبذلك نجد أن الاتجاه النفسى فى التغير الاجتماعى يعنى بالبحث عن الأسس النفسية للحياة الاجتماعية ويفسر الظواهر الاجتماعية ويحل مشاكلها على ضوء المفهوم النفسى أو القوانين السيكولوجية[15] • ويؤكد « لوبون » فى كتابه « نفسية الجماهير » سيطرة العنصر النفسى على علاقات الافراد وسلوك الجماهير فهو يعطى دور العمل للجماعة وليس للفرد • ولقد جمع فى نظريته هذه قسما من افكار « تارد » عن التقليد والمحاكاة والقسم الآخر من «دوركايم» عن العقل الجمعى[16] أما «تارد» فيعتبر عملية التقليد أو المحاكاة Repetion Or Imitation هى العوامل الهامة فى تغير الحياة الاجتماعية • ولم يكن هناك تقليد فقط ، بل عملية الاختراع أو التجديد Invention ، ويتضح أن عملية المحاكاة تساعد على انتشار وشيوع الظواهر الاجتماعية وانتقالها من شخص لآخر بالاضافة الى الاختراع الذى هو فى جوهره ظاهرة

---

(١٥) د • أحمد الخشاب : التفكير الاجتماعى — دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٤٦٨ •

(١٦) المرجع السابق ، ص ٤٧٧ — ٤٧٨ •

فردية ، حيث يتحرر الفرد من تأثير المجتمع ويرتفع عن مستوى الافكار العامة التى تعيش عند جماعته [١٧] .

ويعتقد العالم الروسى « دى روبرتى » De Roberty بأن الأفكار هى المحرك الرئيسى للحياة الاجتماعية ، أى أن التغيير الاجتماعى يعتمد أولا على الافكار والآراء التى تسود فى المجتمع . وقد اعتبر العامل الاقتصادى عاملا ثانويا بالنسبة للعامل المادى [١٨] .

(د) الحتمية الايديولوجية :

ظهر اتجاه معارض للرأى القائل بالحتمية المادية ، أى حتمية العامل الاقتصادى والعامل التكنولوجى على اعتبار أن الجوانب اللامادية من الحضارة تعد المنابع الاساسية للتغير الاجتماعى ومن هؤلاء العلماء عالم الاجتماع الروسى « ايجين دى روبرتى » والذى ذهب الى أن الافكار هى المحرك الاول للحياة الاجتماعية وان التغيير الاجتماعى يعتمد على الأفكار والمعرفة أكثر من اعتماده على الأفعال والجوانب المادية . وقد تجاوز هذا القول بالتأكيد على أن الظاهرة الاقتصادية تابعة فى حركتها وتفاعلها للجوانب اللامادية . وبذلك تكون الظواهر الاجتماعية عند « دى روبرتى » نتاج التفاعلات العقلية ورغم أنه يذهب الى أن العمليات النفسية هى التى تؤدى للانتقال من فئة العضوى الى فئة ما فوق العضوى تدريجيا الا أنه يعزو ذلك الانتقال الى التفاعل الداخلى وبذلك تكون الظواهر الاجتماعية أو قوى العضوية نتاج التفاعل العقلى. ومن هنا كان اهتمامه بالعلم النظرى والمعرفة . واستعان فى دعم وجهة نظرة تلك بابراز ما تنفرد به الكائنات البشرية من وجود قوانين علمية

---

(١٧) د . سيد محمد بدوى : مبادىء علم الاجتماع — دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ ، ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(١٨) د . أحمد ابو زيد : البناء الاجتماعى ، جـ ١ — الدار القومية للطباعة والنشر ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٢٩٠ .

وافكار فلسفية عامة ونظريات عقلية للفكر التطبيقى بالاضافة الـى العديد من أنواع المعرفة الاجتماعية المختلفة التى لا توجد الا لـدى الكائنات البشرية والتى تشكل فى كليتها جوهر الحضارة نفسها ومن ثم فان وجود مثل هذه المظاهر وتميز الجنس البشرى بهـا تدفعنـا الى الاجتهادات لمعرفة لماذا تنفرد البشرية دون سائر الكائنات بها وذلك ما يدفعنا للتنقيب عن نشأتها واثر ظهورها • الامر الذى ينحو بنا الـى الجانب الهام من نظرية دى روبرتى التى تقوم على افتراضه أو نظريته البيولوجية الاجتماعية Bio - Social Theory والتى يؤكد فى ضوئهـا أن العامل المفسر لنشـأة وتقدم الفكر والمعرفة هو التفـاعل العقلى أو الداخلى للكائنات العضوية البيولوجية (١٩) • وتتمثل الأنواع الاساسية للفكر الاجتماعى عند « دى روبرتى » فى الفكر التحليلى المتمثل فى كل نوع من أنواع الفكر السابق ، والذى بمقتضاه تتحدد خاصية فلسـفة المجتمع والتى تحدد بدورها طبيعة الفكر الجمالى فى المجتمع وطبيعة التنظيمات الاقتصادية والسياسية • والفكر التركيبى أو التأليفى • وهنا يذهب « دى روبرتى » الى أن الدين والفلسفة والتقاليد والاخلاق كـل هذه الأنواع من الفكر تختلف عن بعضها من حيث النوع وتسمى فى كلياتها بالسلوك الانسانى الواقعى أو لعمليات التاريخية والاجتماعية • وبذلك لا يكون الانسان تجسيدا لقوى اجتماعية • اذ أنه تجسـيد فعلى لقوى بيولوجية (٢٠) •

وفى ذلك يقـترب « روبـرتى » من تقسـيم « هـيز » Hays للظواهر الاجتماعية البحتة الى ظواهر واقعية للتاريخ والى ظواهـر السلوك البشرى • ولقد كان تصنيف « دى روبرتى » على العكس من تصنيف « ماركس » للعوامل الاجتماعية اذ أن ماركس يذهب الى أن

---

(١٩) Sorkin p : Contemporary Sociological Theories, New York, 1928 p . 314.

(٢٠) Sorokin, p : Ibid p. 318.

العامل الاقتصادى والتكنولوجى كشكل من أشكال الفكر التطبيقى تمثل العامل الاول والاساسى فى عملية التغير الاجتماعى • أما عند «روبرتى» فتمثل العامل الاخير فى عملية التغير الاجتماعى وبذلك يذهب الى أن الافكار تؤلف قوى اجتماعية فى الفرد ، لها خصائصها العقلية الوراثية التى تنعكس فى الوراثة البيولوجية ، والتى يمكن بالتربية والتعلم السيطرة عليها •

ولقد ذهب أيضا الى أن الفكر يمثل القوى الحقيقية ، وان العلم هو العامل الاجتماعى الاول • ولقد ذهب « سوروكن » الى أن « روبرتى » لا يعد من أنصار العامل الواحد الذى تحيز له بعض علماء الاجتماع وحاولوا أن يفسروا الكل بعامل واحد ، وانما كان على العكس من ذلك اذ أنه ذهب فى تفسيره الى ضرورة العوامل المتعددة ، الا أنه فى نظريتــه عن السلوك البشرى والعمليات التاريخية تتحدد اهمية الافكار • ومن ذلك ذهب «أوجست كونت» الى اعطاء الافكار أهمية كبيرة فى تحديد السلوك البشرى [٢١] ، والعمليات التاريخية ، غير أنه فى نظريته كما فى نظرية روبرتى أوضح أن الأهمية الكبرى لا تعزى أولا للفكر التحليلى أو العلمى، وانما تعزى الفكر الفلسفى أو الدينى ، وتكون أساسا لقانون الحالات الثلاث • ولقد اختلف روبرتى عن كونت فى أنه اعطى المكانة الأولــى للفكر التحليلى اذ أن تقدمه يؤدى الى تقدم كل الأنواع الأخرى فى الفكر ، وبهذه القوى الخاصة بالفكر كعامل تاريخى انسانى عامة • اذ أن الفكر التحليلى للمجتمع يكون فقيرا من الناحيتين الكيفية والكمية •

ولقد ذهب « جوستاف لوبو » **Gustave Le Bou** ، « وجــورج ســوريل » **George Sorel** ، « جامز فرازو » **James G. Frazer** « وشــارلز الود » **Charles Elwood** الى أن الدين عامل أولى ورئيسى

---

(٢١) **Sorokin , p : Ibid p. 312.**

للتغير الاجتماعى [٢٢] • وقد انتقد علماء الاجتماع نظرية الايديولوجية وبوجه خاص الحتمية الدينية ومنهم سروكن فى كتابه النظريات الاجتماعية المعاصرة حيث طرح السؤال التالى اذا ما كانت النظم الاجتماعية تتغير جميعها تحت تأثير التغير الدينى •• فكيف ومتى ولماذا يتغير الدين نفسه ؟ وسروكن يؤكد هنا أن التغير يحدث نتيجة تفاعل مختلف اجزاء الثقافة ولا يمكن أن يكون لواحدة منها السبق على الأخرى • وقد نالت هذه الرؤيا التى قدمها سروكن رضى العديد من علماء الاجتماع الذين تحمسو لها ونادوا بأهميتها على اعتبار أن التغير الثقافى يفضل تناوله بصورة كلية على اعتبار أنه يكون فى جميع الجوانب أكثر من كونه فى جانب واحد • ومن ثم خفت حدة التحمس للنظريات الحتمية •

(هـ) الحتمية الاجتماعية :

تؤكد نظريات الحتمية الاجتماعية على أن التغير الاجتماعى يحدث نتيجة لتوافر بعض القوى سواء كانت اجتماعية أو طبيعية أو مزيجا من الاثنين دون أن يكون للانسان دخل فى هذه الاحوال [٢٣] • وأكد أصحاب هذه النظريات على الجانب الاجتماعى ، أى على عامل واحد دون العوامل الأخرى فى دفع عجلة التغير الاجتماعى • وان كان البعض قد عارض وجهة النظر تلك أمثال : « لستر وارد » Lester Ward « وهوبهاوس » ، الا أن « ماكس فيبر » قد ذهب فى دراسته الى أن الدين هو العامل المؤثر فى الفاعلية الاقتصادية فى المجتمع • وقد أكد دوركايم على أن الظواهر الاجتماعية البارزة فى الحياة الاجتماعية العامة يجب تفسيرها بالسمات الاجتماعية الخاصة بهذا العمل • ويعنى ذلك عنده ضرورة تفسير هذه الظواهر بالمجتمع نفسه وفى اطاره •

---

(٢٢) Koenig Samuel : Op . Cit p. 290.

(٢٣) Geller , E. A . Determinism. A Dictionary of the Social Science, pp 194 - 195.

وفى ضوء ذلك ذهب « دوركايم » الى أن المورفولوجيا الاجتماعية والفزيولوجيا الاجتماعية (البناء والوظيفية) وعلم النفس الاجتماعى ركائز ثلاث لعلم الاجتماع • وتلعب دورها فى الرد على نظريات العامل الواحد • وذلك ما ابرزه دور كايم بوضوح فى كتابه تقسيم العمل الاجتماعى • كما دافع عن ذلك « موس » فى كتابه التغيرات السنوية أو الفصلية لمجتمعات الاسكيمو عام ١٩٠٦ ، وهالفاكسى فى كتابه الطبقات الاجتماعية (العمالية) ومستويات المعيشة عام ١٩١٣ • وقد سعت هذه المدرسة لابراز فاعلية الواقع الاجتماعى من ناحية وفساد النظريات التى توصف بأنها نظريات يغلب عليها العامل المتفوق من ناحية أخرى • ولئن كان ماركس قد اعتبر الحقيقة الاجتماعية خاصة وهامة بالنسبة لأى واقع أو ظاهرة أخرى • ومن ثم اعتبر المجتمع ظاهرة معقدة • فان ما ينقص فكر ماركس فى هذا الشأن هو نفس الشىء الذى ينقص دوركايم والذى يتمثل فى تأثرهما بنظرية العامل المتفوق فى عملية التغير غير أن دوركايم قد حاول تحاشى جميع المخاطر للعودة للرفض والماطلة وقبل الظاهرة المورفولوجية والمؤسسات المنتظمة ، والرموز والقيم والأفكار المشتركة وتيارات الحريات العقلية المشتركة التى تختلف أهميتها باختلاف أشكال المجتمعات • والحوادث الاجتماعية وبنفس الشىء حاول ماركس تحاشى الزلل والوقوع فى نظرية العامل الاقتصادى المتفوق بقبوله أهمية تأثير قوى الانتاج المادية والبناء الاجتماعى أو علاقات الانتاج والشعور المشترك وعناصره الموضوعية المتغيره فى مختلف أشكال المجتمعات وفى مختلف الحوادث التاريخية والاجتماعية • ويعد اتجاه النسبية هذا اهدارا لنظرية العامل المتفوق • غير أنها تتعارض وتتنافس مع التفكير الاجتماعى • وذلك ما ابرزه دوركايم فى دراسته للاشكال الأولية للحياة الدينية و « موس » فى بحثه عن الهدايا كشكل قديم من أشكال المبادلة و « بوجليه » فى كتابه بحوث حول تطور القيم حيث اتخذ الاساس المورفولوجى كعامل متفوق •

* * *

ثانيا ـ الاتجاهات المعاصرة للتغير الاجتماعى :

من الحوار الفكرى الدائر حول موضوع التغير الاجتماعى تبلورت اتجاهات فكرية أساسية فى فهم حركة التغير وبواعثه منها :

(أ) الاتجاه الدورى للتغير •

(ب) الاتجـــاه التلقائى •

(جـ) الاتجاه الغائى •

(د) الاتجاه الانتشارى •

وقد شكلت هذه الاتجاهات المختلفة فى جملتها أبعاد الحـــــوار الفكرى حول التغير فى التاريخ المعاصر •

اذ مثل الاتجاه الدورى كل من ستيورات شابين فى نظريته حـــول ترامن التغير الدورى ، وسروكن فى نظريته حول التغير الاجتماعـــى الدورى •

وقد بزغت النظرية الدائرية فى تطور المجتمعات الانسانيـــة على يد المؤرخ العربى ابن خلدون فى القرن الرابع عشر ، الذى قدم لنـــا كما يقول جهمان W. Ghman المعنى الحقيقى للتاريخ بفضل التفسير الدقيق لأسباب واصول وجود الأشياء ، وكيفية نشأة الأمم والحضارات وكل ما يتعلق بأسباب التغير والتنوع فى الفترات المـــاضية فى داخل الجماعات نفسها من حيث المدن والقرى والقوة والخضوع والحيـــــاة الرعوية والحياة المستقرة والحوادث الحالية والمستقبلية وعن كل الاشياء المتوقع حدوثها عن الحضاره •

ولقد طور ابن خلدون مفهـــوم الدورة الحياتيـــــة للحضـــــارة Life Cycle of Civilization اذ يعتقد بأن الأمم أو الدول تنمو وتضمحل كالكائنات الحيـــة تماما • وقد سبق ابن خلدون غيره من العلماء القائلين

بقانون الحضارة والانحلال Civilization and Decay
كما زعم بوجود نشأتها أو تماثلا للثقافات فى مراحل نموها وسقوطها
بنفس الطريقة التى تحيا بها الكائنات الحية ثم تموت • وبالرغم
من أنه أعتبر الصراع بين البدو والمشتغلين بالزراعة عاملا هاما لتطور
المدينة ، فان افكاره لم تنل حظها من التوزيع والانتشار •

اما الافتراض الخاص بأن التغير يظهر فى شكل حركة دائرية
فقد شبه الحضارات بالكائنات العضوية تشبيها حيويا يتضمن دورة الحياة
Life Cycle فكما أن الكائن الحى يولد ضعيفا ثم يترعرع وينمو
ويصبح شابا ثم كهلا ثم شيخا ينتهى بالموت • كذلك تنشأ الحضارة
ضعيفة ثم تنمو فتدخل مرحلة التكوين ثم تتجاوزها الى مرحلة الازدهار
وتنحدر الى مرحلة الضعف فالسقوط فالفناء •

ان هذه القضية الدائرية عن تغير المجتمعات هى الأخرى ليست
مقبولة فى نظر الباحثين الانثروبولوجيين المعاصرين • فهى متحيزة
لأنها أولت النواحى الحربية والسياسية فى المجتمعات التى درستها
معظم اهتمامها • وفى معالجتنا للاتجاهات الدورية نتعرض لاتجاهين
أساسيين فى التغير الدورى تمثلا فى تزامن التغير الدورى عند شابين
والتغير الدورى عند سروكن •

(ا) تزامن التغير الدورى عند ستيوارت شابن :

لم تزل هناك رؤية للتغير الدورى قدمها عالم الاجتماع ستيوارت
شابن فى كتابه التغير الثقافى حيث افترض التسبيب المتزامن للتغير
الدورى كأساس منطقى لتحقيق تكامل الحضارة فى سيرتها المتقدمة •
وطبقا لهذه النظرية اذا كانت اجزاء الثقافة المختلفة أو نظمها الاجتماعية
تمر خلال فترة قوة تكون الحضارة فى حالة ازدهار مطلق • فعندما تكون
دورات الأجزاء الكبرى مثل الحكومة والأسرة متفقة ومتزامنة تكون الحضارة
الكلية فى حالة تكامل واذا لم تكن عناصر الحضارة متزامنة وغير متكاملة ،

فان الحضارة تكون في حالة خلل اجتماعي ، وذلك لأن الانحراف في التزامن يدفع بالمدينة للحضيض • وفي ضوء هذه النظرية عندما تمر مختلف الحضارات خلال فترة قوة تبلغ المدنية حالة الازدهار المطلق • وذلك يفسر لنا اعتقاد شابن بأن النمو والاضمحلال في مكونات الحضارة آمر لا يمكن التجاوز عنه وذلك لأنها موجودة في حياة كل شيء(٢٤) •

أما عن التغير الدوري عند سروكن ، فقد تناوله في بحوث عديدة ، ضمنها عرضه للتتابع المتكررة • ويعتبر سروكن أهم من يمثل نظرية الدورات الحضارية في ميدان الدراسات الاجتماعية النظرية الأولى التي تقول بأن التقدم يكون في اتجاه مستقيم ونظرية الدورات الحضارية القائلة بأن التغير الاجتماعي يتم عادة في شكل دورات معاودة Recurrent Cycle حيث يتخللها حركات تقدمية في اتجاه مستقيم • فالحضارة تتطور وتنمو في اتجاه معين بالذات ولفترة معينة ولكن لا تلبث أن تصادفها بعض القوى الداخلية فينتظر آنذاك أن تغير سيرها حيث تسلك طرقا أخرى لا تلبث أن تتوقف عند نهايتها أيضا • وقد تسلك في وقت من الأوقات طريقا يعود بها الى حالتها الأولى القديمة وهكذا تتم الدورة لتبدأ من جديد (٢٥) •

وقد شرح سروكن نظريته حول تطور المدينة في اتجاه معين وفي فترة زمنية محددة على أساس أنه بعد سلسلة من التحولات والتبدلات تعكس المدينة مجراها وتعود لوضعها الأول • وعن سرعة تغير أجزاء الحضارة المختلفة والعلاقة التي تربط هذه الاجزاء ناقش سروكن أعمال كل من استيوارت شابين واجبرن المتعلقة بالديناميات الاجتماعية • وفي ذلك يتساءل سروكن عن علاقة تغير الاجزاء الأخرى ، وعن تزامن حدوث

---

(٢٤) Koenig . S ; op. Cit . p . 292.

(٢٥) دكتور أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي ، ج ١ ، المفهومات ، الدار القومية للطباعة النشر ، سنة ١٩٦٤ ، ص •

هذا التغير بين هذه الاجزاء واتجاهه ونقطه انطلاق التغير وعوامله وسرعته فى مختلف الميادين العملية الاجتماعية فقد لخص ذلك كله بقوله أن التغير الاجتماعى عند اجبرن ، وفى نظرية الدورات المتزامنة للحضارة عند شابين حاول ان يجيب على هذه الاسئلة الا أنها ركزت على قضية العلاقة بين الأجزاء المادية واللامادية للحضارة وأسبقية كل منهما فى عملية التغير . وقد توصلا من حوارهما الى أن التغير فى الجوانب المادية يسبق التغير فى الجوانب اللامادية الا أن سروكن يرد على ذلك بقوله ان الحضارة المادية تكون بطبيعتها تراكمية ، بينما الحضارة اللامادية ليست تراكمية بنفس الكمية ، وان الاختراع الجديد فى الحضارة المادية ينتشر بسهولة ويمكن تبنيه بسرعة أكثر من الحضارة اللامادية ومن ثم يذهب سروكن الى أن نظرية اجبرن وشابن ما هى الا الشكل المخفف للتفسير المادى للتاريخ . اذ أن مختلف اجزاء الحضارة لا تأخذ نفس الدرجة فى عملية تغير الاجزاء ، ومن ثم يكون الاختلاف بين عناصر المركب الحضارى قائما فعلا . وان كان سروكن قد قبل هذا الموقف من النظرية ، الا أنه يرفض الجانب الثانى منهما والخاص بأن الحضارة المادية هى الاصل أو نقطة انطلاق التغير الحديث . كما أنه يرى أن التأكيد بأن الحضارة المادية التراكمية أكثر من الحضارة اللامادية أمر مشكوك فيه ، اذ أن العلم والمعرفة والتجارب الانسانية تشكل فى كليتها الحضارة اللامادية ، ومن ثم ندرك خاصيتها التراكمية وذلك لأن كل جيل لا يساهم بتجربته الخاصة فحسب ، وانما بالتجربة الموروثة عن كل الاجيال السابقة ، والتى تتراكم على مر الزمن تراكما كبيرا وذلك ما يمكن قوله عن سائر المعتقدات والفنون والموسيقى والأدب، وكل ميادين الحضارة اللامادية الأخرى . ولذلك أهميته الكبرى نظرا لأنه بدون هذه القيمة اللامادية المتراكمة يكون تراثنا المادى فقيرا الى حد كبير (٢٦) .

---

(٢٦) Sorokin p. : Contemporary Sociological Theories Op. Cit pp. 535 - 539.

(ب) التغير التلقائى :

تأكدت الحتمية الطبيعية بواسطة كل من سمنر وكلير اللذين ذهبا الى أن التغير الاجتماعى يتحدد تلقائيا • وقد استند كلير فيما ذهب اليه على فكر سمنر المتعلق بالتغير والذى يشير الى أنه عمليات ضرورية وليست ارادية • وذلك لأن الفولكلور يجلب التغير الذى يحدث بالتبعية للاحتياجات ، واذا كان للشخصيات فى المجتمع دور كبير فى احداث الاختلافات التى تلعب دورا فعالا فى التأثير على عملية التغير • الا أنه توصل الى أن المجهود الارادى والتخطيط المعقول يحدثان فرصا قليلة لاحداث تأثيرات محدودة فى عملية التغير حتى تهيىء له الفولكلورات والقيم والظروف ومن هنا يذكر كلير أن فى مقدرة الانسان أن يساهم فى عملية التغير أو لا يساهم ، غير أنها تظل فى مسيرتها ، ولذلك ذهب كلير الى أن التخطيط طويل المدى يكون أكثر فاعلية عندما تهيىء له الفلكلورات والقيم فرصة العمل (٢٧) •

(جـ) النظريات الغائية :

ساد الاعتقاد بين علماء الاجتماع بأن التغير الاجتماعى حقيقة لا مناص منها غير أنهم لم يشرطوه بالتقدم • وقد دفعهم ذلك الى حد القول بامكان تحقيق التقدم عن طريق الوعى والمجهود المنسق • واذا كان لستر وارد قد عرف التقدم على أنه تقدم فى السعادة البشرية • فقد ذهب كوينج الى أن هذه السعادة هدف لكل فرد (٢٨) • وحمل المجتمع مسئولية تحقيق هذه السعادة لكل عضو من أعضائه وأكد على أن تحقيق ذلك يعتمد على كفاءة التخطيط الذى يرتكز على المعرفة العلمية والتعليم • ومن ثم ذهب كوينج الى أن ذلك أساس للتخطيط النشط الفعال لأن الادراك والوعى يؤكد نفسه عن الانفعال ، وذلك لأنه يعتمد على

---

(٢٧) Koenig S : Op . Cit p 285.

(٢٨) Koenig S : Ibid p 284.

التعليم فى تحقيق فاعلية التخطيط • وقد تمسك « شارلز الوود » مـع بعض الاجتماعيين بأن التطور الاجتماعي يعتمد أساسا على الوعي والتقبل ، وعلى وجه الخصوص في مراحله الأولى حيث يكون للفكر والقوى المعارضة فاعلية في عملية التطوير • وقد اعترف وارد نفسـه بأن التقدم يأخذ في الارتقاء عن طريق التعلم والمعرفة العلمية • وقد ذهب بعض علماء الاجتماع مذهبا مماثلا لوارد الذى كان مقتنعا بـأن التقدم يعتمد على تطور الادراك والمعرفة البشرية • وبوجه خـاص في علم الاجتماع وذهبوا الى أنه اذا ما اريد للتخطيط والتشريـع ان يحدثا أثرا فعالا لا بد من الاعتماد على المبادىء الاجتماعية السليمة المتمثلة في التحالف الدولي واختفاء القوميات والتعاون فيما بين الأفراد والجماعات وتعويض الصراع الطبقي بالصراع الفكرى • وقد ذهب هوبز الى أن التقدم يمكن تحقيقه بالسيطرة على العوامل المـادية بالفكـر وبذلك يصير الضبط الفكرى الوسيلة والطريق الفعال للحصول على التقدم الحقيقي [٢٩] • واذا كان هذا الاتجاه قد لقى قبولا لـدى بعض المفكرين والذين يطلق عليهم العقليون والنفعيون ، فان ولبرت مور يذهب الى أن التأكيد على حل عقلى للمشكلات الاجتماعية يؤدى الى استحداث مفتعل غير أنه يذكر ان هذه الصفة مشتركة فيما بين المجتمعات الصناعية والمجتمعـات الأخرى •

(د) الاتجـاه الانتشارى :

هناك عامل آخر تنطوى عليه نظرية التغير الاجتماعى يعتبر سببا رئيسيا ومساندا للتغيرات ، وهو استعارة العناصر الثقافية عن طريق الانتشار • فالثقافة يضاف اليها عناصر جديدة عن طريق الاستعارة من الثقافات الأخرى المعاصرة والانتشار هو العملية التى تنتقل بها سـمة من ثقافة معينة وتنال القبول فى منطقة أخرى • وهو يشمل انماط الاتصال

---

(٢٩) Koenig S : Ibid p 287.

وأساليبه المختلفة التي تحمل أسباب التغير الثقافي • فالنظم الاقتصادية والسياسية والدينية تنتقل بعيدا وبسرعة من خلال عمليات الانتشـــار •

وقد ركزت الانتشارية على الجانب المـــادى للثقافة وانتقالهـــا من ثقافة الى أخرى ثم حالة الملاءمة كعنصر لا بد وأن يكون الى جـــوار عناصر ثقافية أخرى ، فهو اما أن يعدل من بعض مظاهر العناصر الأخرى، واما أن يعدل عن بعض مظاهرها وفي النهاية لا بد وأن تسهم هـــذه التعديلات في عملية التكيف • وبذلك تتغير اجزاء أساسية في عملية التغير حتى وان لم تنجزها • وقد كان من الواجب على الوظيفية أن تدرك فروض التغير هذه وان تنتقل منها وبذلك تسهم في النظرية العامة لأنهـــا أصبحت عناصر ايجابية في النظرية العامة أيضا • فهنا قد انتقـــدت عناصر خاطئة في التصورات السابقة ، وبذلك كان من الممكن أن تقيـــم موقفا نقديا نظريا مرتبطا ارتباطا عضويا بحركةنموالنظرية السسيولوجية والانتروبولوجية يلغى جوانب القصور والعنف فيما سبقه ويكمل نطاقات النقص بدلا من الابقاء عليها وان العناصر الثقافية تنتقل من عواصـــم المجتمعات المتقدمة الى عواصم المجتمعا تالنامية • ثم تنتشر بعد ذلك فى عواصمها الاقليمية الى أن تسود فى النهاية كل مناطق واقاليـــم هذه الدول وفضلا عن ذلك يذهب بعض أصحاب الاتجاه الانتشارى الىأنالتكنولوجيا والثقافةالتنظيمية تشكلنسقا اجتماعيا **Social System** معينا وبالتالى فان نقل التكنولوجيا والصناعة الى المجتمعات النامية سوف يؤدى الى تغير فى ثقافة هذه المجتمعات ، وفى بنائها الاجتماعى بحيث تشبه فى نهاية الامر النموذج الغربى • غير أننا لا نجد سوى شواهد ضئيلة تدعم قضية وجود منطق صناعى عالمى •

أما الاتجاه الانتشارى فيقوم على فكرة مؤداها أن التغير يمكن تحقيقه من خلال العناصر الثقافية السائدة فى المجتمعات المتقدمة الى المجتمعات النامية • ومن ثم فان هذه المجتمعات الأخيرة يجب أن

تشهد عملية احتكاك اذا ما أرادت تحقيق التغير ، ويؤمن « راد كليف براون » بأن معظم التغيرات التي تحدث تقع بفعل الاحتكاك الثقافي ، أى من خارج الثقافة .

والمدرسة الانتشارية التى اعتمدت بدورها على المنهج التاريخى لبيان الاتصالات التاريخية بين المناطق ومعرفة الطرق التى سلكتها السمات الثقافية المختلفة فى انتقالها وهجرتها من موطن نشأتها الى بقية انحاء العالم ومعرفة التغيرات التى المت بها . فنجد اليوت سميث Eliot Smith ، وبير Perry وهما على رأس المدرسة الانتشارية البريطانية ، وكذلك نجد المدرسة الثقافية التاريخية تضع مفهوم الدورة الثقافية Culture Circle وتضع معيار الكيف Criterion of Quality ومعيار الكم Criterion of Quntity ومعيار الكيف يقرر أن التشابه بين عنصرين من عناصر الثقافة يرجع الى الانتشار بصرف النظر عن المسافة التى تفصل بين المجتمعين ، والمعيار الثانى الكم يقرر أن احتمال وجود علاقة تاريخية بين عنصرين من عناصر الثقافة يزيد كلما زاد عدد العناصر المتشابهة ونجد واحدا من ابرز علماء المدرسة الانتشارية الالمانية وهو شميدث Schmidt يعتبر المنهج المقارن هو تابع الاثنولوجيا . ففى نقده للاتجاه الاثنولوجى والانثروبولوجى والسيولوجى فى بريطانيا وأمريكا والذين يقصرون اهتمامهم على الدراسات المتزامنة المحضة . وتقوم هذه النظرية على الفروض الآتية :

ان بعض التقاليد تساعد التغير فى بعض المجتمعات تحت تأثير الاحتكاك بالثقافة الغربية . وتأتى هذه الفروض الهامة والتى تقوم عليها هذه النظرية أن التغير الاجتماعى يتزايد من الاحتكاك الحضارى جزئيا خلال الخلل الموجود بقيم المجتمع . فعندما يكون الناس منتمين الى نوعين أو أكثر من القيم فى المجتمع فان ذلك يخلق رغبة أكبر لدى الناس لتقبل الافكار الجديدة عندما يحدث الاحتكاك الحضارى بين

مجتمعين [٣٠] • كما انها تقوم أيضا على الغرض الخاص بأنه فى حالة المقاومة بين العناصر الحضارية للحضارة الغربية ، فان العناصر المادية قد تتغير موضوعيتها عندما تتغير من ثقافة لأخرى • وطبقا للفرض الخاص بأثر الاختلاف الثقافى على زيادة التغير ، فان روز يذهب الى أن التغير الاجتماعى لا ينتهى بوجود الصراع بل انه قد يتولد عن الصراع الحضارى والثقافى [٣١] • ويذهب روز الى أنه بالاضافة الى أن الاحتكاك الحضارى يقدم شيئا جديدا • فان الاختراعات « الابتكارات » والانتشار الحضارى يحطمان الطرق القديمة فى الحياة •

* * *

ثالثا ـ الاتجاهات الحديثة للتغير الاجتماعى :

واصل الفكر البشرى تقدمه فى فهم التغير وتحديد بواعثه ، ومن ثم ظهر التأكيد على الحركات الثورية كمصدر للتغير الاجتماعى وفاعلية القانون • ثم ظهر اخيرا الاتجاه الذى يؤكد على الأبعاد المتعددة فى عملية التسبب المتراكم للتغير ، وقد كشفت هذه الاتجاهات فى كليتها عن أفكار أساسية تتعلق بأهمية التكامل كأساس لتحقيق التوازن الاجتماعى فى عملية التغير • ومن ثم نناقش الاتجاهات الفكرية خلال هذه الفترة على النحو التالى :

(أ) الحركات الاجتماعية كمصدر للتغير •

(ب) التسبيب الدائرى المتراكم للتغير الاجتماعى •

(ا) الحركات الاجتماعية كمصدر للتغير :

يعتبر هربرت بلومر من أبرز من عبروا عن هذه النظرية حيث ذهب الى أن للحركات الاجتماعية وظيفة فى عملية التغير الاجتماعى ،

---

(٣٠) Rose, Arnold : Sociology The Study of Human Relations, Alfred Knopt . New York. 1956 . p. 344.

(٣١) Rose, Arnold : Op. Cit. p. 346 .

وذلك لأنه عندما يشعر الأفراد بالحاجة المتماثلة التى يرتبط مصدرهـا بجوانب القصور فى البناء الاجتماعى والتى تمنعهم من تحقيق الاشباع الكامل لحاجة معينة يشعرون بعدم الارتياح نتيجة لهذا الحرمان ، وعندما تأخذ هذه الحالة طابعا عاما فيما بينهم ومن خلال مناقشتهم يتوصلون الى أن حاجاتهم تلك يمكن أن تجد طريقها للاشباع باحداث تغيرات معينة فى البناء الاجتماعى وعندما يتبلور الرأى العام حول هذه المشكلة ، والتغيرات اللازمة فى البناء الاجتماعى لمواجهته ، يأخذ بناء الحركة فى التنظيم وتحديد القواعد والترتيبات الخاصة بالقيم الاجتماعية لاحداث هذه التغيرات ، فى البناء الاجتماعى • وقد يكون احـداث التغير فى بعض الأحيان عن طريق الحركات الاصلاحية باجراء بعض التغيرات بواسطة التشريعات والقوانين ، ويكون فى أحيان أخرى باجراء تعديلات واسعة تشمل طريقة الحياة ويكون التغير هنا من طبيعة مماثلة لطبيعـة الاختراع غير انة يحـدث فى الجوانب غير المـادية لبناء المجتمع أكثر منه فى جوانبة المادية (٣٢)•

وفى ضوء هذا التنوع بالنسبة لوظيفة الحركات الاجتماعيـة نسير فى مناقشتنا لتأثير الحركات على النحو التالى :

١ ـ الحركات الاصلاحية •
٢ ـ الحركات الثورية •
٣ ـ الحركات التعبيرية •

١ ـ الحركات الاصلاحية :

تسود الرغبة فى بعض الدول لاحداث التغير الاجتماعى عن طريـق الحركات الاصلاحية أكثر ، ولذلك تكون الروابط الطبيعية ويتم تنظيمها اراديا ، وتوجة نشاطها لخدمة الاغراض العامة (٣٣) • وليست هذه كـل

(٣٢) Rose, Arnold : Ibid p 347.

(٣٣) Rose, Arnold : op . Cit p. 305.

الروابط الموجودة فى المجتمع ، اذ أن هناك روابط يكون الهدف منها تحقيق منافع لأعضائها (٣٤) . وعندما تسعى جماعة هذا الطرز للحصول على مرسوم من الحكومة . وتعيين ادارة معينة لخدمة مصالح الجماعة تكون بمثابة جماعة ضاغطة وفى ذلك يذكر « جروم دافيز » Jerome Davis ان كل حركة تطوعية تستهدف تحقيق تغير دورى . ومن ثم اكتشف « بلمر » امكانية التمييز بين ثلاثة أشكال من الحركات الاجتماعية من حيث الغرض الذى تسعى اليه (٣٥) . والحركات ذات الغرض العام ، والحركات ذات الغرض الخاص ، والحركات التعبيرية . ومن الحركات ذات الغرض العام حركات العمل وحركة السلام . فنشاط هذه الجماعة يتزايد بواسطة الكتابات المنشورة ، اذ أن . . . القائد لا يحدد اتجاهاتها . ولكنه يقدم له العون فى عملية تحديد اهدافهـا ومواجهة المعوقات الفردية للتغير . أما الحركات ذات الغرض الخاص فتكون محدودة بأهداف معينة ولا تسهم قيادتها فى تحقيق الأهداف وانما تسهم فى التعبير عن الاحتياجات وقيم الناس فى صوره اصلاحات عملية وتتمثل فاعلية القائد فى خلق معانى جديدة . وعندما يزداد تقبل الناس للأهداف الموضوعة لهم يزداد ولاؤهم لتلك الأهداف ولبعضهم كأعضاء فى الجماعة . وقد يكون هناك حركات اصلاحية بالجهود المقصودة عن طريق الحكومة . مثال ذلك : حركة « كمال أتاتورك » التى استهدفت اجراء تغيرات معينة فى نظام الكتابة والتعليم ، وفى بعض المجتمعات الاقل تقدما يمكن ادخال الاصلاحات عن طريق القادة التقليديين وتقوم بتنفيذه جماعات غير رسمية (٣٦) . وتتسم تلك الحركات الاصلاحية بأنها لا تخرج عن الحدود المشروعة وهى تسعى لانجاز أهدافهـا (٣٧) .

---

(٣٤) Rose, Arnold : Ibid . p. 350.

(٣٥) Blumer, : Op. Cit pp. 199 - 220.

(٣٦) Rose, Arnold : Op . Cit . p. 352 - 353.

(٣٧) Rose, Arnold : Op . Cit p. 352.

٢ ـ الحركات الثورية :

ذهب جان هازارد Jean Haesared الى أن الثورة هي التغير الفجائي للقيم الأساسية في المجتمع . وبذلك يكون التغير الثوري تغيرا فجائيا سريعا للنظام وقواعد التنظيم الرسمي(٣٨) . وعندما تحدث سروكن عن التغيرات ذهب الى أن الثورات تأتي في فترات انتقالية بالنسبة للقيم الثقافية الهامة ، والعلاقات الاجتماعية ، ومن أهم خصائص الثورة كونها ذات وضوح كبير . وذلك لأن التغير عندما يكون جذريا تكون اثارة واصداؤه كبيرة . في حين أن التغير التدريجي يعني التطور . وفي الوقت الذي تقتصر فيه التغيرات على ميدان أو مجال واحد تكون في هذه الحالة بسيطة . كما أن التغيرات التي تواجه ضد الطبقة الحاكمة تكون تغيرات سياسية . في حين أن التغيرات التي تمس جوانب الحياة الاقتصادية تسمى بالثورة الاقتصادية . وقد تكون الثورة شاملة فتبدأ بثورة سياسية ثم لا تلبث أن تصير ثورة اجتماعية شاملة وذلك مثل الثورة المصرية ، والتي بدأت سياسية ، ثم واجهت الواقع وتحولت بعد ذلك الى ثورة اجتماعية شملت جميع مجالات الحياة في المجتمع . أما التمرد فانه يعني في نظر « هازارد » العنف والرغبة في التخلص من هيمنة السلطة . ومن ثم قد يكون التغير مفاجئا على نحو ما ذهب سروكن وهازارد . وقد يكون تدريجيا كما ذهب هازارد . وعند هذا الحدث يكون التغير ثوريا . ويجمع الباحثون على أن الثورات تحدث تغيرات دائمة في النظام والطرق والاساليب التي ينتهجها(٣٩) .

وهنا يفرق روز بين الحركة الاصلاحية والحركة الثورية من حيث أن الحركة الثورية تتصف بالعنف والحرب مع السلطة السياسية في حين

---

(٣٨) Sorokin, p. : Society , Culture , and Personality Coaper Square Publishers Inc N. Y. 1962 p. 481.

(٣٩) مور ولبرت ، التغير الاجتماعي دار الكرنك للنشر والطبع ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١١٨ .

أن الحركات الاصلاحية لا تخرج على الحدود المشروعة . وقد حـــدد « برنتون » Printon مراحل أساسية فى تطور الثورة رتبها على النحو التالى :

(ا) عدم الاستقرار .
(ب) الخلل الفكرى .
(جـ) ظهور الحافز الاقتصادى والاجتماعى .
(د) مرحلة الثورة .
(هـ) قواعد التحولات .
(و) مرحلة الاصلاحات الجوهرية .
(ز) فترة الرعب .
(ح) العودة للوضع العادى .

وقد ذهب روز الى أنه فى حالة نجاح أى ثورة تكون منجـــزات المرحلة السادسة وهى الاصلاحات الجوهرية ذات فاعلية فى احـــداث تغيرات كثيرة فى المجتمع لاشباع الحاجات التى من أجلهـــا اندلعت الثورة [٤٠] .

٣ ـــ الحركات التعبيرية :

وهذه الحركات الاجتماعية ليس لها سمة تنظيمية ، مثل الحركات الثورية والحركات الاصلاحية ، وذلك لأن حاجة الناس تكون فيها مبهمة وتكون دوافعهم مدركة فيها بصعوبة . غير أنها تمكن الناس من التعرف على متاعبهم وعدم راحتهم وفى عملية التجديد يمثل الأفراد ذوى المراكز الاقتصادية العمالية وضعا كبيرا وبذلك لا تقوم الحركات التعبيرية بعملية تطوير للبناء الاجتماعى ولا للقيادة أو تقسيم العمل والاخلاق . وذلك لأنها تنطوى تحت الحركة الاجتماعية لتحريك عدم الرضى أو الاشـــباع

(٤٠) Rose, Arnold : Op. Cit . p. 353.

بالوضع الاجتماعى القائم وبذلك يكون تغييرها للاوضاع عن طريق التعبير الرمزى للناس لدعم ارتياحهم بالشىء الجديد والذى يخدم فى عملية تغيير الوضع القديم (٤١) .

(ب) اتجاه التسبيب الدائرى المتراكم للتغير :

أصر سروكن على ضرورة انتظام تعاقب التغير فى وحدات النسق الثقافى والتغير فى طرق استخدامها . لأن عدم توافر هذا الانتظام فى الزمان والمكان قد يخرج المجتمع من حالة التوازن الحركى فى عملية تناقله وتحوله . واذا لم يتوافر هذا التوازن بين الجوانب المادية واللامادية حدث التخلف الثقافى على نحو ما ذهب اوجبرن . واذا لم يتزامن التغير الدورى عند استيوارت شابين بحيث تكون عناصر الحضارة المادية واللامادية فى فترة واحدة فى حالة قوة ومتكاملة آلت المدنية الى الحضيض . واذا ما سقطت المدنية فى الحضيض فان الامور تزداد سوءا وذلك ما أبرزه ماركس فى نظريته حول تراكم رأس المال ، حيث أن رأس المال يميل الى التراكم . فالغنى يزداد غنى بينما العامل الذى يستغل صاحب رأس المال جهده ينخفض أجره حيث يؤثر ذلك على مستوى تغذيته والذى يؤثر بدوره على صحة العامل وذلك يؤثر على مستوى انتاجية الأمر الذى يترتب عليه طرده من عمله فيتعرض للبطالة وتتفاقم الظروف السيئة من حوله . وقد كشفت دراسة « جنار ميردال » لمشكلة الزنوج بامريكا ، والدول الغنية والفقيرة ء الجوانب الاساسية التى بنى عليها نقده للتوازن الثابت والذى تقوم عليه النظرية الكلاسيكية فى فهم التغير . وقد جعله ذلك يذهب الى ان لب اية مشكلة اجتماعية يكمن فى انها ترتبط بعدد متداخل من التغيرات الدائرية والتراكمية (٤٢) . فالعملية الدائرية التراكمية أكثر واقعية للتغير الاجتماعى . وذلك على

---

(٤١) Rose, Arnold : Ibid pp. 354 - 355.

(٤٢) ميردال جونار : الدول الغنية والدول الفقيرة — المرجع السابق ، ص ١٨ .

عكس التصور الكلاسيكى لنظرية التوازن الثابت • فليس هناك فى الأحوال العادية مثل هذا الميل الى الاستقرار الذاتى التلقائى فى النظام الاجتماعى • فالنظام لا يسعى بنفسه نحو أى نوع من التوازن بين القوى ، بل نجده يتغير دائما عن هذه الحالة • وقد يحدث فى الأحوال العادية الى ان يؤدى التغير الى احداث تغيرات أخرى مضادة ؛ بل تغيرات مساعدة ترفع النظام فى الاتجاه السابق نفسه وان كان بسرعة اكبر وبسبب هذه العملية الدائرية نجد ان العملية الاجتماعية تميل الى ان تكون تراكمية ولا يقتصر دور التغيرات الخارجية فى ايقاف تلك العملية فى النظام فحسب ، بل قد يسبب عن طريق رد الفعل بدء عملية تراكمية مبتعدة عن هذا الموقف فى اتجاه التغير الجديد • ولعلاج هذه المشكلة قارن ميردال بين القدرية الاجتماعية وضرورة التدخل فى العملية الاجتماعية بصورة شاملة متكاملة قائمة على التوجيه المخطط •

الأسس الاجتماعية لنظرية التسبيب الدائرى المتراكم للتغير :

تقوم النظرية الاجتماعية الاقتصـــادية عند ميردال على أسس اجتماعية تؤكد ما ذهب اليه استيوارت شابين من ان الحضارة تتضمن فى مكوناتها عمليتى النمو والتخلف وتظهر بوضوح حتمية التخطيط (الشامل المتكامل) للدول المتخلفة • ولقد تبين « لميردال » من دراسته لمشكلة زنوج امريكا قصور نظرية التوازن الثابت وتوصل الى ان جوهر أى مشكلة اجتماعية يكمن فى العمليات الدائرية التراكمية القائمة على اساس تحليلى للعلاقات التسببية المتبادلة فى داخل النظام ذاته :

١ ــ تداخل الأثر التسببيى بين العوامل الاقتصادية والاجتماعية فى النصف الثانى من القرن العشرين لجعل دول العالم تنقسم الى دول متخلفة أو فقيرة ، ودول متقدمة أو غنية ، وان الفجوة أو المسافة بينهما تزداد مع الوقت ولذلك تواجه دراسة مشكلة التغير الاجتماعى على أساس الحتمية أو نسبية العامل المتفوق صعوبات كثيرة ، اذ انه لا يمكن فرز

عامل عن بقية العوامل لأن جميع العوامل متكاملة التأثير وتؤثر وتتأثر ببعضها بطريقة دائرية [٤٣] .

٢ ــ اذا كانت جميع العوامل تتداخل بعضها مع بعض فى احداث الظاهرة الاجتماعية ، ومتبادلة التأثير فان « ميردال » يصر على ضرورة الاهتمام بالتفسير المتكامل للعوامل المتبادلة التأثير ازاء العملية الدائرية التراكمية . الأمر الذى يتطلب عدم الفصل بين العوامل الاجتاعيــة والعوامل النفسية والعوامل السياسية والعوامل الاقتصادية . وذلك يتطلب منا دراسة العلاقات الدائرية المتداخلة فى العملية التراكميــة لمــا لها من أثر فى العلاقات الاجتماعية . ويركز ، ميردال على أهمية دراسة العلاقات تلك عند دراستنا لمشكلة التخلف والتقدم التى تتضمنها الحضارة . ولابراز اهمية ذلك ساق ميردال مثالا نعرضه على النحو التــــالى :

« انه لو افترضنا ان مصنعا يعيش من ورائه عدد كبير من العمال واسرهم قد أتت عليه الحرائق ولم ينشأ ثانية .. فيترتب على ذلك خروج الشركة صاحبة المصنع من مجال العمل وتعطل عمال المصنع » .

وذلك ما سوف يترتب عليه انخفاض الطلب على القوى العاملة وانخفاض مستوى معيشتهم . كما ان انخفاض الطلب سيؤدى بدوره الى انخفاض الدخول وخلق البطالة فى جميع الأعمــال الأخرى ، اذ ان الجماعة التى كانت تقدم لها المصانع انتاجها قد انخفضت قوة شرائها نتيجة لانخفاض مستوى معيشتهم الأمر الذى سوف يجعل الشركات لا تتوسع فى اجراء التعيين لعمال جدد والحد من رفع أجورهم لقلة التصريف وانخفاض الربح العائد . الأمر الذى يضطرها احيانا الى ترك بعض العمال فتتزايد مشكلة البطالة .وقد تتحرك التنظيمات وتقرب

---

(٤٣) ميردال جونار : الدول الغنيــة والدول الفقيرة ــ المرجــع السابق ، ص ٢٤ .

لسلوك الشركات تلك وتغلق المصانع كرد فعل للاضرابات الأمر الذى يترتب عليه التأثير على الظروف الاجتماعية والاقتصادية فى ســوق العمل فتتفاقم مشكلة البطالة ويزداد انخفاض مستوى المعيشة ٠ وبذلك يصبح لدينا عملية من « التسبيب الدائرى » لها نتائج يتوقف كل منهـا على الآخر بحيث تتراكم على شكل دائرة مفرغة ٠ وهنا يعلق ميردال على انه اذا لم تحدث مؤثرات خارجية على هذه الحالة فان ظروف هذه الجماعة ستكون أقل جاذبية للعمل والعمال الذين يفكرون فى القدوم اليها ٠ ومع مرور الوقت سيجد العمال الموجودون بهذه المنطقة أسبابا قويه تدفعهم للخروج من تلك الظروف والهجرة لمنطقه اخرى للبحث عن سوق أفضل فى اماكن أخرى واذا ما تم ذلك سيؤدى الى انخفاض الدخول والطلب فى تلك المنطقة ٠ وسيتأثر ترتيب السكان حسب اعمار هذه الجماعة بما يؤثر على مصالحها ٠ واذا كان مقياس هذه الحالة التخلف والفقر ، وهو مقياس اقتصادى ، فان مضمونها يشير لعــدة عوامل اجتماعية واقتصادية وسيكولوجية وسياسية ٠ وهــذه العوامل هى قلة رؤوس الأمــوال المســتثمرة ٠ والتخلف فى المهــارة الفنيــة (التكنولوجية) ٠ والتخلف فى المهارة الاجتمــاعية وضعف التعليم وتخلف الأحوال الصحية وسوء حالة السكن وتخلف الاستقرار السياسى والحكومى ، والعــادات والتقــاليد الضــارة وقلة الحــوافز على العمل ٠٠ الخ ٠ وهذه العوامل تؤثر وتتأثر ببعضها وينجم عن هــذا التأثير المتبادل التخلف أو الفقر كما ينتج عن هذا التخلف أو الفقــر هذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية السيئــة (التسبيب الدائرى) ٠

عرضنا فى المثال السابق للعملية التراكمية الدائرة فى الاتجــاه المضاد ، غير ان العملية التراكمية الدائرية تحدث ايضا اذا كان هــذا التغير تغييرا نحو التقدم والنمو ، فاقامة مصنع يشكل دفعة من أجــل النمو العام للجماعة التى يقع بمنطقتها ٠ اذ أن فرص التوظف تتواجد

وترتفع دخول المتعطلين أو الذين يعملون باجور زهيدة فى المكان الذى انشىء فيه المصنع كما ان الأعمال تزدهر ، اذ ان الزيادة فى الطلب والخدمات ، سيجلب العمل ورأس المال والمشروعات من الخارج لاستغلال الفرص المتزايدة ، واقامة عمل جديد أو التوسع فى عمل قائم يفتح السوق امام أعمال أخرى كما يحدث تماما عند زيادة الدخول (٤٤) • الا أن العوامل النسبية فى التقدم أو الغنى أو الناتجة عنه عوامل اقتصادية واجتماعية فهى تجمع بجانب كمية رأس المال الاستثمارى ، والمستوى التكنولوجى والموارد الطبيعية وعناصر أخرى لتوافر المهارة الاجتماعية والمهارة الفنية ودرجة التعليم بين الشعب والحالة الصحية والاستقرار السياسى والبيئة السكنية الصالحة ومرافق الاتصال والمواصلات المتقدمة • وكافة الخدمات المتقدمة والحوافز المشجعة على العمل • غير ان هذه العناصر جميعها الاقتصادية والاجتماعية والسيكولوجية هى عناصر متبادلة التأثير وينتج عن هذا التأثير المتبادل النمو والتقدم كما ينتج عن النمو تقدم هذه العناصر جميعها (التسبيب الدائرى) (٤٥) •

ويذهب ميردال الى ان التغير فى ظروف العمل العامة كانت تعالج (كمشكلة دورية) • لأن الابحاث الخاصة بدورة العمل كانت تهتم بمسألة الزمن وكان الاهتمام منصبا على التغيرات الحادثة من منطقة أو فترة زمنية الى منطقة أو فترة أخرى من الوقت الذى لا تعطى اهتمامات مماثلة للعوامل الأخرى •

٣ — ان الايمان بالقدرية الاجتماعية وتلقائية التغير قد تجرنا الى تحريك العوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والسياسية بحرية ودون تدخل مقصود لكى تؤثر وتتأثر ببعضها • واذا تم ذلك نتجت

---

(٤٤) ميردال جونار : المرجع السابق ، ص ١٨ •

(٤٥) Mayo, Elton : The Social Problemes an Industrial Civilization , London , Routhledge & Kegan paul Ltd . 1957. P. 41.

عنه عملية تراكمية ، أى انه اذا كانت هذه العوامل تقدمية فى مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ، فان التفاعل الحر بينها يؤدى الى تراكم التقدم • اما اذا كانت تلك العوامل تخلفية ، فان التفاعل الحر فيما بينها يؤدى الى تراكم التخلف • ومن هناك تستمد النظرية اسمها (التسبيب الدائرى التراكمى) •

٤ — وبالنسبة لظروف الدول المتخلفة فان المخرج الوحيد لهذه الدول من دائرة التراكمية ليس بترك الأمور على حالها ، ولكن بالتدخل لتوجيه هذه العوامل المتخلفة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو السيسولوجية ، كى تتفاعل بشكل منظم يتكامل مع اهداف التخطيط الشامل المتكامل وعلى حد تعبير ميردال يكون التدخل فى صورة التخطيط الاقتصادى والاجتماعى الشامل المتكامل • وليس مجرد التدخل الجزئى فى بعض القطاعات دون غيرها ، وذلك يعنى ضرورة تكامل التوجيه فى نظر ميردال •

٥ — توازن التغير الاجتماعى ، سادت الفرضية الخاصة بتغير المجتمع المستمر بين علماء الاجتماع والمفكرين ، وذلك ما أكده انصار المذهب الفكرى المجرد لابراز القوانين التى تحكم حركة المجتمع كما ان ما ذهب اليه سميث من وجود صلة بين الاسباب واحداثها وما نادى به سان سيمون من وجود قوانين واسباب تحكم حركة الجماعات البشرية والمجتمع وذلك ما اكده من بعده تلميذه اوجست كونت حيث قسم علم الاجتماع الى الديناميك سوسيال والاستاتيك سوسيال والذى يعد دليلا واضحا على ذلك الشعور الذى اجتاح المفكرين من وجود حركة فى المجتمع، وهو موضوع الديناميك سوسيال عند اوجست كانت ، اذ انه يهتم بدراسة الحركة الدائمة ، غير ان محاولة اوجست كونت للربط بين النظام والديناميك وتكاملها لاحداث التقدم • يعنى ان حالة التوازن فى الحركة لا تتم الا عن طريق التكامل بين النظام والحركة وحتى الآن ، فان الشعور السائد هو عدم الفصل بين الديناميك والاستاتيك سوسيال ،

رغم ان تقسيم كونت ما زال مستعملا حتى الآن فى علم الاجتماع مع التعبير عنه باصطلاحات متباينة مثل البناء الاجتماعى والتغير الاجتماعى . فالتضامنية أمر ضرورى للمحافظة على الحركة ، والا تمخضت الحركة عن تجزء أو تحلل النسق الاجتماعى[٤٦] . فالحركة الاجتماعية ذات الوجود الدائم فى المجتمع والتى تداركها علماء الاجتماع قد حدت بهم الى اطلاق كلمة التوازن المتحرك على فكرة التوازن عامة لابراز الديناميكية فيه . فكل نظام اجتماعى يكون متوازنا فى وقت ما ثم يختل هذا التوازن فتتزايد عوامل التغير وذلك لأن النظام الاجتماعى تعمل فيه قوتان ، قوة تميل للهدم والاخلال بالتوازن ، وفى الغالب لا يعود النظام لحالته السابقة ، وقوة تميل للتقدم ومن هذه الحالة سمى التوازن المتحرك لوجود الدينامية فى النظام الاجتماعى .

وعندما صاغ سبنسر قانون التطور الذى يعنى التحول البطىء الذى تمر به الجماعة البشرية من حالة التجانس الى حالة اللاتجانس . فقد نحا منحى مغايرا لمنحى اوجست كونت بالنسبة لفكرة الآلية Mecanisme اذ ذهب الى ان الغائية تتحكم فى الآلية نتيجة خروجها منها ، وتضمنها التطور . وذلك لأن الغائية تمثل المراحل التى يمر بها كائن ما لبلوغ حالة التوازن . غير انه يؤكد ان فكرة التوازن تلك ليست بالأمر النهائى ولا تدوم لزمن طويل وبذلك تقوم فكرته عن التوازن أساسا على فكرته عن التجانس واللاتجانس ، فالمجتمع البسيط متجانس ، أى متوازن ولكنه عندما يتطور يزداد اللاتجانس [٤٧] . ولكن فى توازن ومن فكرة سبنسر عن التوازن استمد علماء الاجتماع فكرتهم عن التوازن الدينامى ولقد تأثر بعض العلماء بمفهوم سبنسر عن الغائية التى تمثل التوازن التلقائى لقانون التطور عنده ، رغم ان اوجست كونت قد ذهب الى وجود قوتين فى النظام الاجتماعى ، أحدهما تعمل للهدم والأخرى

---

(٤٦) Timasheff , N. Op. Cit p. 24.

(٤٧) ميردال جونار : المرجع السابق ، ص ١٨ .

تعمل للتقدم • وأكد أنهما لا يؤديان بالنظام لحالته الساكنة • وقد ارتكزت ديناميكية الثقافة عند سروكن على نظريته التحليلية • اذ ان اتجاه التغير الاجتماعي يأخذ خطا تقدميا الى حد معين ، كما انه ابرز نمط التغير الترددى بين ما أسماه الثقافة الحسية والمادية المتسمة بالتذبذب فى اتجاه واحد خلال العديد من اشكال الثقافة ، وفى الثقافة الفكرية (فى الاشكال الفكرية) • ولقد ابرز « بوتول » ان التغير فى الكم لا يؤدى فى كل حالة الى تغير فى الكيف ، لأن هذه الظواهر لا تتابع بالضرورة ومن ثم كان اصرار دوركايم على ابراز الفرق بين الكثافة العددية والكثافة الاجتماعية (الأخلاقية) •

ولقد تأثر الاقتصاديون بمفهوم سبنسر عن تلقائية التوازن ، فحاولوا تفسير التغير الاجتماعي فى النظام على اساس التوازن الثابت حيث تأخذ العملية الاجتماعية اتجاها نحو نقطة معينة • وقد سرت فكرة التكامل الثابت فى جميع تأملاتنا الاقتصادية والاجتماعية خلال المائتى سنة الماضية كما حددت المعانى الكلية الاساسية لجميع علومنا الاجتماعية والاقتصادية ، وقد خرج بعض الاقتصاديين على نظرية التوازن الثابت والتحليلات السابقة عليها • اما بالنسبة لمشكلة الدول المتخلفة فالحقيقة انها خارج الاطار النظرى للتوازن الثابت • ولقد كشفت بعض المحاولات الأخيرة عن وجود نظرية اجتماعية اقتصادية تتسم بالديناميكية • الأمر الذى ترتب عليه اظهار ادعاء التوازن الثابت على أنه عاجز عن تقديم أساس لنظرية صحيحة للتخلف والتقدم ، والتفاوت الاجتماعي والاقتصادى ، وان كانت فكرة التوازن الثابت قد سقطت كنظرية الا ان لها تأثيرها على بعض الميول المتمثلة فى انسجام المصالح والعداء للدولة والنظام القائم •

اما بالنسبة لمفهوم التوازن المتحرك الذى استمد علماء الاجتماع جذوره من مفهوم سبنسر عن فكرة التوازن التطورى ، فان الاعتماد عليها فى تفسير مشكلة التخلف والتقدم والظروف الاجتماعية

والاقتصادية ، والسياسية السيئة التي توجد فى بعض الدول له مبرراته المنطقية اذ انه يعنى قيام حالة التوازن تلك رغم ما يطرأ على انماط الثقافات من تغير تلقائى •

وفى ضوء هذا الحوار يمكننا ان نميز بين أنواع التوازن من حيث ارتباطها بالتغير بين نمطين اساسيين للتوازن الاجتماعى :

١ ــ النمط المستقر (الثابت) •

٢ ــ النمط غير المستقر •

اما بالنسبة للتوازن الثابت : فينقسم الى التوازن الاستاتيكى والتوازن الديناميكى • ويشير التوازن الاستاتيكى الى الموقف الذى يكون فيه بناء النسق ثابتا وغير متحرك [٤٨] كما هو الحال بالنسبة للعلاقة بين النسق وبيئته • واذا كان النسق الاجتماعى فى حالة من الفاعلية الدائمة الا انه فى حالة التوازن الاستاتيكى لا تتغير هذه الفاعلية الاجتماعية • فى حين أنه فى حالة التوازن الدينامى يتضامن كلا من الفاعلية والتغير • اذ توجد تغيرات فى العلاقة القائمة بين النسق وبيئته بالاضافة الى وجود تغير داخلى ولكن ليس بالمعنى الذى يشير الى وجود تغيرات فى العلاقات الاساسية القائمة بين المتغيرات المتفاعلة التى تكون فى حالة تنازع • كما ان هذه التغيرات قد تكون لحظية وفى صورة عامة ، نجد ان التوازن الدينامى للنمو المستقر لا يشير لوجود تغير بنائى كلى ، اذ أن التغير يكون منتظما وضمنيا ومرتبطا بعملية التصحيح والتعديل التى تتم بين الميول غير المتوازنة •

مثال ذلك •• تزايد التخصص فى الجوانب السياسية والاقتصادية فى الوقت الذى لا تتغير فيه الطرائق النمطية المنتظمة للفاعلية السياسية

---

(٤٨) Dictionary of Social Science : op . Cit. p. 101.

والاقتصادية • أما بالنسبة للتوازن غير المستقر فيشير للموقف الذى تولد فيه التصدعات الخفيفة •• تصدعات أكثر دون ان يكون هناك أى تدخل انتظامى • وهو يؤدى فى النهاية التحطيم والتصدع أو لتأسيس أنواع جديدة من الترتيب البنائى المتوازن للنسق الاجتماعى [(٤٩)] •

* * *

---

(٤٩) Eastion, David : The Equilibrium Modle Social Reseaech 1956, Vol . 1 .

الفصل الثالث

مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير الاجتماعى

نستهدف فى هذا الفصل مناقشة المداخل المنهجية لتحليل التغير فى النظرية الوظيفية وذلك لايضاح الاختلاف القائم بين المدخل البنائى والمدخل الوظيفى لتحليل التغير من ناحية ، والحاجة للربط بينهما عند تناول الظاهرة من ناحية أخرى وذلك لأن البنائية والوظيفية يختلفان عن بعضهما من حيث التأكيد على جانب واحد من العلاقة أو جميعها • فان كل المدخل البنائى يهتم بتحليل جانب من النسق ، فان المدخل الوظيفى يكون موجها للاهتمام بالنسق ككل • ولما كنا فى حاجة الى التعرف على كل عنصر من عناصر النسق بشىء من التفصيل ، ومدى اسهامه مع بقية العناصر الأخرى من حيث ادائها الوظيفى للحفاظ على وجود النسق وبنائه ، فان الأمر يقتضى الربط بين المدخل البنائى والمدخل الوظيفى ، فى تحليل التغير ، وذلك ما نوضحه على النحو التالى :

أولا ـ المدخل البنائى لتحليل التغير •

ثانيا ـ المدخل الوظيفى لتحليل التغير •

ثالثا ـ المدخل البنائى الوظيفى لتحليل التغير •

* * *

أولا : المدخل البنائى لتحليل التغير :

١ ـ المفهومات وتعريفاتها :

يكتنف مفهوم البناء الاجتماعى كثيرا من الغموض والابهام ، فقد ورد بأشكال مختلفة من قبل الكثير من العلماء ، ومع هذا فان أغلبهم لم يجد تعريفا كاملا له . ومن ثم زاد الاهتمام بمفهوم البناء الاجتماعى عند الانثروبولوجيين . وبالرغم من اتفاق اغلب الباحثين على دراسة العلاقات الاجتماعية ، فقد اختلف المفهوم ، وتعريفهم للبناء الاجتماعى طبقا لخبرتهم الحقلية . ولقد قامت عدة دراسات حقلية لدراسة البناء الاجتماعى واشهر هذه المدارس المدرسة الوظيفية الانثروبولوجية التى تتميز بالمعايشة الميدانية للدراسة ولهذه الدراسات أهمية فى تحديد وتعريف البناء الاجتماعى . غير أن علماء الاجتماع عندما يتحدثون عن البناء الاجتماعى يعنون به كنظام ثابت نسبيا للحياة الاجتماعية ، قابل للنمو وقادر على الاستمرار . ويميل بعض العلماء فى محاولاتهم لوضع تعريف للبناء الاجتماعى باعتباره الطريقة التى ينقسم بها المجتمع الى زمر اجتماعية أو الى جماعات متمايزة واضحة ، وان ثمة عناصر أساسية وجوهرية توجد فى كل مجتمع . كما انه يستخدم كاساس لهذا التمايز والتفاضل . ولقد اختلف العلماء فى تحديد هذه العناصر الاساسية أو المبادىء الأولية التى يقوم عليها التمييز ، ومع ذلك فهناك نوع من الاتفاق على بعضها مثل مبدأ التوزيع الاجتماعى للجماعات ، ومبدأ التمايز على أساس الجنس ، ومبدأ التمايز على أساس النسق ، والتمايز على أساس التنظيم القرابى وغيرها من المبادىء [1] .

وقد تعددت تعريفات البناء الاجتماعى بتعدد العلماء الذين تعرضوا لتعريفة ، شأنه فى ذلك شأن بقية مصطلحات علم الاجتماع والعلوم

---

(١) د. احمد ابو زيد : البناء الاجتماعى الجزء الثانى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ ــ ص ٣٠٨ .

الاجتماعية والانسانية ، التى من الصعب المجىء بتعريف جامع مانع لكل منها . كما هو الحال فى العلوم الطبيعية . ومن ثم يكاد يجمع علماء الاجتماع والانثروبولوجيا على ضرورة التركيز على الدراسات الحقلية للمجتمعات المحلية الصغيرة التى يسهل فيها تحديد خصائص البناء الاجتماعى والتعرف على مكوناته وعلى أن البناء الاجتماعى هو نسيج العلاقات الاجتماعية الدائمة المستقرة فى المجتمع [٢] ، والتى تظهر على هيئة انساق اجتماعية من الجماعات ، ومن الأفراد الذين تنظم علاقاتهم . وتحدد أدوارهم التى تتباين بتباين مواقف تفاعلهم . تلك المواقف التى تحدد بقواعد وجزاءات اجتماعية معقدة ، كما انها تتفاعل بعضها مع بعض داخل نطاق الجماعة أو المجتمع بطريقة فيها الكثير من الانسجام والاتساق [٣] ومن ثم نقرر فى ضوء مجموعة المفاهيم السابقة ان البناء الاجتماعى ما هو الا حصيلة تكامل وترابط مجموعة من العناصر الأساسية المادية وغير المادية ، وهذه العناصر لا تقل فى ديناميتها وحركتها عن عملية خلق البناء ووضع صيغته ونمطه المحدد . على أن أهم ما فى التحليل للبناء الاجتماعى هو مبلغ صياغة البناء للشخصيات الفردية ، والجماعة فى ذات الوقت . فالبناء الاجتماعى يصنع الشخصية الفردية ، كما انه يخلق المواقف التى تملى الاتجاهات وتقرر انماط السلوك .

ولقد أثار مفهوم البناء الاجتماعى اهتمام عدد كبير من علماء الأنثروبولوجيا ، والاجتماع ، فذهبوا الى أن هذا المفهوم يستخدم مثل كثير من مصطلحات علم الاجتماع بمعان متعددة ، ومع ذلك فان هناك بعض العناصر الأساسية التى يجمع عليها غالبية هؤلاء العلماء

---

(٢) د. أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى — مدخل لدراسة المجتمع الجزء الأول — (المفهومات) ، القاهرة — الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ ص ١ — ٧ .

(٣) د. أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى ، مدخل لدراسة المجتمع ، الجزء الثانى (الانساق) القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر : ١٩٦٧ ، ص ٣ — ٧ .

وبخاصة الذين يهتمون بالدراسات الحقلية فى المجتمعات المحلية الصغيرة التى سبق فيها تحديد ملامح البناء الاجتماعى والتعرف على العناصر المكونة له • وقد انتهى الرأى الى أنه من الضرورى الوقوف عنـــد دراسة البناء الاجتماعى على العلاقات والروابط الاجتماعية المتبادلة التى تقوم بين الوحدات . الأمر الذى يمكن تناوله عن طريق الملاحظة المباشرة • وهذه الشبكة المعقدة من الموضوعات التى يهتم بها الدارسون فى ميدان البناء الاجتماعى (٤) •

ورغم ذلك الاتجاه فقد ذهب العلماء الى حد القول بان مفهوم البناء الاجتماعى من بين المفاهيم التى يصعب تحديدها وتعريفها فى اتجاه معين ، فهذا المفهوم ذو طبيعة غير مادية ، ومن ثم تنشأ صعوبة تحديده ، وان كان الموقف العملى يقضى أن تحدد السمات العامة للبناء الاجتماعى وعناصره الاساسية • فالبناء الاجتماعى عادة عبارة عن علامات نسبية قائمة بين عدد من العناصر والأجزاء القائمة فى وقت معين • ويعد الوقوف على هذه العناصر من أهم المشاغل الأساسية فى مجال الدراسة البنائية ، سواء أكانت هذه العناصر مادية أو غير مادية (٥) •

وتختلف انماط البناء الاجتماعى واشكاله باختلاف الابنية الفرعية الممثلة لقطاعات هذا البناء ، فالمجتمعـــات الحضرية تختلف ابنتيهـــا الاجتماعية عن القروية ، وتختلف العلمانية أو الدنيوية الفعليـــة عن المقدسة التقليدية ، وتختلف المجتمعات القديمة عن المجتمعات الحضرية وحتى فى داخل كل نمط من الأنماط السابقة توجد أشكال متباينة ، ويعتبر التغير فى البناء الاجتماعى احد العوامل التى تعمل على التغير

---

(٤) د. احمد أبو زيد : البناء الاجتماعى — مدخل لدراسة المجتمع ، المرجع السابق ص ٢٥ — ٢٦ •.

(٥) Harold, Hoff Somer : The Sociology of American Life, N. Y. 1958 p. 195.

لأن هـــذا التغير قد يؤدى الى عدم الاتساق بين مكونات البناء ، وقد لاحظ كثير من الباحثين ان العنصر المـــادى من البناء أكثر تغيرا من العنصر اللامادى ، وعلى الرغم من أن « بيترم سروكن » قـــد عاب على النظريات التى ترى ان القيم المـــادية والاقتصادية والتكنولوجيـــة هى أول ما يتخـــلل الثقـــافات الأخـــرى على نحو ما ذهب ماركس وماكس فيبروا جبرن وماك ايفر ، وغيرهم ، وذلك لأنها نظريات غير دقيقة ، لأنه لا يوجد مبرر منطقى لتجانس سبق من القيم الاقتصادية والتكنولوجية الخاصة بثقافتين فى الوقت الذى يحدث فيه عدم تجانس بين القيم اللامادية ، هذا بالاضافة الى أن بعض الحقائق تعارض بعض قضايا هذه النظريات اذ قد تنتشر القيم الاقتصادية فى بعض الحالات أولا تنتشر ، وقد تنتشر القيم التكنولوجية أولا تنتشر ايضا ، وعلى الرغم من اعتراض بيترم سروكن على هذه النظريات فانه يتفق معها على وجود تفسير فى القيم يرتبط بانساق اجتماعية دون انساق أخرى ٠ وان التغير بين قيم الانساق لا يكون متناسقا أو متوازيا ، وهذا يسمح بوجود تباين وربما تناقض بين قيم الانساق الاجتماعية المختلفة وتقترب وجهة النظر تلك من وجهة نظر انصار نظرية التكامل فبارسونز يعزى الصراع الاجتماعى الى فقدان التوازن بين مكونات النسق الاجتمـــاعى فى الوقت الذى يفضى فيه هذا الصراع الى عدم التوازن ٠

وفكرة البناء الاجتماعى ليست بالفكرة الحديثة ، اذ نجد تعريفا لها بشكل غير مباشر يتضح فيه مضمون البناء الاجتماعى كما ينظر اليـــه حديثا ، وذلك خلال كتابات كل من ماركس ودوركايم (التركيبـــات المورفولوجيـــة) وكذلك عند مونتسكيو فى كتـــابه « روح القوانين سنة ١٧٤٨ » عندما تبين انه لا يمكن فهم القانون الدولى أو الدستورى أو الجنائى أو المدنى فى أى مجتمع الا فى ضـــوء علاقة كل منهـــا بالآخر من ناحية وعلاقته بالسياق السياسى والاقتصـــادى والدينى ، والمناخى ، وحجم ، السكان والعادت وقواعد العرف وكذلك امزجـــة الناس وهذا ما يعنيه بالفعل مضمون البناء الاجتماعى ٠

والبيـــاء الاجتمـــاعى كمـــا وضعه « جورفيتش Gurivitch » هو الكل الاجتماعى وما ينطوى عليه من اجزاء « كما يرى ان ادراك الكل لابـــد وان يسبق ادراك الأجـــزاء التى تدخـــل فى تركيبـــه • اما « فورتز » Fortes فقد عرف البناء الاجتماعى بانه كل متمايز متكامل يمكن تحليله الى نسق رتيب من اجزاء أقل تعقيدا • ودراسة البنـــاء تتطلب أولا تحديد الأجزاء والعناصر والعلاقات القائمة بينهـــا ثم الكشف عن المبادىء التى تحكم هذا النسق والترتيب البنائى : ويتفق مع « فورتز » فى هذا التعريف للبناء الاجتمـــاعى العلامة « وليم فيرث » W. Firth بقوله ان البناء نسق متكامل يعكس لنا العلاقات التى تربط الأفراد فى وحدة اجتماعية •

اما « راد كيف براون » R.C. Brown فيقول ان كلمة بناء تشـــير بالضرورة الى وجود نوع من التنسيق أو الترتيب بين الأجزاء التى تدخل فى تكوين الكل الذى نسميه بنـــاء • وذلك لأن ثمـــة علاقات وروابط معينة تقوم بين هـــذه الأجزاء التى تؤلف الكل وتجعل منه بنـــاء متماسكا ومتمايزا ، وبمقتضى هذا الفهم تكون الوحدات الجزئيـــة الداخلة فى تكوين البناء الاجتماعى هى الاشخاص أى اعضاء المجتمع الذى يحتـــل كل منهم مركزا معينا فيه ، ويؤدى دورا محددا فى الحياة الاجتماعية • وهذه نقطة جوهرية فى نظرية راد كليف براون ، لأن الانســـان كفرد فى نظره لا يعتبر جزءا مكونا للبناء • فالناس هنا هم اعضاء المجتمع من حيث هم اشخـــاص Persons وليس من حيث هـــم أفـــراد Individuals ، والمفكرون الاجتماعيون حينما يتكلمون عن موضوع التخلف فانهم يقصدون التخلف الاجتماعى الكلى • حيث ينظرون الى البناء فى انساقه المختلفة فى ادائها للدور الوظيفى المنوط بها كما ينبىء عن تساندها وظيفيا أو عدم تساندها نتيجة لعدم التوازن فى تكاملهـــا وتعاونها ، وقياس التخلف فى نظر كثير من المفكرين يعتمد على النظام الاقتصادى باعتبار ان هذا العامل هو الاوضح اثرا ، وهو الذى يتردد

صداه فى مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية ؛ وهو الذى يمكن قياسه وتقدير الاثار المترتبة عليه (٦) • وبذلك تعد دراسة البناء الاجتماعى من الأسس الهامة فى الدراسات السسيولوجية •

٢ ـ قضية التغير البنائى للشق الاجتماعى :

ويقصد بالتغير البنائى Structural Change ذلك النوع من التغير الذى يستلزم ظهور ادوار وتنظيمات اجتماعية جديدة تختلف اختلافا نوعيا عن الادوار والتنظيمات القائمة فى المجتمع • ويقتضى هذا النوع من التغير حدوث تحول كبير فى الظواهر والعلاقات السائدة فى المجتمع •

ويعرف موريس جينز بيرج M. Genzberg التغير البنائى بانه التغير الذى يحدث فى بناء المجتمع بالنسبة لحجمه وتركيب اجزائه وتنظيمه الاجتماعى • وعندما يحدث هذا التغير فى المجتمع نرى أفرادا يمارسون أدوار اجتماعية مغايرة لتلك التى كانوا يمارسونها خلال فترات زمنية سابقة • ولقد قسم ابن خلدون المجتمع الى بدو وحضر ، واوضح ان تغير الأحوال يؤدى الى تغير طبيعة ذلك المجتمع • ويذهب دوركايم انه كلما تقدم المجتمع (٧) تعددت وحداته البنائية أو هيئاته الوظيفية • وارتفعت حضارته وتنوعت علاقات افراده حيث يتكاثف الناس فى معيشتهم ، ويقيمون فى وحدات سكنية أوسع ، مما يؤدى الى المنافسة بين الأفراد الأمر الذى يدفعهم للابتكار • ويخلق فيهم معنى الذاتية الاجتماعية (٨) • وكلما كان بين افراد المجتمع تماثل وتجانس وتعاون ،

---

(٦) د• مصطفى الخشاب المدخل الى علم الاجتماع ـ القاهرة المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر . الكتاب الثانى ١٩٦٧ ـ ص٤٠٩ .

(٧) مقدمة ابن خلدون : القسم الأول ـ مطبعة الكشاف ـ بيروت ص ١٢٠ •

(٨) Durkheim, E : The Division of Labor in Society by E, Durkheim by G. Simpon Glencoe London The Free Press, 1964, pp. 266 - 271.

أدى هذا الى ترابطهم وظيفيا فى جماعاتهم المختلفة التى ينتمون اليها وبالتالى فى بنائهم الاجتماعى الشامل •

٣ ـ مستويات التغير البنائى للنسق الاجتماعى :

يتفق علماء الاجتماع فيما بينهم : على وجود اربعة مستويات اساسية لتغير البناء الاجتماعى تتمثل فيما يلى :

(أ) التغير فى البناء الكلى للجماعة ، والتغير فى هذه الحالة يكون بطيئا ، وربما يحدث خلال عدة أجيال •

(ب) التغير الذى يحدث على مستوى جزء من المجتمع المحلى ، والذى يشير الى ذوبان وظائف المجتمع المحلى كلها أو بعضها فى المجتمع الأكبر • هذا فى الوقت الذى تميل فيه التشريعات التى تسنها الدولة الى طمس الملامح الفريدة للمجتمع المحلى ، ودمجها فى المجتمع الكبير (٩) •

(جـ) التغير الذى يحدث لابعاد وعناصر بناء المجتمع • ولما كان للابعاد قدر من الشمول الذى يتسع باتساع المجتمع فانه يمكن ان تؤدى الى تغيرات فى بقية اجزاء الجماعة أكثر مما تستطيعه العناصر • ومع ذلك فكلاهما بتغير من الداخل ويحدث تغيرات اجتماعية أخرى •

(د) التغير الذى يحدث فى جزء أساسى من المجتمع مثل الأسرة أو تنظيم المدرسة نفسها • وهذه التغيرات فى الابنية الفرعية تصبح هامة جدا فى فهم المجتمع • ولكن هذا التغير يكتسب اهميته عندما يتضمن تغيرات فى الوظيفة •

---

(٩) Lovry Nelson , and others : Community Structure and Change, N. Y , The Macmillan Company , 1960 . p. 396.

ومن الملاحظ عادة ان من مستلزمات عمليات التغير الاجتماعى المتكامله انظر الى البناء الاجتماعي في شموله وكلياته • وذلك اذا ما اردنا تحقيق درجة من الرفاهية الاجتماعية للمجتمع ككل • واذ ما اخذنا بهذه النظرة الشاملة فان برامج التغير الاجتماعى تكون ركيزة اساسية وطويلة المدى لاستثمار الموارد • ومن هنا وجب تدعيم هذه البرامج بحيث تكون وسيله لتدعيم العمل على ازالة مسببات التخلف أو معالجة المظاهر والنتائج • فمشكلات التغير الاجتماعي مرتبطة بعضها ببعض بشكل وثيق وذلك ما يدل عليه تساند انساق البناء وترابطها وهذا ما يجعل التصدى لهذه المشكلات دفعة واحدة امرا ضروريا فى أكثر الحالات • فمن الصعوبة بمكان عزل مشكلة ما عن الأخرى أو ايجاد حلول مستقلة بعضها عن البعض الآخر وذلك لأن معظم المشكلات متداخلة ومترابطة فيما بينها ولا يمكن فصل بعضها عن البعض الآخر وتلك قضية اساسية برزت اهميتها من خلال عمليات التغير •

٤ ــ التحليل البنائي للنسق الاجتماعي :

واذا استعرنا التحليل الاجتماعى لمفهوم البناء وحاولنا تطويعه لمواءمة طبيعة العملية التخطيطية لوجدناه يهتم بتطور البنيان الاجتماعى Social Structure من حيث الحجم والتوزيع السكانى ودرجة التحليل والكثافة السكانية والتركيب الطبقى وقيام المدن والبحث فى عوامل نشأتها والقوى المؤثرة فيها واسباب ازدهارها •

وبذلك يشير تعريف البناء الاجتماعى فى علم الاجتماع الى انه يعتمد فى عملياته على عدة عناصر رئيسية نجملها فى ثلاث [١٠] :

(أ) دراسة التركيب الاجتماعى للمجتمع الذى يعطى صورة حقيقية لادوار افراده ووظائفهم •

---

(١٠) Gould, Julius and Kolb William, (eds) Dictienary of the Social Sciences, United Nations Educational Scientific, and Cultural Organization 1946 p. 212.

(ب) التعرف على شبكة العلاقات والروابط الاجتماعية المتبادلة بين الأفراد والتي يستخدم لدراستها مناهج عديدة •

(جـ) دراسة النظم الاجتماعية التى تنبثق فى ذلك البناء والتعرف على درجه تأثيرها فيه وتأثرها به • وقد رأى البعض ان هناك ابنيــة عديدة للتخطيط تتمثل في :

ـ البنـــاء الاقتصـــادى :

والذى يتشكل من الهيكل الصناعي والزراعي للمجتمع •

ـ البنـــاء الديموجرافى :

ويتمثل فى نسبة المواليد ، والوفيات ، وحركة الهجـــرة والكثافة السكانية ، والزيادة الطبيعية •

ـ البنـــاء الاجتمـــاعى :

ويتكون من مجموعة النظم والعلاقات الاجتماعية التى ينبغى وضعها فى الاعتبـــار •

٥ ـ رواد التحليل البنائى للنسق الاجتماعى :

كان أول ظهور لمصطلح البناء الاجتماعى تاريخيا فى كتابات ماركس ودوركايم ومنتسكيو وسبنسر الذى يعتبر المؤسس الرئيسى للمذهب العضوى فى علم الاجتماع من خلال التشبيهات العديدة التى اقامهـــا بين الوظائف الاجتماعية المختلفة وبين وظائف الجسم • فالبناء الاجتماعى عنده يتكون من مراكز مثل الوظائف والمناصب والطبقات • وتوزيعات العمر والجنس وقواعد السلوك • أما « ريموند فيرث » R. Firth فيقرر ان البناء الاجتماعى يمكن ان يتضمن علاقات خاصة واســـاسية تنبثق من النسق الطبقى الذى يقوم اصلا على العلاقة بالأرض الى جانب أشكال أخرى للبناء الاجتماعى والتى تنشأ من خلال العضـــوية

فى أنواع أخرى من الجماعات الدائمة مثل القبائل والطوائف وفئات العمر • اما دوركايم فيرى ان اعضاء المجتمع يعيشون فى نفس الاطار الذى يتضمن النظم القانونية والسياسيــة والاقتصادية وكل هــذه السياســات تؤلف بنــاء على درجــة معينة من الثبــات • ويضيف « راد كليف براون » الى ذلك ان كلمة بناء « تشير بالضرورة الى وجود نوع من التنسيق أو الترتيب بين الأجزاء التى تدخل فى تكوين الكل الذى نسميه بنــاء » وبذلك تكون الوحدات الجزئية الداخلة فى تكوين البناء الاجتماعى هى الأفراد (١١) •

ويشــكل البناء الاجتماعى عند ايفانز بريتشارد **Evanspritchard** من العلاقات الدائمة التى تقوم بين جماعات من الاشخاص ضمن نسق متكامل يضم هذه الجماعات كلها ، ومن ثم يذهب الى ان البناء علاقة بين جماعات وليس بين أفراد • ويبدو واضحا من خلال هــذا التعريف ان البناء يتضمن العلاقات المستمرة التى تتخذ اشكال انساق ونظم وقيم ولذا يكون من المفيد ان نعرض لتعريف هذه المفاهيم الثلاثة ، فقد عرف بارسونز **Parsons** النسق الاجتماعى بصفــة عامة بانه يتكون من مجموعة الأفراد الذين يقومون بادوار معينة ويتفاعلون بعضهم مع البعض الآخر فى موقف له جانب طبيعى يحركهم ويتسم بالتفــاؤل للوصول الى اشباع أو ارضاء وبذلك تحدد علاقاتهم بمواقفهم المشتركة التى يحكمها نسق من القيم الثقافية المشتركة (١٢) •

ولقد حاول علماء الاجتماع والانثروبولوجيا اللاحقون اعطاء مفهوم البناء الاجتماعى معنا أكثر دقة بيد ان تصوراتهم لهذا البناء جاءت مختلفة ومتباعدة الى حد كبير ، فمثلا ينظر « بيرو » **Birou** الى البناء

---

(١١) احمد أبو زيد : البناء الاجتماعى — مدخل لدراسة المجتمع — الجزء الأول — الاسكندرية — دار المعارف ١٩٦٦ ص ١٣ ، ١٥ .

(١٢) **Parsons, T:The Social System, III The Free Press 1951 p. 5 - 6.**

الاجتماعي على انه كل اجتماعي يتكون من اجزاء منظمة يعتمد بعضهـا على البعض الآخر الى حد ما وتترابط فيما بينها بطريقة ثابتة وتستخدم عبارة بناء اجتماعي لدى الاقتصاديين وعلماء الاجتماع وايضا لدى العديد من الكتاب بمعاني واسعة جدا : وفي بعض الاحيان يستخدم بمعـان متعارضة وفق رؤيتهم للمجتمع الشامل ككل أو المجتمعات الخاصـة عندما يتحدثون عن تنظيم اجتماعي ما ، أو عن أنواع من السـلوك الاجتمـاعي •

اما نظرية ماركس السسيولوجية فتستند الى مسلمتين اساسيتين :

أولهما : ان العامل الاقتصادي هو المحدد الأساسي لبنـاء المجتمع وتطوره ، وانه يتكون اساسا من الوسائل التكنولوجية للانتاج ، وهذه تحدد بدورها ما اسماه ماركس بالتنظيم الاجتماعي • أي العلاقات التي ينبغي على الناس ان يدخلوا فيها لانتاج السلع بطريقة أكثر كفاءة وهكذا تنتهي أولى مسلمات ماركس للحتمية الاقتصادية •

وثانيهما : يتعلق بميكانزمات التغير وهي ان كل شيء في العـالم بما في ذلك المجتمع يمر بمراحل ثلاث هي الاثبات والنفي ثم تصالح الاثنين وفقا لضرورة جدلية •

ويذهب « راد كليف براون » الى ان جميع العلاقات الاجتمـاعية التي تنشأ بين شخص وآخر تعد جزءا من البناء الاجتماعي وقد جاء ذلك في كتابة (البناء الاجتماعي ١٩١٢) وهو بذلك يقرر ان أهم مجـال للاهتمام في دراسة البناء الاجتماعي هو العلاقات البنائية ولذا ينبغي الكشف عنها • ويرجع اهتمام براون بالعلاقات البنائية الى تصـوره ان هذه العلاقات تشخص اساسا شكل البناء اما « ريموند فيرث » الذي اعتبر ان تعريف البناء واسع فيذهب الى ضرورة التناول الجزئي لعناصره وألا ندرسه دراسة كلية • كذلك ذهب جينز بيرج الى حد القول بان البناء

الاجتمــاعى هو مركب من الجمــاعات الأســاسية والنظم التى تكون المجتمعات (١٣) •

اما « اميل سيمليذر » Simlizer فيرى ان البناء الاجتمــاعى عبارة عن نسق الادوار ، أى انماط الادوار المنظمة التى تهدف فى مجملها الى اداء وظيفة معينة أو نشاط معين • اما « ولبرت مور » W. Moore فذهب الى ان البنــاء الاجتماعى ما هو الا مجمــوعة من الأدوار المنظمة القائمة لكفالة الانتاج والتوزيع ، ومن ثم يكون مجالهــا تقديم الخدمات •

ويميز « جون لويس » John Lewis فى المجتمــع بين البنــاء والوظيفة وهو فى هذا المقام يجزىء التنازل التحليلى للبنــاء الاجتماعى ، بيد أنه قد حاول ارســاء اساس للتصنيف أو التمييز بين الابنيــة الاجتماعية ، وقرر كما قرر غيره من العلماء ان هناك ابنية اجتمــاعية متجانسة أى بسيطة يغلب عليها التضامن الآلى فى حين ان هناك ابنيــة غير متجانسة يسودها التباين والتنوع وتقوم على التجزئة وقطــاعية الوظائف (١٤) • ويرى هارولد هوفســمور Harold Hoffsmore ان السلوك البشرى يتأثر الى حد كبير بطبيعة البناء الاجتماعى وان كان يرى فى نفس الوقت ان مفهوم البناء الاجتماعى من بين المفهومات التى يصعب تحديدها وتفسيرها ، ذلك لأن هناك جوانب مادية وأخــرى غير مادية (١٥) • اما « بيــدل » Biddle فيذهب الى ان تحليل البنــاء يتطلب وظيفتين على الأقل أولهما عزل الأجزاء البنائية للعناصر ، وثانيهما

---

(١٣) Bottomre, T. B : Sociology , A Guide to Problems and Literature , N. Y. 1967. p. 109.

(١٤) Cillin, John Lewis & Blackman Frankw ., : out lines of Sociology N. Y. The Macmillan Co. 1930. pp. 513 - 514.

(١٥) Hoffsmore, Harold : The Sociology of American . op. cit p. 195.

تحديد العلاقات بيين هذه الأجزاء [١٦] • ويذهب ايضا الى ان دراسة البناء الاجتماعى يهتم بالأشكال الرئيسية للتنظيم الاجتماعى ، أى بأنواع المجتمعات والتنظيمات والنظم الاجتماعية ، ويؤكد ان الفهم الكامل للبناء الاجتماعى يستدعى التوسط فى العودة الى المجال الكلى للنظم الاجتماعية المقارنة • وان البناء الاجتماعى لأى مجتمع من المجتمعات عبارة عن نسق من الأبنية المنفصلة المتمايزة والعلاقات المتبادلة التى تقوم بها رغم تمايزها وانفصالها ، مثل البناء القرابى والبناء السياسى والبناء الاقتصادى • ويضم كل من هذه الأبنية الجزئية عددا من النظم الاجتماعية التى تؤلف فيما بينها وحدة متماسكة متكاملة • ولن يتيسر فهم البناء الاجتماعى الا فى دراسة هذه الأبنية التى تتداخل وتتفاعل مع بعضها البعض ، اذ ليس ثمة شك فى وجود علاقات متبادلة بين النسق الايكولوجى والنسق الاقتصادى مثلا ، على اعتبار ان الحياة الاقتصادية كلها تتأثر ، وتتحدد بالشروط والظروف الايكولوجية ، التى تميز المجتمع • وهذا نفسه يصدق على العلاقة بين جميع انساق البناء الاجتماعى [١٧] •

وقد استخدم مفهوم البناء الاجتماعى بوضوح أكثر عند كل من العالمين هربرت سبنسر ودوركايم حيث وجها اهتمام الانثروبولوجيين الى الناحية التكاملية الوظيفية البنائية • فهربرت سبنسر يشبه المجتمع بالكائن العضوى لأن كلا من المجتمع والكائن لهما تساند وظيفى ولكن مع هذا فلم يضع لنا تعريفا للبناء الاجتماعى [١٨] • على الرغم من انه

(١٦) Biddle Bruce, & Thomas. Edwin J. Role : Theory Concepts and Research. N. Y. London John Willy & Son : , Inc. 1966. p. 60.

(١٧) د. احمد ابو زيد — البناء الاجتماعى — المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(١٨) Pritchard, Evans:Social Anthropology of Sociology N.Y. Published by Philosophical Library , p. 51.

يعد من أوائل الذين استخدموا هذا المصطلح ويوضح لنا ما يقصده ببناء المجتمع [19] • فيذهب الى ان المجتمع ينظم على نفس نسق الفرد أو على غرارة تماما حتى اننا نستطيع ان ندرك ما هو ابعد من المماثلة بينهما حيث ينطبق نفس التعريف للحياة على كليهما وحينما ندرك ان المجتمع يمر خلال مراحل النمو والنضج والهرم ، فان ذلك يسير على نفس المبادىء التى تحدد التحولات التى تمر بها كل من النظم العضوية وغير العضوية •

اما « راد كليف براون » فيرى ان كلمة بناء تشير الى وجود نوع من النسق أو التركيب بين الأجزاء والتى تدخل فى تكوين الكل الذى نسميه بنـــاء [20] • فكل شىء اذن له بناء ، وعلى هذا الاساس يمكن القول بان « راد كليف براون » واتباعه الذين درسوا فكرة البنـــاء الاجتمـــاعى من أمثـــال « ايفانز برتشـــارد » Evans Pritchards, « وروبرت فيلـــد » Robert Field ومايـــرفورتس Mayer Forts وجورج جيرفتش Gorge Gurvitch قد درسوا البناء الاجتماعى على اساس الوحدات والعلاقات لابراز أهمية الترابط والتساند الوظيفى البنائى ، ولهذا ستكون دراستنا للبناء الاجتماعى للمجتمع الحضرى منحصرة فى الأمور والجوانب التى اكدها معظم هؤلاء الأفراد وهى :

١ ــ دراسة الوحدات البنائية التى تتكون من الاشخاص •

٢ ــ الاهتمـــام بموضـــوع العلاقات الاجتمـــاعية بين الأفراد أو الوحدات البنائية •

٣ ــ الاهتمام بنوع الترابط والتساند الوظيفى بين هذه الأجزاء •

---

(١٩) Spencer, H : Principles of Sociology 3rd Revised, ed, 1855, part 11.

(٢٠) Brown, Rad cliffe : Structure and Function in Primitive Society , London , Cohen. & West Ltd 1968 p. 9.

ويؤكد « راد كليف براون » على ان الوظيفة هى الاسهام الذى يؤديه النظام فى دعم البناء ويرى ان يكون التغير تدريجيا على غرار الـفاعلات البنائية العادية اذ يؤكد على امكانية قيام التغير بفعل عوامل أو مؤثرات من الخارج هذا بالاضافة الى امكانية ان يجرى بالنسق والبنــاء تغيرا بفعــل عوامل أو مؤثرات داخلية وبذلك يكون تغــيرا من الداخــل •

* * *

ثانيــا : المدخل الوظيفى لتحليل التغير :

١ ــ المفهومات وتعريفها :

يستخدم مصطلح الوظيفة Function رغم غموضه للاشارة الى ما تقوم به وحدة معينة من عناصر مكونات النسق للحفاظ على بنــائه واستمراره ، والى العلاقة المتبادلة بين تلك الأجزاء ، وغالبا ما يشــير استخدام المصطلح للاثنين معا • وبالنسبة لعلماء الاجتماع فهم على العكس من معظم الانثرولوجيين لا يفهمون الوظيفة من خلال الانمــاط الثقافية ، بل يستخدمونها فى دراستهم لعمليات النمو ، والافعــال والابنية الاجتمــاعية ، والعديد من الظواهر الاجتمــاعية الأخرى • ولا يستخدم كل علماء الاجتماع مفهوم الوظيفة باعتباره نمطا محددا • ولكن باعتباره أساسا للارتباط النظرى بين بعض شروط الوجود والبقــاء فى حالة معينة بالنسبة لمجتمع أو جماعة أو نسق اجتماعى ما •

ولهذا ينظر بارسونز P arsons لمفهوم الوظيفة باهتمام نظرا لأنه يعبر عن الشروط التى تسهم فى بقاء النسق ونموه أو تسبب خللا وظيفيا يقلل من قدرتها على التكامل والفاعلية فيه (٢١) •

(٢١) Parson, T:Essays in Sociological Theory The Free Press Glencoe, I Llines 1958, p. 217.

والواقع ان التحليل البنائى الوظيفى ليس بالأمر الحديث على العلوم الاجتماعية أو الطبيعية كما أن المفهومين يحتل كل منها وضعا خاصا اذ ان تصنيف كل منهما على هذا النحو يعتمد الى حد كبير على وجهة النظر التى تناقش الظاهرة فما يعتبر وظيفة من وجهة نظر ما قد يعد بناء من وجهة نظر أخرى ومن الأمثلة الأكثر شيوعا فى هذا الوضع الخاص مفهوما الانتاج والاستهلاك مثال ذلك أن مصنع السيارات يعد انتاجا من وجهة نظر من يستخدم السيارة ، واستهلاكا من وجهة نظر صانع الحديد ، وتلك الوظيفة بهذا المعنى تجعل لهم جوانب بنائية هامة فجميع الابنية نتاج لعمليات واقعة فى سباق عمليات أخرى ؛ فآداب الأطفال الصغار يعد بنـاء لسلوكهم ، أو يعد وظيفة لعملية فى سباق الابنية الأخرى المرتبطة بوالديهم (٢٢) . ورغم وجود اختلاف كبير وواضح بين مفهومى التحليل الوظيفى والنزعة البنائية الوظيفية فان العنصر المشترك بينهما هو ذلك الاهتمام الواضح بترابط جزء من المجتمع أو النسق الاجتماعى بالأجزاء الأخرى أو ببعض جوانب الكل وفى اطار هذا الاختلاف يمكن تمييز ثلاثة جوانب أو أشكال للنزعة الوظيفية ، يرتكز الأول منها على مفاهيم وفرضيات علم الاجتماع ، ويرتكز الثانى على التوجيه النظرى الذى يشير الى ان معظم الانماط الاجتماعية الرئيسية تعمل لبلوغ التكامل والتواؤم مع النسق الاجتماعى الأكبر اما الشكل الثالث فيرتكز على الترتيب الذاتى أو الانساق المتوازنة . والواقع ان التحليل الوظيفى فى جملته يتضمن هذه الجوانب الثلاثة غير ان الوصف الواضح والتقويم الدقيق للنزعة الوظيفية يقتضى فصلهم عن بعض (٢٣) . وذلك لأن النمط الأول للنزعة الوظيفية يتضمن التأكيد على التحليـل السسيولوجى فى مقابل التحليلات التـاريخية

---

(٢٢) Levy Marion J: Functional Analysis, Encycopaedia of Social Sciences. . p. 21.

(٢٣) Levy, Marion J : Ibid p. 29.

والسيكولوجية كما انه يعتمد على الفرضية الخاصة بالتأكيد على ان العناصر الاجتماعية التى توجد فى المجتمع فى وقت ما متبادلة الارتباط ، والعلاقات المنتظمة ، والتى يمكن اكتشافها بين الوقائع الاجتمـاعية أو النظم الاجتماعية دون اللجوء للعوامل السيكولوجية والتاريخية ، وهذا يشير للفرضية المتعلقة بالاجماع الضمنى حول العناصر الهـامة للبناء الاجتماعى والتى تشير بدورها لتطوير الوضع الخاص بالفروض المتعلقة بربط هذه العناصر ببعضها •

والواقع ان مفهوم الوظيفة على هـذا النحو يعتمـد فى اقتراح تصنيف الانماط الاجتماعية على اساس الوظيفية العامة (٣٤) • ويشكل مصطلح النزعة الوظيفة الرسمية فى محاولة بناء النماذج التى تصف لنا كيف تكون وحدات النسق متبادلة الارتباط ، وبالمثل كيف تبلغ كل منهما الأخرى ، أو حالات أخرى للنسق • وعلى العكس من ذلك بالنسبـة للنزعة الوظيفية التقليدية ، فهى لا تتضمن اية توجيه نظرى أو أى مضمون امبيريقى (٣٥) • ومن ثم نجد أن ثمة معانى خمسة للوظيفة يمكن أن تستخدم لبناء اليظرية السسيولوجية ، ومن أهم هذه المعانى الخمسة :

الوظيفة بالمعنى الرياضى •

الوظيفة كنشاط مفيد ونافع •

الوظيفة كنشاط ملائم •

الوظيفة كنشاط يستهدف بلوغ النسق لاهدافه (٣٦) •

---

(٣٤) Levy, Marion J : Ibid p 33.

(٣٥) Levy, Marion J : op. cit p. 37.

(٣٦) Martindale, Don : The Nature and Types of Sociological Theory ; Hovghon Mifflin Company Boston 1960 pp 442 — 444.

(أ) أما عن الوظيفة بالمعنى الرياضى فهى تشير للمتغير الذى تحدد قيمته بواسطة واحد أو أكثر من المتغيرات الأخرى ٠

(ب) ويستخدم مصطلح الوظيفة بالمعنى الثانى ليشير فى الغالب للنشاط الفعال أو النشاط الذى يفيد فى اداء العمل ٠

(جـ) ويعالج الاستخدام الثالث الوظيفة كنشاط ملائم أى النشاط الذى يكون ملائما لتحقيق الحاجة ٠

(د) اما المعنى الرئيسى الرابع للوظيفـــة فيعنى تحقيق النسق والنشاط المتعلق ببلوغه ٠

واذا كان لمفهوم الوظيفة بالمعنى الرياضى مدلول خاص ، فان المعانى الثلاثة الأخرى مترابطة ، وهى المعانى السائدة بين الوظيفيين بشكل واضح وفعال فى التحليل الوظيفى للنسق الاجتماعى ٠

٢ ــ قضية التغير الوظيفى للنسق الاجتماعى :

لقـــد أصبح التحليل الوظيفى مدخـــلا رئيسيـــا فى تحليلات السوسيولوجيين الذين يريدون الربط بين النظام الاجتماعى ووظيفته وبين خصائص سلوك الأفراد الذين يكونونه ٠ ويرى بعض المتخصصين فى علم الاجتماع انه يمكن تصور المجتمع على انه نسق اجتماعى ، أو نسيج من العلاقات المنظمة بين الناس ، وتتضمن هـــذه العلاقات المنظمة بالضرورة الوظيفـــة ٠

فالنظرية الوظفية لا تتضمن فى تحليلها للفرد الناحية العاطفيـــة أو الادراكية بل انها تؤكد ان الانسان بكل كيانه البيولوجى لابد ان يكون ممثلا فى تحليلنا للثقافة وعلى ذلك فان الحاجات الجسيمة أو التأثيرات البيئية وردود الافعال الثقافية حيالها لابد ان تدرس جميعها جنبا الى جنب ٠ فالنظرية تساعد الباحث على ادراج العناصر الهامة فى نطاق

دراسته . وذلك لانها تشكل اطارا عاما منسقا ، وموجها للبحث . وان من اهم وظائف النظرية هو تلخيص المعرفة الموجودة لتقديم التفسير المناسب للوقائع أو الظواهر الخاصة للملاحظة والتنبؤ بمستقبلها هذا بالاضافة الى توفيرها التوجيه الملائم للبحث بحيث توجه البحث دائما الى المسالك أو المجالات المثمرة . كما انها اساسية وتمثل جهدا تفسيريا للظواهر الاجتماعية بنفس الأسلوب الذى فسرت به ظواهر العالم الفيزيقى بواسطة العلوم الطبيعية .

وبذلك فان الاتجاه الوظيفى لم ينشأ فى فراغ بل شهد ميلاده مناخا فكريا سادته تيارات وافكار متعارضة وكان ذلك فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، فالاتجاه الوظيفى يعالج قضية التغير الاجتماعى فى سياق نسقى وبنائى ؛ وان توقف لفترة معينة مركزا فيها على التغير داخل الانساق الاجتماعية لمعرفة تغيراته الداخلية ، فربما ساعد ذلك على تحديد اسباب عامة لاشكال بنائية متجانسة .

٣ — مستويات التحليل الوظيفى للنسق الاجتماعى :

والدور الوظيفى هو الدور الفعلى أو الدور المؤدى بالفعل ذلك ، لأنه يؤدى وظيفة التوافق مع الثقافة العامة أو الفرعية للجماعة ، وقد يتمشى الدور الوظيفى مع الدور المعيارى والدور المتوقع ، وقد لا يتمشى مع احدهما أو كليهما انه قد يسايرها بدرجات متفاوتة ويمكن القول بان الدور الوظيفى هو المظهر الدينامى للوظيفة ، أى انه الطريقة التى ينفذ بها الشخص فعلا المطالب الوظيفية لمركزه .

واذا فهمنا الوظيفة على انها نتيجة للعلاقة المتبادلة بين البناء والعملية ، فانه يمكن تطبيقها فى الدراسة الاستمرارية فى اشكال الحياة الاجتماعية داخل بناء اجتماعى معين وكذلك فى عمليات التغير والحرية الذاتية وانساق المجتمع فى داخل هذا البناء المعين . ومن هنا

فان التغيرات التى تحدث فى العمليات ترتبط بالتغيرات التى تحدث فى الوظائف (٢٧) .

فالنظم الاجتماعية لها دور اذن فى الحياة الاجتماعية وهو الدور الذى يلعبه النظام فى البناء الاجتماعى الشامل . فالبحث الاجتمـاعى كثيرا ما يكشف عن وجود وظائف للسلوك الاجتماعى تتناقض تماما مع الآراء الشائعة أو المعروفة بين الناس ؛ مما يعنى ان الوظائف الكامنة قد تناقض الوظائف الظاهرة الواضحة ، ويتحدد المجال الاجتماعى لأفراد المجتمع بدورهم الوظيفى الذى يؤدونه والعلاقات المتبادلة بينهم . وفى حدود هذا المجال الاجتماعى تنشأ الجماعات بدرجاتها المتفاوتة وتتحدد اشكـالها .

وتؤدى دراسة الوظيفة الاجتماعية الى دراسة القيم والمعايير أساسا محـدودا للعلاقات الاجتمـاعية . ومن هنـا كان لابد من الاهتمـام بدراسة « نسق القيم والمعايير على اساس انها القواعد التى تتحكم فى انماط السلوك ، وفى الاستجابات وردود الفعل المتبادلة بين العناصر الاجتماعية .

واذا كانت الوظيفة الاجتماعية باعتبارها مظهر النشاط الاجتماعى الجزئى فى النشاط الكلى ، الذى يؤلف جزءا منه . فان وظيفة اية ظاهرة اجتماعية جزئية الدور الذى تؤديه فى الحياة الاجتماعية عامة وهنـا ما نعبر عنه بالنسق الاجتماعى الكلى Total Social System (٢٨) .

٤ ــ التحليل الوظيفى للنسق الاجتماعى :

تعطى الوظيفة الاسـاس لتعميمـات استـاتيكية جوهرية على المجتمعات الانسانية ومع ذلك يتضمن هذا المدخل فكرة تطورية طالمـا

---

(٢٧) د. محمد عاطف غيث : التغير الاجتماعى والتخطيط ــ القاهرة ــ دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٦٢ ، ص ٤٧ .

(٢٨) Brown, Radcliff : Structure and Function in Primitive Society . op. cit . p. 181.

ان الدعوى الاســاسية للوظيفة تكشف عن ان كثيرا من الانســاق الاجتماعية فشلت فى البقاء لافتقادها نوعا من الاداء الوظيفى . وهذا يدعو الى القول بان كثيرا من القضايا السوسيولوجية مترابطة بصورة أو بأخرى . وهذا يتضح من حقيقة هامة مؤداها ان علمــاء الاجتماع وجهوا انتباههم مبدئيا الى الخصائص النظامية للانساق الاجتمــاعية ومن يتبع هذا الاتجاه لن يتمكن فى المدى الطويل من تتبع المصــادر الحقيقية للتغير ، وهكذا فالتغير من حيث هو تعديل فى النسق أكثر من كونه تتابعا متكررا ، كأن ينظر اليه على انه خارجى متغير ولم يفسر بعد ، ويكون مهما من خلال النتائج المنظمة . اما النظرة القائلة بان المجتمع يتكون من وحدات متساندة وظيفيا ، فانها بصررة معينة تعطى الاســاس لتحليل متماسك ومنظم النتائج التى تترتب على تغيرات معينة . ومع ذلك فان هــذه النظرة لا تقدم الاســاس المضبوط دائما للتنبؤ بالتغير . أو تفسيره فى ضوء قواعد عامة .

والواقع ان الدور الوظيفى للبناء فى الكيان الاجتماعى العام انما يشتمل على نوع من الوحــدة لأنه يتألف من انســاق اجتماعية تتوافق فيما بينها بدرجة منتظمة ، بحيث يكون لكل نسق منها وظيفة معينة فى هذا الكيان . ويشتمل النسق الاجتماعى بدوره على عدد من النظم Institutions يقوم كل منها بوظيفة معينة للحفاظ على سلامة النسق . ومن هنا تكون الوظائف الاجتماعية للانساق والنظم هى التى تؤدى الى سلامة البنيان الاجتماعى فى مظهره الكلى الشامل .

واذا كانت الأنظمة تتغير وتتبدل وتحل انظمة محل انظمة أخرى فى داخل النسق الاجتماعى للبناء . فان وظائف هذه الأنظمة تتغير أكثر من تغير بناء النظــام وتركيبة . وتعتبر ظاهــرة تغير الوظائف الاجتماعية وتطورها مع دوام بناء النظام من الجوانب الهامة فى التغير الثقافى ، وفى حركة الثقــافة وانتقــالها عن طريق عملية الانتشــار

الثقافى . فالبناء لا يتغير عادة كما تتغير وتتطور وظائف وحدات هـذا البناء . وان كان يحدث فى اغلب الاحيان نتيجة لذلك تحلل وتفكك أو اندماج كيانات وظيفية تؤثر على علاقات الأفراد والعمليات الاجتماعية التى تقوم بينهم فى المجتمع .

ومع النظر الى أى مجتمع حضرى على أنه ترتيب للأجزاء فى علاقة وظيفية احـدها مع الآخـر فانه يمكن النظر الى الادوار والوظائف والتخصصات الدائمة واسهامها للسكان على انها تؤلف نوعاً من النسق وذلك لتماسكها وترابطها .

٥ ـ رواد التحليل الوظيفى للنسق الاجتماعى :

منذ مطلع هـذا القرن حاول عدد من الدراسـين من أمثـال « البون ـ مول » فى الولايات المتحدة الأمريكية اقامة اسـاس جديد للدراسة بناء على الشـكوك التى تزايدت حول جدوى الدراسـات التاريخية أو الاريكولوجية ، وامكان استخدامها بكفاءة فى تفسير التغير بالرجوع الى ازمان سحيقة فى القدم أو بمقارنة احوال المجتمعات البدائية المعاصرة فى ذلك الوقت لتكون بديلا عن المعلومات التاريخية التى مر بها المجتمع الانسانى ويمكن ان نصف محاولة سمول هـذه بانها محاولة وظيفية لأنها تتبنى وجهة نظر محدده مؤداها ان السلوك الاجتماعى وكل عناصر الثقافة المختلفة يمكن ان تفهم من خلال مضمونها أو موقعها ، وهذا فى نظره اجدى من المحاولات الفاشلة فى البحث عن أصول هذه الموضوعات أو ظهورها لأول مرة فى مجتمع الانسان .

على الرغم من ان الصفات المنظمة للحياة الاجتماعية لم تنكرها أو تهملها النظريات القديمة ، الا أنها ظلت من وجهة نظر بعض الوظيفيين من أمثـال : راد كليف براون ومالينوفسكى Malinovski تشـكل مجموعة من الدعاوى المنهجية يمكن نظمها فى مقولة عامة ، واحد هـذه الدعاوى الاساسية هى أن أى مكون أو أى وحدة فى النسق الاجتماعى

والثقافة يمكن ان يفسر فى ضـــوء النسق ككل • وكثـــير من دعاوى أو قضايا الوظيفة فى مرحلتها المبكرة أو التقليدية قد ظهرت فى المعالجات المتعددة التى ظهرت فى أعمال راد كليف براون : ومالينوفسكى • ومن المعلوم ان الانثروبوجين الاوائل الذين تبنوا هذا الاتجاه تأثروا الى حد كبير بوجهات نظر أميل دوركايم •

وقد حاول عدد من الوظيفيين فى الوقت الحاضر . ومن اشهرهم « نيل سملزر » Neil Smelser أن يطوروا مفهوما جديدا للوظيفـــة بحيث تستوعب دراسة التغير ؛ ومؤداه ان الوظائف التى يقوم بها نظام معين يأتى عليها وقت تنتشر بين نظم أخرى متباينة وهكذا فان شكلا من التوازن الاجتماعى يحل محل شكل آخر أكثر تعقيدا والى ان يتم هذا الحلول من المتوقع ان يمر النظام بمرحلة من التوتر والاضطراب •

اما راد كليف براون فيضيف الى مفهوم الوظيفة انها المســـاهمة التى يقدمها النشاط الجزئى للنشاط الكلى الذى هو جزء منه والوظيفة فى الاستعمال الاجتماعى الدقيق هى المساهمة التى تقدمها الحيـــاة الاجتماعية لتشغيل النسق الاجتمـــاعى الكلى . وفكرة الوظيفة عنـــد راد كليف براون ترتبط ارتباطا وثيقا بفكرة البناء على اعتبار ان البناء هو مجموعة العلاقات المنظمة التى تقوم بين الوحدات المكونة للنسق ؛ وان عملية الحياة هى التى تتألف من الأنشطة التى تقوم بها هـــذه الوحدات نفسها حتى تكفل استمرار البناء خلال الزمن [٢٩] •

ويؤكد البرت بيرس Albert Pierce ان المجتمع أو الكل هو مصدر الحاجة التى يعنى بها الأفراد أو الظواهر كوسائل من وظيفتها الاساسية اشباع هذه الحاجات [٣٠] اما روبرت ميرتون Merton فقد سعى فى

---

(٢٩) د. احمد ابو زيد ، البناء الاجتماعى ، القاهرة ، المرجع السابق ، ص ٧٧ — ٨٨ •

(٣٠) Pierce, Albert : Durkheim and Functionalism in Kart Wolf (ed) . Durkheim 1858 - 1917, Columbus, Ohaioz Qrate University Press 1960, pp. 155 - 156.

مؤلفه الشهير « النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعى » للكشف عن العلاقات المتبادلة كما انه ادرك معضلة الاتجاه الوظيفى وقدرة النظرية الوظيفية على مواجهة قضايا التغير ومن ثم يعرف الوظيفة بانها تلك المتتاليات الملاحظة التى تقلل من تكييف وتوافق النسق موضوع الاهتمام ويذهب الى ان الوظائف المعوقة تفكك النسق الكلى وتجعل من الوحدات مناخا ملائما لحدوث التغير ، ويحدث ذلك حينما يعانى البناء من تواترات أو ضغوط بنائية نتيجة لقصور فى الاداء الوظيفى أو نتيجة لزيادة فى حجم الحاجات الوظيفية التى يطرحها البناء .

اما سير جيمس فرازر G. Frazer فى كتابه الوظيفة النفسية فينظر للمعتقدات على انها اساس الوجود الاجتماعى وان كافة الظواهر والنظم الاجتماعية تسهم فى تحقيق مجتمع مستقر . واذا كانت التغيرات الجزئية تؤدى الى تغيرات كلية عند سبنسر كما ان التغيرات تأتى من البيئة الخارجية فالأمر يختلف عند اميل دوركايم ذلك انه على عكس موقف هربرت سبنسر ، أكد على الادراك للنسق الكلى الذى يفسر فاعلية أجزائه . ومن هنا نجده يقف موقفا أكثر ملاءمة لوجهة نظر التوازن الوظيفى . اذ انه اعتبر البناء الاجتماعى نظاما اجتماعيا لم يمت أو يولد مع الانسان ، وانما له عقل جمعى يختلف حسب الزمان والمكان .

وفى معالجتنا لقضية تغير النسق عند دوركايم نجد انه يقرر ما اكده مرارا من ان النسق يبحث عن التوازن . اما البرت بيرس فيؤكد ان الاختلاف الجذرى بين اميل دور كايم والوظيفيين المحدثين يكمن فى اهتمامه الاساسى بالتغير الاجتماعى . اما مالينوفسكى فيشير الى ان التغير يأتى من الخارج ويتمثل فى تغير حضارات أو ثقافات خارجية وانه كان يتخذ من النسق القرابى مدخلا لتحليل التغير . اما بارسونز فنجده يؤكد على ان الثقافة تؤدى للتغير المصاغ نظاميا وانه بفعل مجموعة من العوامل الثقافية والتكنولوجية ، كما انه يذهب الى ان التغير فى النسق تغير عضوى تطورى . ويعتبر ميرتون من ابرز الوظيفيين

الذين اسهموا في نظريات الفعل الاجتماعي وفي التكامل الوظيفي والمنهج الوظيفي وتأتي الجذور التي نهل منها اتجاهه الوظيفي من الانثروبولوجي امثال راد كليف براون . ومالينوفسكي وكلير كلوكهون • وبالرغم من محاولاته الواضحة في دراسته الوظيفية الاجتماعية وتحليل البناء الاجتماعي فان بعض الباحثين يرون ان غالبية اهتماماته وأنشطته كانت مركزة حول التحليل النظرى Theoretical Analysis ولذلك يشيرون الى انه من الصعوبة تحديد معالم نسق نظرى متكامل لافكاره وكتاباته لأنه كرس جهده للبحث في النظريات (٣١) •

وقد تأثر ميرتون كثيرا بتفكير ماكس فيبر Wax Weber بالنسبة لاهتمامه بالوظيفة الاجتماعية (٣٢) • اذ تخلى ميرتون عن اطار عمل مذهب السلوكية الاجتماعية ، الى النظرية الوظيفية كاطار فكرى ينظر اليه على انه أكثر خصوبة واثمارا • وكان مدركا من جهة لما يؤكده مارتندال Martindale من ان التحليل الوظيفي هو المدخل الأكثر قيمة أو على الأقل الأكثر احكاما بين الاتجاهات المعاصرة للتفسير الاجتماعي • الجهة الثانية هي تلك التي تتعلق بقدرة النظرية الوظيفية على مواجهة قضايا التغير ومتغيراته ، ولقد واجه الاتجاه الوظيفي اتهامات كثيرة مؤداها انه اتجاه اهتم بقضايا التوازن والتكامل ، واهمل قضايا التغير والصراع •

والواقع انه عندما تطورت الدعاوى الوظيفية ونمت وأصبحت واضحة تعرضت للنقد وللتصحيح من المدرسة الوظيفية الحديثة • ومن اهم من واجهوا الوظيفية بالنقد بيترم سروكن الا ان الهجوم زاد في السنين الأخيرة على الوظيفة من علماء محدثين من أمثال الفى جولدنر

---

(٣١) Gitter, J : Review of Sociology , (ed) New York John Wiley & Son Inc, 1957 , pp. 17 - 18.

(٣٢) Whitaker Jan : The Nature and Value of Functionalism in Sociology in Functionalism in Science , ed : By Don Martindale Philadelphia Februray 1965 . p. 139.

لبيسيت ، وكل انصار الاتجاه التاريخى واليسار الجديد • ومن ثم حاول عدد غير قليل من الباحثين تعديل الاطار العام للوظيفة لتستوعب ما لم تستطيع ان تستوعبه فى بدايتها المبكرة لدراسة التغير الاجتماعى والثقافى ، ويعد تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون ورالف بيلز من اهم هؤلاء جميعا •

* * *

ثالثا : المدخل البنائى الوظيفى :

تمثل البنائية الوظيفية أحد الاتجاهات الهامة فى علم الاجتماع المعاصر ، وتركز فى دراستها للظواهر الاجتماعية على فكرتى التكامل والثبات (٣٣) • وهى تهتم بدراسة العلاقة بين العناصر المساندة للبناء الاجتماعى أى العلاقات القائمة داخل اجزاء البناء الاجتماعى ويرى هذا الاتجاه تحليل أى ظاهرة اجتماعية يعتبر جزءا من دراسة النظام القائم المستمر • ولا يتأتى ذلك الا من خلال تحليل المجتمع كنسق تتساند متغيراته وظيفيا (٣٤) •

ويتضمن الاتجاه البنائى الوظيفى مستويين من التحليل يتمثل المستوى الأول فى التحليل الوظيفى وهو أسلوب منهجى • ويتمثل المستوى الثانى فى التحليل السوسيولوجى الاجتماعى وهو تفسيرى • وبذلك فان تفسير السلوك يتم من خلال تحليل هدفيه ، الوظيفية الايجابية فى البناء الاجتماعى ، وفى صلته بالنظم وانماط السلوك الأخرى • وتحوى البنائية الوظيفية مجموعة من المفهومات التى تساعد على فهم الظواهر الاجتماعية • من هذه المفهومات مفهوم البناء الاجتماعى والوظيفة الاجتماعية •

---

(٣٣) نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، طبيعتها وتطورها ؛ المرجع السابق ص ٣٢٩ •

(٣٤) Cohen, p. S : Modern Social Theory , London Heineman, 1968 ; 45.

ويشير المنهج البنائى الوظيفى عند استخدامه فى مجال الحقائق الاجتماعية الى نوع من التحليل مؤكدا اهمية تكامل الأجزاء مع الكل فى داخل النسق الاجتماعى الذى تنتمى اليه الأجزاء وقد نشأ هـذا المنهج فى العلوم الطبيعية ثم استعارته العلوم الاجتماعية ، ولكنه كمفهوم استخدم بعدة معانى ولم يتضح الأمر الا بعد مناقشة ميرتون فى عام ١٩٥٧ لاستخدماته المختلفة التى تساعد على التمييز بين المقصود بالمنهج البنائى الوظيفى عند اسـتخداماته الأخرى فى تراث العلوم الاجتماعية بصفة عامة •

ومحور اهتمامنا بهذا المدخل يتمثل فى أننا عند دراسة الأسرة وفقا للمدخل البنائى الوظيفى نهتم بالتركيز على ثلاثة أنواع من الوظائف :

(أ) وظيفة الزوج بالنسبة للمجتمع •
(ب) وظيفة الانساق الفرعية فى داخل الأسرة بالنسبة للزوج •
(جـ) وظيفة رب الأسرة بالنسبة لأفرادها •

فالعمليات الاجتماعية وما يتولد عنها من علاقات اجتماعية انمـا تمثل نماذج سلوكية وليدة شعور الأفراد باعتماد بعضهم على البعض الآخر وحاجاتهم بتبادل المشاعر وترابط الأفكار والنشاط ، وهى تؤدى الى ترابطات بنـائية فى العلاقات الوظيفيـة ، بحيث تقوى أواصر المجتمع ، وتعمل على انحلال البنيان الوظيفى للمجتمع ، ويعث فيـه الجمود وتضعف روح التغير والتطور الى الأفضل حيث يسوده التنافر والتباعد الذى يهدد بنيان المجتمع بخطر • وبذلك يكون الاتجاه البنائى الوظيفى المنهج الذى يدرس الأسرة مثلا كنسق اجتمـاعى Social System ويعرف النسق بانه وحدتان أو أكثر مترابطة بحيث اذا حدث تغير فى حالة أى وحدة منها سيتبع ذلك بالضرورة تغيرا فى حالة الوحدة الأخرى مما يتبعه أيضا تغيرات فى حالات الوحدات التالية ولابد لتكون النسق ان يتحقق ،التفاعل بين وحداته [٣٥] • فالنسق الاجتماعى هو أى

(٣٥) Parsons, T, & Bales,R. : Family Socialization and Introduction Process, Illinois, The Free Press, 1955, p. 38.

اتحاد أو ترابط بين عضوين أو أكثر ويكون التمايز بين واحد أو أكثر من الأعضاء نسقا فرعيا [٣٦] •

وتتأصل جذور هذا الاتجاه البنائى الوظيفى فى الانتروبولوجيا وعلم الاجتماع وقد كسب سريعا اتباعا فى الولايات المتحدة وأوروبا ويتبناه حديثـا تالكوت بارســونز Parsons وكنجزلى دافيز Davis وروبرت ميرتون وجورج هومانز Homans وآخرون • وقد اثمر هــذا النهج عند تطبيقه على عدة مستويات تبدأ من التحليل الاجتمــاعى الشامل Macronalysis الى التحليل الاجتماعى المركز على المجتمعات الصغرى Micronalysis وتؤخذ فى الاعتبــار على المستوى الوظيفى المصغر دراسة السلوك النوعى للأسر الصغيرة (النووية) ودراسة ما يتعلق بالأسرة كنوع من التجريد المستخدم فى التحليل الذى يدرس الأسرة كنظام اجتماعى Institutionalism على المستوى الوظيفى الشــامل •

وينوه ميرتون بان ذلك لا يشير الى العلاقة الرياضية أو الى الميول الذاتية (كالاهداف والدوافع والاعراض) بل ان مجال النهج الوظيفى مجال متسع عريض فى دراسة الأسرة ، وينوه هومانز Homans الى أن الاطار المرجعى لهذا النهج يؤكد على كل من النسق الداخلى الذى ينظم العلاقات داخل الأسرة ،والنسق الخارجى الذى يتناول المعــاملات والعلاقات بين الأسرة والهيئات والاحداث الخارجية • وبذلك يشتمل هذا الاطار على تفاعل الكائن فى الأسرة والانساق المحيطة بها مثل المدرســة والمجال المهنى والاقتصادى كما يشتمل على المعاملات الكائنة بين الأسرة والجماعات الفرعية الصغرى كالعلاقة بين نسق الزوج والزوجة وزمر الابناء وايضا نسق الشخصية الفردية لكل عضو فى الأسرة [٣٧] •

(٣٦) Ibid : p. 37.

(٣٧) Hill, Reubin , & Hauser A. Donald : The Identification of Conceptual Frame Work Utilized in Family Study, Marriage and Family Living, 22, Vo. 1960, pp. 244 - 311.

وبالنسبة للاتجاه البنائي الوظيفي فان النسق الاجتماعي بما فيه من عناصر بنائية ووظيفية يحاول تحقيق استمرارية النسق ، كما أشرنا والى الاسهام في تحقيق حالة توازن بين العناصر والوحدات البنائية فيه • وقد وضح بصورة عامة اعتماد علم الاجتماع الامريكي على الاتجاه البنائي الوظيفي في توجيه حركة البحث الاجتماعي خلال فترة امتدت في نهاية الاربعينات الى بداية ستينيات القرن الحالى • ولذلك انحصر اهتمام البحث في دراسة دور القيم الأخلاقية وتفسير المشاكل الاجتماعية بارجاعها الى انهيار نسق القيم والعيوب في عملية التنشئة الاجتماعية وكذلك في تحليل التلقائية التي تحافظ على النظام في المجتمع وتتناول الضبط والاهتمام بعملية التكييف مع الوضع القائم (٣٨) •

والنظرية الوظيفية البنائية هي النظرية السوسيولوجية التي يمكن عن طريقها دراسة الانساق الاجتماعية دراسة علمية منظمة فالنظرية الوظيفية البنائية تهتم بدراسة المعوقات الوظيفية لفهم ودراسة الدينامية والتغير ، ذلك لانها لا تقتصر على دراسة الجوانب الاستاتيكية في البناء الاجتماعي لكنها تنظر الى المجتمع نظرة كلية • ومن ثم تبرز أهمية الربط بين الجوانب البنائية والوظيفية عند تحليل عملية التغير وذلك لأن تناول العناصر المقررة للبناء الاجتماعي لتعين ما طرأ عليها من تغير بشيء من التفصيل أمر ضروري غير ان ذلك وحده لا يكفي لتحليل التغير نظرا لأن تغير أي عنصر من عناصر البناء الاجتماعي يؤثر على العناصر الأخرى ، اذ ان لهذه العناصر أداء وظيفي فيما بينها من ناحية وفيما بينها وبين الوجود الكلي للنسق من ناحية أخرى • فأي تغير يطرأ على عنصر معين يؤثر على نوع الأداء الوظيفي الذي يقوم به حيال العناصر الأخرى في النسق ، والتي تستجيب لهذا التغير بدورها فتزيد أو تقلل من ادائها الوظيفي حيال هذا العنصر من ناحية ، والنسق ككل من ناحية

---

(٣٨) Gouldner Aluin : The Coming Crisis of Wester Sociology op cit p. 341 - 347.

أخرى • ومن ثم اصبح فهم هذا التفاعل على درجة كبيرة من الاهمية للتعرف على ما طرأ على خصائص العناصر من تغير مصاحب لأى تغير يطرأ على خصائص هذا العنصر • وبذلك يصبح الربط بين التحليل البنائى الوظيفى للتغير أمرا ضروريا •

يتضح من الحوار الدائر حول النزعة الوظيفية البنـائية الآن وجود ثلاثة أوضاع أساسية :

يتمثل اولها : فى اعتبار المدخل البنائى الوظيفى مدخلا متميزا فى معالجة الظـاهرة الاجتماعية ، ويتمثل الوضـع الثانى فى معـاداة النزعة الوظيفية البنائية والتأكيد على الفرضية الخاصة بالصراع •• الخ ويمثل الوضع الثالث من يعتبرون البنائية الوظيفية مدخلا اساسيـا لكل علم [٣٩] •

ورغم ان هذه الاتجاهات تتميز عن بعضها الى حد ما ، الا انهـا تلتقى على أرضية واحدة • فكل منها ينظر لها نظرة عامة كما انه يراها تمثل وضعا نظريا منفردا عليه • ومن ثم حاول البعض ومنهم ديمراث Demerath ان يبرز جوانب الخلط فيما بين الكل والجزء ، بين المداخل المنهجية فى النظرية الوظيفية البنائية حيث يتناول ما بين النزعة البنائية والنزعة الوظيفية من اختلاف عند تحليل نتائجهما ومدخلهما للتحليل • فذهب الى ان النزعة البنائية الوظيفية ليست بالشىء الواحـد اذ ان النزعة الوظيفية تختلف عن النزعة البنائية وذلك طبقا لتأكيد كل منهمـا على العلاقة الكلية أو الجزئية • فالبنائى يهتم فى المحل الأول بتحليل جانب خاص للنسق فى حين أن الوظيفى قد يهتم أساسا بالنسق بصورة كليـة [٤٠] •

---

(٣٩) Demerath , N. J : System Change and Conflict New York. the Free Press, 1967 p. 501.

(٤٠) Demerath, N. J : System Change and Conflict Op. Cit p. 517.

ولمـــا كان كل من المدخلين يساعد على فهم بعض جوانب النسق فقد اهتم بعض السسيولوجيين ومنهم « فريد بابنهيم » بكلا المدخلين عند تناول الظاهرة الاجتماعية . وذلك بتحليل المكونات البنــائية للنسق أو الظاهرة موضوع البحث من ناحية وهي في حالة الثبات ، ثم تحليل التفاعل الحادث بين هذه العناصر والمكونات للتعرف على ادائها الوظيفى من خلال علاقتها ببعضها ، وذلك للتعرف عليها وهى فى حالة تفاعل ودينامية [٤١] لأن الآصالة التصورية تملى على الباحث في علم الاجتماع ان يسير فى دراسته للظاهرة الاجتماعية حول مجموعة من المحــاور المنطقية العامة . فتدور حولها دراسة الخواص المشتركة بين كل فئات الظواهر الاجتماعية مثل التغير بجانبها البنائى والدينامى بحيث تتنــاول العلاقات المتكــررة بين الظواهر الاجتمــاعية والعلاقات المطردة التى تختلف عنها كيفا ونوعا [٤٢] . وذلك ما ايده بوضوح « فريد بابنهيم » بضرورة التأليف بين المدخل البنائى والمدخــل الوظيفى عند دراســة الظواهر الاجتماعية [٤٣] . وذلك لأن المدخل الوظيفى فى علم الاجتماع بمثابة محاولة اساسية لفهم الظاهرة الاجتماعية « ظاهرة التغير مثلا » فى علاقتهــا ببعض جوانب النسق [٤٤] . ومكوناته الكليــة ومن ثم يستهدف التحليل الوظيفى فحص النظم وعناصر النسق الاجتمــاعى على النحو الذى تسهم به فى ذلك الكل . فى حين ان التحليل البنائى يتنـــاول وصف النظم والعنــاصر المفــردة فى النســق بشىء من التفصيل [٤٥] .

---

(٤١) د. السيد شتا : الاغتراب الاجتماعى فى ضوء نظرية التكامل المنهجى ، رسالة دكتوراه آداب القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٥٢١ .

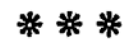
(٤٢) د. محمد عارف عثمان : نظرية التكامل المنهجى ، القــاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر عام ١٩٧٢ ، ص ١٠٧ — ١٠٩ .

(٤٣) Pappenhieme , F : The Alienation of Modern Man N. Y. Monthly Review Press , 1959 . p. 220.

(٤٤) Demerath , N . J : op Cit p. 504.

(٤٥) Demerth N. J : Ibid . p. 505.

وفى ضوء ذلك عرضنا للمداخل المختلفة فى النظرية الوظيفيــة لمعالجة التغير وابعاد المدخل البنائى والمدخل الوظيفى فى معالجة التغير وضرورة ترابطهما وتفاعلهما فى فهم ظاهرة التغير بصورة كلية تمهيدا لعرض بعض القضايا الاساسية للتغير من خلال تحليلنا للنماذج التصورية للرواد الوظيفيين الاوائل والمعاصرين للتعرف على مصادر التغير عندهم ، وقضاياه ومنهجهم فى دراسته ٠



الفصل الرابع

التغير الاجتماعى بين النماذج التصورية للرواد الوظيفيين

نستهدف بعرضنا لقضايا التغير بين النماذج التصورية للرواد الوظيفيين ، القاء مزيد من الضوء على القضايا الأساسية المتعلقة بالتغير ومصادره ، ومدخلهم المنهجى لتحليله وما أسهم به كل منهم فى صياغة النسق الوظيفى ، والأسس التى يقوم عليها فى دراسة التغير .

ومن ثم نتناول قضايا التغير فيما بين الرواد الوظيفيين الأوائل ؛ أمثال : هربرت سبنسر ، واميل دور كايم ، وبرونسلى مالينوفسكى . والرواد الوظيفيين المعاصرين والمحدثين أمثال : راد كليف براون ، وتالكوت بارسونز ، وروبرت ميرتون . وفى ضوء ذلك نعالج فى هذا الفصل النقاط التالية :

أولا : قضايا التغير بين النماذج التصورية للرواد الأوائل .

ثانيا : قضايا التغير بى النماذج التصوربة للرواد المحدثين والمعاصرين .

***

أولا: قضايا التغير بين النماذج التصورية للرواد الأوائل :

١ ـ هربرت سبنسر : Herbert Spencer (١٨٣٠ ـ ١٩٠٣ م) :

(أ) مفاهيم وقضايا أساسية :

يعد هربرت سبنسر من رواد الوظيفية الذين قدموا اسهامات واضحة فى صياغة النسق الوظيفى • الا أنه تأثر فى فهمه وتحليله لفكرة التوازن بالفكر الميكانيكى الذى كان أحد المحاور المعرفية التى اسهمت فى تشكيل تصوره • ومن ثم كان ادراكه لفكرة التوازن ادركا ميكانيكيا فى جانب كبير منه • اذ يقسم الوجود الاجتماعى الى انساق ثلاثة لكل منها وظيفة متباينة • وبناء عليها يظهر المجتمع فى شكل تركيب كلى ، كما انه فى موضوع آخر يرى : أن الخصائص الفيزيقية والنفسية للأفراد هى التى تضع مستقبل المجتمع وذلك يتضح حينما يرى أن المجتمع غالبا ما تنتابه تغيرات بفعل عوامل حددها على أنها خارجية فيزيقية ، وأخرى داخلية نفسية • تلك العوامل التى تثير تغيرات تستوجب توازنا جديدا • ومن ثم نجد هربرت سبنسر يجعل البناء يطرح من الميكانيزمات ما يحقق التوازن من جديد بقدر ما يطلب من الكل الاستجابة لهذه التغيرات الجزئية بالتكييف الايجابى معها تحقيقا للتوازن • اذ يؤكد انه لكى يحيا المجتمع مستقرا ، فان تنظيماته يجب أن تتلاءم وطبائع أفراده • فاذا ما حدث تغيرا فى الظروف الخارجية ، فان طبائع الأفراد وبناء المجتمع يجب ان يخضعا لتغير ملائم مع التغير الأول •

وهنا أيضا نجد ان هربرت سبنسر يؤكد انه اذا كانت الظروف الخارجية هى المتغيرة أساسا ، فانها تستدعى من الانسان أن يغير من ذاته توافقا معها •

ونظرا لأن هربرت سبنسر كما نعرف عاش فترة الانساق النظرية التأملية ، تلك التى يصوغ منها المنظر نموذجا فكريا شاملا يعالج انساق

الطبيعة ؛ فقد سـعى لصوغ نموذج من المعرفة الشـاملة يغطى كافة ظواهر هذا العالم العضوى ، وما فوق العضوى • كما أنه حاول نقل القوانين التى تحكم العالم العضوى استاتيكيا وديناميكيا ليطبقهـا مؤكدا بذلك امكانية فاعليتها فى عالم ما فوق العضوى • واذا كانت المماثلة العضوية الأساس المنهجى الذى استند عليه ، فقد تحولت بين يديه من كونها منهجا علميا الى تصور نظرى عن المجتمع • وقد كان هذا مكمن الداء القاتل فى كل فلسفة •

ومن ثم ركز سبنسر على الادراك الكلى فى الجانب التطورى ، حيث اسند تغير البناءات الاجتمـاعية وتطورها الى عمليتين تطوريتين تعودان دائما الى التغير اولهما عمليـة النمو التحليلى أى النمو من الداخل ، وهى العملية التى تخلق بها أشكالا أكثر تعقيدا من أشكـال بسيطة • أما العملية الثانية فتمكن من النمو عن طريق الاندماج ، وهى اندماج وحدات صغيرة ومتباينة فى كل أكبر ، وهو يؤكد أن مصـادر هاتين العمليتين تكمن فى التغيرات الخارجية فى البيئة الايكولوجيـة أو العالم اللاعضوى والتغيرات الداخلية وهى التى تتعلق بخصائص الأفراد وتشتمل على سماتهم الفيزيقية ودرجـات القوة والنشـاط والتحمل • وهنا يؤكد بناء على المماثلة أن الكائن العضوى البيولوجى يحتاج الى وظائف تؤديها انساق معينة • ولذلك يكون من الضرورى بالتالى ان يحتاج بناء المجتمع لهذه الوظائف والى انساق تتخصص فى ادائها • ومن ثم كان تأكيده بأن كلا المجتمعين البسيط والمعقد يحتاج الى أداء وظيفة معينة تسهم فى تحقيق بقائه حيا ويعد هذا العالم من أوائل الرواد الذين استخدموا مصطلح البناء الاجتماعى فى مماثلاته بين البناء العضوى وفوق العضوى والتطور لكى يوضح لنا ما يعنيه ببناء المجتمع (١) • وهو فى ذلك يذهب الى أن المجتمع ينتظم على نفس نسق

(1) Spencer. H , : Principles of Sociology op. cit Part II .

الفرد وعلى غرارة تماما حتى أننا لا نستطيع أن ندرك ما هو أبعد من ذلك فى المماثلة التى أشار فيها الى نفس التعريف للحياة على كليهما • وحينما ندرك أن المجتمع عنده يمر خلال مراحل النمو والنضج والهرم ، وان هذا النمو يستند لنفس المبادىء التى تحدد التحولات التى تمر بهــا النظم العضوية وغير العضوية • وقد تعرض فهم سبنسر للبناء الاجتماعى على هذا النحو والمماثلة للنقد • اذ ذهب « ألبو سمول » Albion Small الى أن سبنسر لم يوفق فى تفسيراته المتعلقة بالمجتمع (٢) •

وقد ذهب سبنسر الى أن انتقال المجتمع الى التعقيد بعد البساطة والى التباين بعد التجانس انما هو خلق لتوازن جديد • وهنا يذهب الى أن ارتقاء المجتمع يؤدى الى تنوع وظائفه حيث تتوزع هذه الوظائف بين الأعضاء بحيث يختص كل عضو بوظيفة معينة ويرتبط الأعضــاء ارتباطا وثيقا بعضهم بالبعض الآخر بحيث يظهر الخلل فى كيان المجتمع اذا تعطلت احدى القوى المسيرة له • أما كتابه الاستقرار الاجتماعى عام ١٨٥٠ م ، فقد تناول التطور الاجتماعى على أنه يمــاثل التطور العضوى (٣) • وظل طيلة حياته أسير هذه الفكرة التى نقلها اليه فكر جون استيوارت مل نظرا لتأثره بوضعية بنتام •

(ب) الموقف النظرى والمنهجى لتصور سبنسر للتغير :

استخدم سبنسر كل وحدات نموذجه النظرى لاثبات قضية واحدة مؤداها خضوع المجتمع ككل لقانون التطور الشامل ولعل ما يؤكد ذلك قول سبنسر فى كتابه « الاستقرار الاجتماعى » أن الطبيعة فى عقدها اللانهائى تنمو على الدوام نحو طور جديد ، حيث تصبح كل نتيجــة

(٢) Small , Albion W., : General Sociology , Op. cit p 167 - 168.

(٣) Becker, Howard : Modern Sociological Theory - Toronto London, Rinhart and Winston , 1966 p. 239.

تالية مؤهلة لتأثير اضافى جديد • فكل الأشـياء عنده خاضعة التحول والتغير ، وقد يكون غريبا حقا أن يكون الانسان ثابتا وغير متغير فى قلب هذا العالم المتقلب والمتغير • ولكن الأمر ليس على هـذا النحو اذ أن الانسان يطبع قانون التنوع اللانهائى • كما ان ظروفه متغيرة على الدوام وهو يلائم نفسه واياها دائما • واذا ما تحدثنا عن طبيعة التغير ومصادر التغير عند سبنسر فاننا نتجه الى دراسة أشكال التغير الاجتماعى أو كما يسميها التحولات الاجتماعية حيث يركز على نموذجين أسـاسين فى عمليات التغير :

الأول : التباين المتزايد أو الحركة من البناءات البسيطة الى البناءات المعقـدة •

الثانى : هو الحركة فى المجتمع من المجتمع الحربى الى الصناعى ، ومن المجتمع الصناعى الى الحربى •

ويعالج سبنسر الشكل الأول على أنه يتحدد أساسـا باستعداد الكائنات العضوية الاجتماعية كأن يتزايد فى الحجم (التكامل) سواء كان ذلك عن طريق زيادة السكان ، أو اتحاد التجمعات الصغيرة • كمـا اننا نجده يؤكد على أن العادات الموروثة فى المجتمعات التقليدية يمكن أن تمنع عمليات التطور الاجتماعى • وقد أراد سبنسر بقانون التطور أن يتبنى فلسفة تركيبيه يؤكد فيها بين فكرتين أسـاسيتين سادتا فترة القرن الثامن عشر ،حيث الفكرة الأولى فى فكرة التحول Trans Formation فى الحيـاة العضـوية أو ما اشـتهر بمعنى التطـور العضـوى ، أما الفكرة الثانية فهى المصاغة بالتقدم البشرى واذا كان الفكرى البيولوجى فى هذه الفترة قد قدم اليه الفكرة الأولى المنبثقة فى اعتقاد أساس مؤداه عدم ثبات الكائن الحى على يد كل من أدانسون Adanson ودى موبرتا Moubetta وبوفون Buffon وايراسموس داروين Darwin وكاباس Cabaus ، ولاسبيد Laceped ولامارك Lamark فان الفكرة الثانيـة

قد جاءت اليه من الفيلسوف الفرنسى أوجست كونت حيث صاغها سبنسر نتيجة تأثره بفكرته عن التقدم البشرى التى نشرها فى كتابه « الاستقرار الاجتماعى » .

وقد صاغ سبنسر تصنيفه للمجتمعات على اعتبارين أساسيين ، هما :

١ — من ناحية التكوين المورفولوجى : ففى المجتمعات البسيطة والمجتمعات المركبة ، نجد ان الوحدات الاجتماعية أو التجمعات البشرية متجانسة ثم تأخذ هذه المجتمعات فى النمو كالجسم الحى وتأخذ فى الارتقاء كما يرتقى الكائن الحى . فينتقل آنذاك الى درجة من التنوع والتعقيد فى الوظائف والظواهر والنظم ، ثم تأخذ فى الاستقرار أو الاتحاد بين هذه التجمعات للوصول الى الأرقى وتتوالى هذه العمليات وتنتقل هذه المجتمعات من الشكل البسيط الى مجتمعات مركبة ومعقدة .

٢ — أما من ناحية التقسيم الفيزيولوجى « الوظيفى » : حيث يكون الناس بهذه المجتمعات ممن يعيشون على القتال (المجتمعات الحربية) ومنهم من يعيش لأجل مكافحة متاعب الحياة ، وليس لهم من عناية الا العمل وهى المجتمعات الصناعية [٤] .

فالفكرة الأساسية عند سبنسر هى أن المجتمعات تنتقل من حالة التجانس Homogeous الى حالة اللاتجانس . فالمجتمع البدائى يتكون عادة من مجموعة متجانسة من الأفراد حيث يقوم كل فرد بوظائف غير محدودة وغير متخصصة ، فكل منهم يشترك فى كل الأعمال من اعداد الطعام والدفاع عن الجماعة والأفراد هنا متماثلون من حيث نسبة كل منهم الى المجتمع وحاجاته ، ولكن بارتقاء الطبيعة يظهر التوازن

(٤) د. مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه : الكتاب الأول ، تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره ، الطبعة الأولى ، القاهرة مطبعة لجنة البيان العربى ، عام ١٩٥٤ ، ص ١٦١ .

بين الأفراد فتظهر حالة من التفرد والاستقلال والتباين Differenation فى الحياة الاجتماعية وبموجب هذا تنتقل الوظائف الاجتماعية من التعميم غير المحدود الى التخصص ، ومن البساطة الى التعقيد (٥) ويكاد يجمع مؤرخو النظرية السسيولوجية على أن علم الاجتماع لدى هربرت سبنسر كان بمثابة تمهيد لنظرية التكامل •

وقد أكد ايفانز بريتشارد أن هربرت سبنسر من العلمـاء الذين وجهوا انتباه الانثروبولوجيين الى أهمية التحليل الوظيفى حيث ان عملية التغير عند سبنسر تنقل المجتمع من حالة يسودها التجانس الى حالة اللاتجانس ثم من حالة عدم الاستقرار نظرا لسيادة التشابه الى حالة التكامل نظرا للاختلاف والتباين •

وبذلك نجد أن هربرت سبنسر قد منح علم الاجتماع طريقة مميزة فى النظر الى الأمور تلك النظرة التى تنبثق من التأكيد على (كليات المجتمعات) أو على قانون شرعى معين أو مجموعة من النظم الاقتصادية على انه حينما ندرس اجتماعية الدين أو اجتماعية القانون أو اجتماعية النظم الاقتصادية فنحن فى هذه الحالة نستهدف دراسة العلاقة بين الدين والقانون والنسق الاقتصادى وملامح المجتمع الأخرى •

ولقد أكد هربرت سبنسر أن للتغير عوامل متعددة تؤدى اليه ولكنه يرى فى الوقت ذاته أن التطور أمر تحتمه ظروف المجتمعات نفسهـا بحيث يكون هو المميز للمجتمعات بعضها عن البعض الآخر • فكما أن الكائن الحى يتغير فى تركيبه تبعا لتغير الظروف الطبيعية والبيئية كذلك أيضا يكون تغير شكل المجتمع ، وكما أن الفرد فى شأنه وتكوينه يبـدأ فى صورة بسيطة ومتبعة ثم يكبر حجمه عن طريق التكاثر ، فكذلك ايضا

---

(٥) د. أحمد الخشاب : دراسات انثروبولوجيا وانثروجرافيـة ، الطبعة الثانيـة ، القـاهرة ، مكتبـة الانجلو المصرية ، عـام ١٩٥٩ ؛ ص ١٥٣ — ١٥٤ .

يكون المجتمع اذ يبدأ بسيطا صغيرا ويزداد حجمه عن طريق اندماج بعض مكوناته بعضها مع البعض الآخر [٦] •

ومن ثم نرى أن هربرت سبنسر أكثر واقعية فى تفسيره لظاهره التغير الاجتماعى لاعتماده فى عملية التفسير للتغير على عوامل كثيرة بعضها داخلية تتعلق بالتكوين العقلى لأفراد المجتمع وبعضها خارجيــة وهى تمثل فى نظره أثر البيئة ؛ وايا كان التغير الذى يوجه الى هــذه العوامل ، فانه فطن الى أن التغير لا يحدث تلقائيا بل لابد من عوامل تؤدى اليه وتدفع لحدوثه فى المجتمعات • ويؤخذ على سبنسر انه اعتبر المجتمع كائنا عضويا وطبق عليه قوانين علم الحياة مع أن طبيعة المجتمع والحياة الاجتماعية فيه تخالف تماما الطبيعة الحيوية للانسان • كما أن قضيته التى ذهب بها مذهبا عموميا حيث ذهب الى أن التطور يسير دائما من البسيط الى المركب أى الى التعقيد أمر لا يتفق فى كثير من الحالات مع واقع الحياة الاجتماعية •

***

٢ ــ أميل دور كايم : Emile Durkheim (١٨٥٨ ــ ١٩١٧ م) :

(أ) مفاهيم وقضايا أساسية :

يعد دور كايم من أبرز العلماء الذين اعطوا للنظرية التكاملية قدرا من الدقة والوضوح مع اهتمامه بالمحافظة فى دراسته على وجهة نظر علم الاجتماع ومن أهم اسهامات دور كايم فى هذه النظرية ما قــدمه بالنسبة للبحث الوظيفى والسببى والتمييز بينهما من جانب وصياغته لمفهوم البنــاء الاجتمــاعى من خلال البيئــة المورفولوجية والبيئــة

(٦) Ponsioen, J A : The Analysis of Social Change Reconsidered a Sociological Study , Graw Enhage, 1962. pp. 32 — 33.

الفيزيولوجية اللتين تشيران الى البناء والوظائف الاجتماعية من جانب آخر • هذا بالاضافة الى دراسة اشكال التضامن الاجتماعى العضوى والآلى فى دراسة تقسيم العمل • ولو تسنى لنا تتبع نمو وانتشار النظرية التكاملية لاتضحت أمامنا اسهامات مكيافيللى وليوبولد فون فيزه L. Vonvise فى المانيا ، وهوارد بيكر الذى أدخل النظرية الى انجلترا بالكتاب الذى اشترك فيه معه فون فيزه عن علم الاجتماع النسقى Systematic Sociology ولاتضحت أمامنا أيضا مجهودات راد كليف براون ومالينوفسكى اللذين تأثرا بفكر دوركايم •

ويستطيع الباحث أن يعرف « الوظيفة الاجتماعية » ــ بالطريقة التى تردد استخدامها والتى أتبعها دوركايم وبعض العلماء الآخرين ــ بانها علاقة النشاط المقنن اجتماعيا • أو طريقة التغير فى البناء الاجتماعى الذى تساعد على وجوده واستمراره •

وقد كان مفهوم الوظيفة عند دوركايم بمثابة أول محاولة منهجية لدراسة الوظيفة بطريقة علمية دقيقة • وقد تأثر فى بداية حياته بالنظرية العضوية فى المجتمع نتيجة لتأثره بآراء سبنسر البيولوجية ولذا فان فكرة الوظيفة تشير عنده الى حقيقتين : الأولى على وجود نسق من الحركات الحيوية الضرورية لحياة الكائن الحى • ويشير المعنى الثانى للوظيفة لوجود علاقة ترابطية بين الحركات الحيوية وحاجات Needs الكائن العضوى ، كما يحدث فعلا بالنسبة لوظيفة التنفس والهضم (٧) •

وقد ربط دوركايم فى دراسته للمجتمعات بين درجة التركيب المورفولوجى (البيئة الاجتماعية) وبين الوظيفة الاجتماعية • ومن ثم قسم المجتمعات الى قسمين رئيسيين :

---

(٧) Durkheim , Emile : The Division of Labout in Society, Op. cit p. 49.

أولا :

مجتمعات محددة النطاق بسيطة غير معقدة التركيب من ناحية البناء وغير خاضعة لمبدأ توزيع العمل من ناحية الوظيفة (٨) • كما لجأ فى دراسته لنوع المجتمع الى النظرية التعاقبية التطورية ، فبدأ بالترابط والمعشر Horde ثم العشيرة Clan ثم الاتحاد وأخيرا القبلية Teibe • ولقد ربط بالنسبة لهذه المجتمعات التى تتميز بقلة الحجم والسكان وتقسيم العمل غير الكامل • اذ أن الفردية تكون غير متباينة والفرد هنا كالآلة وبهذا يكون نوع التضامن السائد فى المجتمع ميكانيكيا Mechanic Solidary •

ثانيا :

مجتمعات واسعة النطاق معقدة التركيب ، وهنا يعتقد دوركايم أنه كلما كثر حجم أو عدد السكان وزاد تركزهم فى الوحدات الاجتماعية نشطت حركتهم واتسع آنذاك نطاق تقسيم العمل لتعدد هيئاتها ووظائفها ، وأصبحت بفضل هذا مترابطة وممتدة ويطلق دوركايم على هذا التضامن بالتضامن العضوى (٩) Organic Solidary •

ومن هذا يتضح أن دوركايم قد ربط بين (البناء) و (الوظيفة) كما أنه استخدام فكرة المماثلة Analogy بين المجتمع والكائن العضوى •

وعندما تطرق لموضوع الفردية التى تكون غير متباينة فى المجتمعات البسيطة وتتباين بصورة واضحة فى المجتمعات المعقدة أو حالة التضامن العضوى نراه يؤكد بان هذه الفردية لا يعنى بها الأنانية لأن مثل هذه الفردية لا تؤدى الى التماسك الاجتماعى ، بل الى الفرد الذى يساهم

---

(٨) د. مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الأول ، تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره ، المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٩) د. عبد العزيز عزت : رأى فى طبيعة المجتمع البشرى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، عام ١٩٦١ ، ص ٣٣ .

بالتخصص الدقيق فى تحقيق الرفاهية للمجتمع [١٠] . والفردية التى يعنيها دوركايم بهذا المعنى تكون نوعا جديدا من الواجبات التى تفرضها الجماعة على الأفراد حيث يكونون ملزمين بطاعتها .

والملاحظ أنه كلما تقدم الزمان تراجع المكان . ففى المجتمعات الأولى حيث صغر حجم وحداته البنائية وتتشابه هيئاته الوظيفية وعدم تنوع علاقات وترابطات أفرادها ، نجد أثر العامل الايكولوجى واضحا على نشاط الانسان ، اذ أن هذه الظواهر الايكولوجية قد تحكمت فيه الى حد كبير وادخلت عليه كثيرا من معوقات حياته البيولوجية والاجتماعية وسيرت أعماله وفق ارادتها لحد ما ولكن ما أن زادت الكثافة السكانية حتى تعددت وحدات المجتمع البنائية ووضعياته الوظيفية وتنوعت علاقاته . وهكذا أخذ الانسان يصارع المكان وانتصر على البيئة الطبيعية بحيث امكنه تسخيرها لحاجاته ومطالبه ، وهكذا تقدم فى مستواه الحضارى وتنوع تراثه الاجتماعى .

ودوركايم بالاضافة الى تأكيده الدائم على ضرورة التعرف على ترابطات الظواهر والعلاقات العلية أو السببية بينها ، ثم الوظيفة التى تؤديها داخل هذا النموذج الاجتماعى ، يرى أنه لكى تكون برهنتها برهنة علمية ، أما أن تجمع الأدلة والشواهد من خلال التاريخ لتأكيد عملية فرض معين ليست برهنه علمية على الاطلاق [١١] .

وعلى هذا الأساس يتخذ دوركايم ادراكه وتفسيره لكافة الظواهر وكافة فرديات البناء الاجتماعى . فذهب الى أن الاحتفالات الطقوسية

---

(١٠) د. حسن شحاتة سعفان : تاريخ التفكير الاجتماعى والمدارس الاجتماعية ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، عام ١٩٦٦ ، ص ٢٥٦ .

(١١) Durkheim E : The Division of Labour in Society Op. cit p. 248.

والدينية قد يشترك فيها الأفراد وما هى إلا ميكانيزمات لتأكيد وحدة الجماعة ذاتها هى نفوس الأفراد • ثم ادراك ظاهرة التغير الاجتماعى فى بناء التضامن الآلى الى بناء التضامن العضوى نتيجة لبعض الظروف المتغيرة فى البناء الكلى الآلى •

ويمكننا أن ننظر الى التغير من النموذج الآلى الى النموذج العضوى عند دوركايم على أنه من هذا الطراز • فالمتغيرات الأساسية لهذا الانتقال هى عدد السكان ، وشكل تقسيم العمل ، ثم حجم الجماعة الكائن ، هذا بالاضافة الى بعض المتغيرات الأخرى ، كالظروف الايكولوجية والخارجية • فحجم الجماعة اذا زاد عن حد معين يحدث توترا لأنه لا يتناسب وأسلوب تقسيم العمل السائد حيث أن هذا الطراز من التقسيم يضيف اسهامه فى توتر النسق مثل عدم التناسق • هذا وقد يؤثر على جهاز القيم الذى يؤكد على تماسك المجتمع فيضعف اسهامه فى تهيئة النسق لحدوث التغير • هذا بالاضافة الى أن قيام فاصل اجتماعى من شأنه أن يكشف عن التفاعل الاجتماعى •

ومن رأى دوركايم أن التنوعات المورفولوجية للحجم والكثافة تنتهى بنا الى تغيرات واضحة فى التركيب الاجتماعى ، فزيادة حجم جماعة اجتماعية زيادة عددية تؤدى الى كثافة التبادل التجارى أو التنافس بحيث تقوم العلاقات على أساس مبدأ تقسيم العمل والتخصص • وهكذا يتقدم المجتمع بتطور تقسيم العمل فيه واتساع نطاقه حيث تتباين الوظائف الاجتماعية وتتعدد العلاقات الوظيفية فيه (١٢) •

ويستند دوركايم الى الكثافة السكانية والكثافة الاجتماعية باعتبارهما السبب فى الزيادة الكمية الى أدت الى تغير كيفى ، وهو يعتبر أن الحاجات

---

(١٢) Durkhim E : The Division of Labour in Society, op. cit. pp. 400 - 401.

متعلقة بالمجتمع والكل الاجتماعى ، وان الأفراد فاعلين ذوى وظائف تشيع هذا الكل . كما أنه يرى أن الضمير الجمعى نتاجا معاصرا مشتركا لكافة شرائح المجتمع الموجودة الى جانب مجتمع الماضى بعد المرور بمرحلة التفاعل بحيث يشكل هذا الضمير تضامنا آليا اذ كانت أجزاؤه متماثلة أو تشكل تضامنا عضويا . اذا ما كانت أجزاؤه متباينة . فتقسيم العمل عنده يعد تحليلا ملائما للضمير الجمعى ، وهذا الميكانيزم يعمل للحفاظ على الوحدة الاجتماعية أو على تماسك المجتمع . وهو يؤكد بذلك أنه اذا كان التماثل بين الأفراد والاشتراك فى الضمير الجمعى الذى يكون من مجموعة العقائد والعواطف الأخلاقية المشتركة قد حقق نوعا من التضامن للمجتمع البدائى — أو ما أسماه بالمجتمع البدائى ذات التضامن الآلى . فان نفس هذا الضمير يطرح ميكانيزم تقسيم العمل ليحفظ على المجتمع الصناعى تماسكه ، واتحاده . وهذا الاتحاد الذى ينبثق من الاختلاف والتباين يؤدى الى التخصص فى أداء الوظيفية ، ومن ثم التبادل بين هذه الوظائف وبعضها نظرا لأنها تحتاج الى الأخرى للمساعدة فى تحقيق وجودها الأساسى . الأمر الذى يوجب عليها أن تكون متساندة . يؤكد بذلك على ضرورة انسجامها وتآذرها بمثل ذلك التآذر الموجود بين اعضاء الكائن الحى . وهو بذلك يرى فى تقسيم العمل حلا للصراع الذى انتاب مجتمع الاتحاد الميكانيكى الذى تسوده الرغبات المتماثلة وهنا يؤكد أن المجتمع كالكائن العضوى لا يؤدى توزيع الاختصاصات فيه الى الصراع ، بل الى وحدة المجتمع وتماسكه ، وليس كما يقول كونت Comte والاشتراكيون بانه يحمل الصراع بين ثناياه فهو يحمل الرغبة فى التعاون المتبادل . وبالتالى فهو يحل التوازن والاستقرار اللازمين لحياة المجتمع واللذين يمثلان الوضع الطبيعى للحياة الاجتماعية .

ويذكر دوركايم أن هناك ضبطا تلقائيا فى مجتمع الاتحاد الميكانيكى يطرح على الأفراد ضرورة التماثل فى بناء الشخصية ليحدد

التماثل والوحدة فى بناء النسق البدائى ، لكن الأمر يختلف فى مجتمع تقسيم العمل اذ انها مختلفة وذات شخصيات متباينة لأنها مرتبطـة أساسا بادوار مهنية مختلفة . ويؤكد وفقا لهذا أن فى البناء الجديد الذى يسوده تقسيم العمل يكون على العقل الجمعى مسئولية ابتكار الوسيلة التى تكون وظيفتها الأساسية جمع هذه الوظائف فى كل واحد ، وتنظيم عملية الضمير الجمعى بخلق دورا جديدا لأداء هذه الوظيفة . ويرجع دوركايم ظواهر الدين واللغة وتقسيم العمل والانتحار والجريمة الى أساسها الاجتماعى المنبثق عن الضمير الجمعى أساسا ، ذلك لأنها تؤدى دورا أساسيا فى كيان الجماعة الواقعى ، فهى أما أن تكون ظواهر مدعمة بقوة الجماعة وسطوتها فى نفوس الأفراد كالدين ، ومن ثم زيادة الروابط كاللغة ، أو تعمل على صياغة الاتحاد كتقسيم العمل .

(ب) الموقف النظرى والمنهجى :

ومن دراسة دوركايم للانتحار التى أراد بها دعم تفسيراته النظرية بشواهد واقعية ملائمة تبينت قدرته على الربط بين الاطار النظرى والبحث ربطا متكاملا ، ويضيف بان اشكال تقسيم العمل هذه شـاذة أو تسـودها حالة الأنومى وهنا يؤكد أن العلاقات التى تسـود أنماط تقسيم العمل فى هذا النمط تتصف بالطبيعة الصراعيـة حيث ينعزل الناس بعضهم عن البعض وتسود حالات الصراع والسيطرة والاستغلال بين الفئات (١٣) .

ويطرح دوركايم ثلاثة أسباب يؤدى توافرها لقيـام تقسيم العمل الشاذ ، ويتمثل السبب الأول فى التغيرات السريعة التى قد تنتـاب وحدات البناء الاجتماعى فى جانبه الاقتصادى كمتغير واستبدال العمل

---

(١٣) Durkheim , E : The Division of Labour in Society. Op . cit p. 361.

اليدوى بالعمل الآلى كل ذلك نتيجة خلق علاقة جديدة بين العامل وصاحب العمـــل (١٤) •

أما عن الأشكال البنائية الأربعة التى يسوقها لنا دوركايم فهـــى ترمز الى أنها كانت تمثل خاصية الادراك الكلى عنده حيث أن :

الشـــكل البنائى الأول :

هو مجتمع التضامن الآلى يسوده الاتحاد بسبب القيم والعواطـــف الجمعية المشتركة عند تقديم الأداء الوظيفى • ويتفكك حينما يتخلف أحد عناصر البناء الى الحجم الذى يحتاج عنده لاشباع وظيفـــى لا نتيجة الاجزاء أو العناصر البنائية الكائنة ويضغط لخلق شكل بنائى جديد أكثر ملاءمـــة •

الشكل البنائى الثانى :

ازدياد عدد السكان يؤدى الى تغير البناء وخلق شكل جديد •

الشكل البنائى الثالث :

يقوم تقسيم العمل على التباين لا التجانس. •

الشكل البنائى الرابع :

حل البناء العضوى محل بناء تقسيم العمل الآلى • فالبناء يجرى كثيرا من التعديلات للحفاظ على الكلية البنائية بصورة متماسكة •

أما بالنسبة للتعديلات البنائية والوظيفية التى طرأت على النظام الأسرى بانتقاله من نموذج بناء التضامن الآلى الى بناء التضامـــن العضوى • وهنا يطرح أميل دوركايم شكل المجتمع ذو البناء حيـــث

---

(١٤) Zeitlim, I. M.: Idology and The Development of Soeiol-ogical Theory, New York, Prentic Hall of India Private Limited, 1969 p. 247.

الروابط الحرفية داخل المؤسسة ، ويطرح التخصص بين المجتمعـــات كوسيلة لتحقيق التكامل فى وجود كلى شامل •

واذا كان دوركايم قد تأثر بفكر من سبقوه من الوظيفيين الى حد ما ، الا أنه صاغ تصوره للتغير على أساس الفهم السسيولوجى الذى ينتمى اليه ، والذى أثر كثيرا على الفكر الوظيفى للتغير من بعده ، خاصة على بارسونز وميرتون وهما من أعلام الوظيفيين المحدثين الذين تناولوا ظاهرة التغير فى اطار النسق الوظيفى •

* * *

٣ – برونسلى مالينوفسكى : Bronislaw Malinowski

(أ) مفاهيم وقضايا أساسية :

يعد مالينوفسكى من الركائز الأساسية للاتجاه الوظيفى اذ يستبدل الغاية البيولوجية بالغاية الاجتماعية ويعتبر الوظائف متعلقة بالحاجات البيولوجية للكائن الفرد ، وان المجتمع والثقافة والنظم ما هى الا وسائل اداء وظيفى تشبع به هذه الحاجات البيولوجية الفردية •

ولقد خالف مالينوفسكى كثيرا من العلماء السابقين فهو يرفض كل النظريات التى تعطى فرضا على البناء الكلى للمجتمع كما هو الحـــال مثلا فى الدين عند مكدوجل وتيلر فى الظاهرة الحيوية لنشــأة الدين أو عند دوركايم بالعقل الجمعى • ويقرر مالينوفسكى هذا بأن دراسة أى ظاهرة أو نظام يجب أن يجرى على أساس ارتباطه الوثيق بالبناء الحضارى باعتباره نظاما معقدا لاجل اشبـــاع الحاجات الأســـاسية الكامنة فى الشخصية • وهذا يعنى كله بالاتجاه الوظيفى ، حيث لا تعد دراسة مالينوفسكى دراسة منفصلة فى البناء الحضارى للمجتمع [١٥] •

(١٥) Malinowski, Bronislaw : Magic Science and Religion, Meridian Books , 1955. pp. 46 - 50.

ولقد آمن بالاتجاه الوظيفى وتصدى لتعريف الوظيفـــة على ضـــوء الاحتياجات • وهنا يخالف راد كليف براون فى التأكيـــد على البنـــاء بصورة خاصة • فالوظيفة عند مالينوفسكى هى نظرية تحول الاحتياجات العضوية الى الفردية ، وبمعنى آخر فان اهتمام مالينوفسكى بالفرد والدوافع الفردية هى الطابع المميز لدراسته • اذ أن فكرة الوظيفة عنده لا يمكن ان تخرج عن فائدة الظاهرة أو النشاط المراد دراسته ، فالسلوك البشرى يؤدى الى اشباع بعض الحاجات التى يشعر بها الانســـان وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الوظيفة التكاملية لهذه العمليـــات التى تدخل فى تكوين هذا الكل الثقافى هى اشباع الحاجات البيولوجية الأولية للطعام (١٦) •

ويرى مالينوفسكى العلاقة بين متغيرى الحاجات والوظائف التابعة التى تنتمى اليها هذه الفئات الادائية متناقضة فى اتجاه الحركة الرئيسية ونقطة الانطلاق بالنسبة لمـــالينوفسكى تمكن فى الفردية النفسيـــة لسبنسر لأنه عالم ذو رؤية ملائمة للأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وليس للمورفولوجيا أو الأحياء أو علم النفس اذ أنه ينطلق من التكييف والملاءمة البشرية وأيضا أدائية الثقافة فيتحرك من الحتمية البيولوجية نحو الحتمية الثقافية حيث يكون تكييف الانسان مع الثقافة أو أنه لا يستطيع تحقيق الاشباع للحاجات البيولوجية بدونها ومن هنا تتحرك الثقافة وأداؤها من متغير تابع الى متغير مستقل له وجود سابق •

وقد ربط مالينوفسكى بين الثقافة والحاجات البيولوجية ، فالثقافة يجب ان تشبع الحاجات البيولوجية للانسان • ومن جهة أخرى يكون الانجاز الثقافى عبارة عن تدعيم آلى وتلقائى للفسيولوجيا البشرية لأنه يرتبط بشكل ما باشباع الحاجات البيولوجية (١٧) • ولهذا يحـــدد

---

(١٦) د. أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى (المفهومات) جـ ١ — المرجع السابق ص ١٠٤ •

(١٧) تيمـــاشيف ، نيقولا : نظرية علم الاجتمـــاع المرجع الســـابق ص ٣٦٩ — ٣٧٠ •

مفهوم الوظيفة حتى الحضارة بانها كل طراز من أطرزة الحضارة ، بل وكل عادة من العادات وكل موضوع مادى وكل فكرة معتقد من المعتقدات يحقق احدى الوظائف الحيوية ليس بالنسبة للثقافة ككل بل وبالنسبة لكل عضو من أعضاء المجتمع سواء من الناحية العقلية أو من الناحية البيولوجية .

ومن هنا يتضح ان هناك علاقات قائمة بين العناصر والسمات الحضارية من جهة وبين الحاجات الانسانية من جهة أخرى وان كل حاجة انسانية يقابلها استجابة ثقافية معينة والمهم هو دراسة الوظائف للحضارة ، فالحاجات الانسانية للطعام والوقاية استجابات ثقافية (١٨) .

ومن ثم مالينوفسكى يختلف من حيث التزامه بالجانب الكلى ويفضل الادراك الجزئى ويتجلى ادراكه الجزئى من تأكيده على الحاجات البيولوجية للأفراد على أنها تشكل المتغير المستقل فى الوجود البنائى الثقافى ، وحقيقة ان للثقافة تأثيرها ايضا حيث تصل الى كونها المتغير المستقل فى الوجود البنائى الثقافى ، الا انها تظل فى النهاية امام اجزاء فى الوجود فالحاجات البيولوجية والنفسية هى جانب بنائى والنظم التى تشبع هذه الحاجات هى جانب بنائى آخر . وبذلك تؤدى الحاجات من أجل اشباعها الى قيام نظم ، والنظم تتكامل فتخلف وجودا نسقيا ثم وجودا ثقافيا يكتسب نوعا من الحتمية المستقلة وقد حاول مالينوفسكى ان يجد اطارا يتمكن بمقتضاه ان تقارن الوحدات المركبة وانتهى الى انه بدلا من ان نحدد أحد جوانب النظام مثل البناء أو القيم مثلا ، علينا ان نتخذ وظيفة النظام أساسا للمقارنة بين النظم فى حدود وظائفها .

---

(١٨) Malinowski , B , : Anthropology in Encyclopedia of Social Science p. 135.

(ب) الموقف النظرى والمنهجى لتصور مالينوفسكى للتغير :

وبذلك يتضح لنا من تحليل أعمال مالينوفسكى القضايا الأساسية التـــــالية :

أولا : ان لدى الكائنات البشرية حاجات نحو الطعام والتناسل وان أى سلوك فى المجتمع يجب أن يفهم بالنظر الى نوع الاشباع الذى يقدمه لهذه الحاجات البشرية .

ثانيا : الثقافة هى أساسا جهاز أدائى من وظائفه الأساسيـــة المساهمة فى وضع الانسان فى موقف أكثر تكيفا باتاحة اشباع أفضل لهذه الحاجات البيولوجية عن طريق حل المشاكل التى قد تعترض انجاز الاشباع أو التكييف وان ضروب السلوك التى قد يشبعها الكائن البشرى فى هذه العملية تصبح بالتكرار عادات مكتسبة لها وجود منفصل ومؤكدة عن الدوافع الفسيولوجية (١٩) .

ثالثا : ان الثقافة عبارة عن نسق من الجهود والاتجاهات التى يؤدى كل جزء فيها غاية معينة وانه يوجد نوع من التساند والتكامل بين هـــذه العناصر المختلفة بحيث تشكل الثقافة نوعا من الوجود النسقى .

رابعا : ان الانسان لا يواجه المشاكل وحده وانما تقوم أنواع من الجهود والاتجاهات حول وظائف معينة حيث تشكل نظما مثل العائلة ، والمجتمع المحلى ، والقبلية .

خامسا : الثقافة كوجود استياتيكى اما اذا نظرنا اليها فى عملياتها الديناميكية يمكن ان نحللها الى جوانب أساسية تشكل وجودها كالتعليم والضبط الاجتماعى والاقتصادى وانساق المعرفة والعقيدة .

---

(١٩) Malinowski , B. A Scientific Theory of Gvlture and Others Essays , A Glaxy Book New York , Oxford, 1960 p. 150.

سادسا : ان التغير من الخارج وأساسه ثقافى ٠

أما عن منهجه فيذهب الى انه بدلا من أن تصل الشواهد معـا بواسطـة تماثل الزمن ، وتضعهـا تحت عناوين المـاضى والحاضر والمستقبل ، فى تتابع تطورى أو تاريخى فان علينا ان نرتب الوقائع تحت فئات جميعها توجد معا فى الحاضر ، جميعها يمكن ان تدرس فى عمـل ميدانى امبيريقى [٢٠] ٠ فمالينوفسكى لم يرفض المنهج المقارن بل سلم بأن أحد المهام الرئيسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية هى الدراسة المقارنة بهدف الوصول الى القوانين العملية ولكنه اشترط ان تجرى المقارنات بين ظواهر قابلة للمقارنة فعلا وقد اقترح مالينوفسكى اتخاذ النظم وحدات للمقارنة باعتبارها الوحدات المستقلة المثالية للمقارنات ٠

* * *

ثانيا ــ قضايا التغير بين النماذج التصورية للرواد المعاصرين والمحدثين :

١ ــ راد كليف براون Rodcliffe Brown :

(أ) مفاهيم وقضايا أساسية :

كان براون باحثا وظيفيا وبنائيا ، فقد عرف الوظيفة فى علاقتهـا بالبناء وعرف البناء فى حالة اطراده Conelate مع الوظيفة [٢١] ، وفى ذلك يقول براون ان فكرة الوظيفة مستندة على أساس المشـابهة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية كما هو عند دوركايم ويعرف براون الوظيفة أخيرا بأنها الدور الذى يؤديه أى نشاط جزئى فى النشـاط

---

(٢٠) Malinowski, B : The Dynamics of Culture Change, An Inguiry Into Race Relation in Africa , Yale University Press, New Hoven, 1947, p 32.

(٢١) هولتكراس أمكية : قاموس مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلكلور ترجمة د. محمد الجوهرى . د. حسن الشامى ، الطبعة الأولى ــ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢ ص ٣٧٢ ــ ٣٧٣ ٠

الكلى الذى يكون هو جزء فيه ، فوظيفة أى عادة اجتماعية جزئية هى اذن الدور الذى تلعبه هذه العادة فى الحياة الاجتماعية كلها باعتبار هذه الحياة عماد النسق الاجتماعى الكلى • وهنا يعطى براون أهمية للحياة الاجتماعية فى أى مجتمع فالنسق الاجتماعى يكون عبارة عن وحـــدة كيان ووظيفة أى أنه ليس حشدا أو تجمعا وانما كالكائن العضوى كل متكامل (٢٢) • وهو يميز فى دراسته منهجين الأول التفسير التاريخى والثانى الوظيفى فالأول دراسة الاحداث التى وقعت فى المـــاضى اما الثانى الوظيفى فيبين لنا كيف أن حادثا أو عددا من الاحداث تنتمى فى حدوثها الى قانون عام من القوانين الاجتماعية التى تخضع لها الظواهر الاجتماعية (٢٣) •

ولقد اهتم راد كليف براون فى دراسته للبناء الوظيفة بالاشخاص حيث أن هذه الوحدات تدخل فى تنسيق أو ترتيب هذه الاجزاء لتكون الكل وتجعل منه بناء وان الشخص فى الوحدات الصغيرة يكون له أهمية ولهذا فرق بين الاشخـــاص Bersonal والأفـــراد Individuals فالاشخاص أعضاء المجتمع ويمكن أن يكون كل منهم مواطنا ويمـــارس مهنة معينة أى ان للشخص هنا مجموعة من العلاقات الاجتماعية • أما الفرد فهو عبارة عن كائن عضوى بيولوجى وهى مجموعة من عمليات فسيولوجية سيكولوجية ولهذا سيكون موضوع الفرد من دراسته علماء الفسيولوجيا والسيكولوجية ودراسة الاشخاص ضمن حدود البنـــاء الاجتماعى ، حيث لا يمكن دراسة أى بناء اجتماعى بدون الاشخاص الذين هم الوحدات الرئيسية فى البناء (٢٤) • ودراسة المجتمع عند

---

(٢٢) Prichard, Evans : Social Anthropology Op . Cit. p. 54.

(٢٣) د. خيرى محمد اسماعيل . الأنثروبولوجيا الاجتمـــاعية — دار المعارف الاسكندرية سنة ١٩٧١ . ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٢٤) Brown, Radcliffe : Stracture and Function in Primitive Society, op . cit. p 128.

راد كليف براون تكون عن طريق دراسة الاجزاء أو الكل أى الاشخاص أو الرموز الاجتماعية التى تتألف بدورها من أشخاص فهى دراسة العلاقات والروابط المتبادلة بين الاشخاص عن طريق الملاحظة المباشرة (٢٥) •

ومن أجل هذه العلاقات وتطويرها ميز راد كليف براون بين نوعين من البناء :

أولا : البناء الواقعى : تلك الفئة من العلاقات القائمة بالفعل بين عدد من الاشخاص فى مكان وزمان معين بالذات وهذه العلاقات يمكن ملاحظتها بصورة مباشرة (٢٦) •

ثانيا : الصورة البنائية : هى الصورة العامة لعلاقة من العلاقات بعد تجريدها من مختلف الاحداث الجزئية دون اغفال هذه التغيرات فالصورة البنائية العامة لمجتمع ما تكون ثابتة نسبيا لفترة من الزمن تطول أو تقصر فى حين ان الصورة البنائية الحقيقية قد تتغير بتأثير عوامل زواج أو هجرة فالحقيقة أن الوضعية البنائية تبقى ثابتة لفترة من الزمن بينما الصورة البنائية تتغير نتيجة عوامل الوفاة والزواج • ففى الحالة الأولى قد لا تتغير بينما يحدث التغير فى الحالة الثانية (٢٧) •

والحق ان بنائية راد كليف براون تمثل ولا شك مكانة متميزة فى تطور البنائية الوظيفية لأنها بدأت لأول مرة تستفيد من التراث العلمى المتاح لكى تبنى على اساسه فكرها وبذلك توفر ذلك التراكم العلمى الذى هو أساس تقدم المعرفة وهى نتاج تيارات أو محاور فكرية ويشتق وجودها من هذه المحاور التيارات السائدة فى الأنثروبولوجيا مثل

---

(٢٥) Ibid : p. 191.

(٢٦) Ibid : p. 192.

(٢٧) Brown Radcliffe : Op. cit p. 192.

التطورية والانتشارية والنزعة النفسية هذا الى جانب الفكر الوظيفى المتاح • ويؤكد ان دراسة البناء الاجتماعى يجب أن ترتكز على ثلاثة مستويات أساسية هى المورفولوجيا أو ترتيب الوحدات فى شكل بنـائى والفسيولوجيـا أو علاقات الاسهـام الوظيفى المتبادلة بين الأجزاء والكل • ثم العمليات التى تتغير بها الابنية الاجتماعية وكيفية ظهور صور جديدة من الابنية عن طريق تلك العمليات •

واذا ما حاولنا التعرف على مكونات البناء الاجتماعى من وجهة نظر راد كليف براون لرأيناه يحدد مكوناته على غرار علاقة البنـاء ومكوناته البيولوجيا والكيمياء فهو يرى أساسا ان للابنية الاجتماعية وجودا حقيقيا مثل الوجود الفردى • وينبثق اهتمام براون باستخدام المنهج العلمى لأنه يتصور المجتمع على انه نسق طبيعى ينشـأ عن الطبيعة البشرية ذاتها وليس من العقد الاجتماعى ولذلك يعتبر المجتمع نسقا طبيعيا ، ويؤكد على الادراك الكلى ويختـار النسق البنـائى الاجتماعى ويجعله فى كلية المتغير المسـتقل الذى يحتوى على كافة الانساق والظواهر الاجتماعية الأخرى • وهو يعرف التطور بانه ما يؤدى الى التعقيد حيث تختفى صور البناء الاجتماعى البسيط ويتعقد أو انهـا تختفى كلية ويحل ملحها تلك الصور البنائية المعقدة (٢٨) •

(ب) الموقف النظرى والمنهجى لتصور براون للتغير :

قسم راد كليف براون قضايا البناء الاجتماعى الى ثلاثة أنواع :

أولا : المورفولوجيا أو الشكل البنائى وهى تحدد ذلك التركيب الاستاتيكى لعناصر البناء الاجتماعى •

---

(٢٨) An Essays on « Social Structure » by Rad Cliffe Brown, in the Journal of the Royal Anthropological Institutee, Vol . 70 , 1940 . pp. 1 — 10.

ثانيا : ان النوع الثانى من القضايا فهى تلك المتعلقة بالفيزيولوجيا الاجتماعية وهى التى تؤثر على دراسة عملية الاسهام والاداء الوظيفى الذى يشكل الوجود الكلى المتفاعل لهذا الكل •

ثالثا : أما النوع الثالث فهى قضـايا التطور والنمو ويواجهها النسق حينما يكتشف تلقائيا انه لابد من ضرورة اجراء تغير فى احـد عناصره اما تغيرا بنائيا أو وظيفيا محققا بذلك ما له من الصحة الاجتماعية ومتجاوزا حالة الاعتلال • وفيما يتعلق بقضية التغير الاجتماعى فقد كان براون أكثر قدرة على معالجة هذه القضية بمحاولة تبسيط دراسـة التغير عن طريق اعتبار العملية مسألة تفاعل أو أكثر وهو المنهج الذى اقترضه مالينوفسكى • ومن رأى براون استخدام اصطلاح التقدم للعملية التى يتمكن الناس بها من التحكم فى البيئة الفيزيقية عن طريق زيادة المعرفة وتحسن النواحى الفنية بواسطة المخترعات والاكتشافات •

وفيما يتعلق بالنظرية فاننا نستطيع ان نؤكد ان راد كليف براون كان أكثر البنائين الوظيفيين حتى عصره ادراكا لأهمية النظرية والمنهج • ويرى ان الجهد العلمى هو أساس جهد متعلق بالنظرية أو بتطوير هذه النظرية واختبارها • وانه أول الباحثين الذين أكدوا على ضرورة عـدم انفصال الباحث المنظر عن الباحث القائم بالعمل الميدانى وكان ذلك رفضا للمناهج التطورية والانتشارية • ويؤمن بالمنهج الاستقرائى وكما هو معروف منهج العلوم الطبيعية وهو بعد أن يؤكد اختباره ليكون منهج العلم الاجتماعى نجده يؤكد على أربع خطوات فى المنهج تبدأ بالملاحظة والتصنيف والمقارنة والتحليل • ويعد براون أول من أكد مفهوم الدراسة المتزامنة Synchronic والدراسة فى ازمان مختلفة Diachronic فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية • كما انه يهتم بالثقافة فقط كما هى فى أى لحظة معينة من تاريخها • ويقول ان بيانات هذه الدراسة الأخيرة يستخلص منهـا جزء بالملاحظة الشـخصية للتغيرات التى تحدث على مدى فترة من السنوات والجزء الآخر من السجلات التاريخية حينمـا

يكون لدينا سجلات كافية وكاملة وصحيحة وهو يذهب الى أن القيمة العظمى للتاريخ بالنسبة لقيم المجتمع هو ان تعطينا مادة الدراسة كيف تغير الانساق الاجتماعية •

أما عن موقف راد كليف براون من المنهج التاريخى فقد جاء متمشيا ونظرته الى الأنثروبولوجيا الاجتماعية باعتبارها العلم الطبيعى النظرى للمجتمع الانسانى العلم الذى يبحث الظواهر الاجتماعية بمناهج متشابهة تماما مع تلك المناهج المستخدمة فى العلوم الطبيعية (٢٩) • فهو يذهب الى أن هناك منهجين للأنثروبولوجيا ، المنهج التاريخى وبمقتضاه يفسر وجود أحد الملامح المعينة فى مجتمع نتيجة لتتابع معين للحوادث ، والمنهج الآخر هو المنهج المقارن الذى لا نبحث بواسطته عن التفسير ولكنه عن فهم أحد الملامح المعينة لمجتمع معين بأن نربطها باتجاه عام أو عالمى فى المجتمع الانسانى •

فالخلط بين الأنثروبولوجيا فى رأيه راجع الى حد ما الى فشلهم فى التمييز بين التفسير التاريخى للنظم والفهم النظرى لها • ويذهب الى أن الأنثروبولوجيا كدراسة للمجتمع البدائى تشمل كلا من الدراسات التاريخية (الأثوجرافية والاثنولوجية) والدراسة التعميمية ايضا المعروفة باسم الأنثروبولوجيا الاجتماعية التى تعد نوعا خاصا من علم الاجتماع المقارن ، ومن ثم فان الأنثروبولوجيا تضم كلا المنهجين ، المنهج التاريخى الذى يقوم على الدراسة الوصفية ، والذى يعطينا تتابعا للاحداث فى اقليم معين وعلى مدى فترة زمنية معينة الا انه لا يمكنه ان يعطينا تواريخ معينة ولكنه سيعطينا قضايا عامة •

أما عن موقف راد كليف براون من المنهج المقارن فقد كان صادرا أصلا عن نظرته الى الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو علم الاجتماع المقارن

---

(٢٩) Brown Radcliffe : Structure and Function in Primitive Society Op . Cit. p. 189.

كما يسميها باعتبارها فرعا من العلم الطبيعى أو هى بالأخرى علم طبيعى للمجتمع الانسانى تتبع مناهج ذلك العلم الذى تقوم على الملاحظة والتصنيف والمقارنة والتعميم فهو يذهب الى أن منهج العلم الطبيعى يقوم دائما على مقارنة الظواهر الملاحظة وان الهدف فى مثل هذه المقارنة هو ان نكشف بواسطة الفحص الدقيق للتنوعات الكامنة تحتها ، وينطبق ذلك على المجتمعات الانسانية والمنهج المقارن يستخدم كأداء للاستنتاج الاستقرائى فى الماضى والحاضر والمستقبل [٣٠] •

ويتماثل موقف برون فى التطورية مع موقفه من التاريخ فهو لا يرفض عملية التطور ذاتها بل يؤمن بها • وكثيرا ما أعلن بأنه باحث تطورى اجتماعى يهتم بعملية النمو المتشعب التى تظهر نتاجا لها اشكال عديدة فى المجتمعات ووفقا لراد كليف فانه يرفض الموقف المنحرف للتطورين • من حيث انهم قد اغرقوا أنفسهم فى البحث عن الأصول فى حين ان هدفهم الرئيسى كان يجب أن يكون البحث عن القوانين الحاكمة لعملية التطور • وهكذا يلخص كوهين أربعة افتراضات تمثل جوهر الاتجاة التطورى الذى رفضه كل من راد كليف براون ومالينوفسكى •

أول هذه الافتراضات : ان المجتمعات البدائية المعاصرة تمثل المراحل الأولى للتطور الاجتماعى الانسانى •

ثانيا : ان هذه المجتمعات يمكن وضعها على درجة معينة من التسلسل التطورى بالنظر الى محكات مؤكدة وثابتة للتطور •

ثالثا : ان التاريخ التطورى للمجتمع أو المجموعة من المجتمعات

(٣٠) Phyllis, Kaberry : Malinowski Contribution to Field Work Metho and Writing of Ethography in Raymond Fivth Work Methed and Writing of Ethnography in Raymond Firth (ed) London Mon and Culture Routldge and Keganpaul 1968 p. 83.

المتجاورة يمكن ان يعاد صياغته او تركيبه بالنظر الى حضور أو تواجد خصائص أو سمات معينة تلك التى تعد منابع موضحة للماضى •

رابعا : أن تواجد سمات معينة لا تلائم مرحلة معينة من التطور يمكن النظر اليها على أنها بقايا من مرحلة ماضية ، ثم يؤكد كوهين ان احتجاج الوظيفيين على التطوريين فيما يتعلق بالاعتراضين الأولين ليس لأنهما مجرد افتراضين زائغين بل لأنهما يوجهان الاهتمام الى مشكلات لا حل لها وبعيدا عن المشاكل أو القضايا الهامة •

وهنا نجد ان براون يؤكد على ان التغير داخلى وخارجى ويهتم بالعوامل الفكرية التى تؤدى للتغير خاصة العامل الدينى كما أنه رفض العامل الاقتصادى وذلك يرجع لموقفه الخاص من الماركسية وبذلك ترك براون تأثيرا وضحا على الرواد الوظيفيين المحدثين الذين أخذوا عنه الكثير عند تحليلهم لقضية التغير والذين اتفقو بالنسبة لموقفه من الماركسية فى فهم التغير • وذلك لأن راد كليف براون يضيف الى مفهوم الوظيفة انها المساهمة التى يقدمها النشاط الجزئى للنشاط الكلى الذى هو جزء من الوظيفة هذا فضلا على ما قدمه من فهم لمصادر التغير وتأكيده على المصادر الداخلية والخارجية ، واهتمامه بتعدد العوامل هذا بالاضافة لاهتمامه بالمنهج المقارن والمنهج التاريخى فى عملية تناول التغير الاجتماعى وتحليله •

* * *

٢ ــ تالكوت بارسونز Talcot Parsons (١٩٠٢) :

(أ) مفاهيم وقضايا أساسية :

يعتبر تالكوت بارسونز من أبرز من حاولوا تطوير منهج التحليل البنائى الوظيفى وقبل أن يحاول صوغ نسق نظرى لمفكره وآرائه فقد كرس جهوده وقت أن كان طالبا لدراسة بعض النظريات السابقة عليه •

ومن ثم جاء تأثيره ببعضها فتأثر بالاتجاه النفعى وبالنظرية الاقتصادية وبالاتجاه الوضعى ، وبالاتجاه المثالى الذى لفت نظره الى المفهومات التى صاغها المثاليون الالمــان [٣١] •

وهو يتزعم النظرية الوظيفية للتغير حيث ناقش فيها التغــيرات التى تحدث فى النسق الاجتماعى Social System والمجتمع بصفة عامة على أساس أنها تغيرات وظيفية تؤدى الى تغير فى التركيب أو البنيان الاجتمــاعى •

ويفترض بارسونز ان النسق الاجتماعى بوظائف أساسية تعمل على استمراره وهذه الوظائف حتى لو تمت على نطاق محدود فى احدى مكوناته فانها تحدث بعض التغيرات فى وحدات الجهاز الاجتمــاعى وكذلك فى النظم الموجودة فيه • ولمـــا كان النسق الاجتماعى نتيجة قوى الدفع الداخلية وقوى الدفع الخارجية فهو يحاول العودة الى حالة التوازن للتغلب على ما قــد ينتج من حوادث اجتمــاعية ومن ثم تتولد بعض الوظائف التى تؤدى الى عودة النسق الى حالة التوازن النسبى •

واذا كان بارسونز يؤكد على الجانب المعيارى فى الحياة الاجتماعية وان المجتمع عنده ما هو الا نظام أخلاقى فهو بذلك يؤكد على فاعليـــة المعايير الأخلاقية فى الفعل الاجتماعى على مستوى الشخصية والنسق الاجتماعى ومن ثم يحلل بارسونز فاعلية التوترات فى عملية التغــير الاجتماعى للنسق وذلك ما ورد فى مقالته الشهيرة (التوترات الاجتماعية

---

(٣١) من العلماء والباحثين الذين تاثر بهم بارسونز الاقتصــادى والتون هملتون Hamilton وقت ان كان دارسا مع هوبهاوس وموريس جينزبــرج ١٩٢٤ — ١٩٢٥ • ثم درس بجامعة هيــدلبرج بألمــانيا فى سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ وهناك سمع على ماكس فيبر ومن ثم اعد رســالته الدكتوراه عن مفهوم الرأسمالية فى نظريات ماكس فيبر ووارنر سومبارت W. Sombart وفى هذه الاونة ترجم الى الانجليزية دراسة فيبر الشهيرة عن الأخلاق البروتستانية وروح الرأسمالية وبعد أن انتقل الى جامعة هارفارد سنة ١٩٢٧ قدر له الوقوف على كتابات مارشال ، ودوركايم •

فى أمريكا ١٩٥٥) حيث أشار الى أن التوترات تنجم فى المحل الأول من الصراعات القائمة بين المطالب المفروضة عن طريق الموقف الجـديد والقوة الذاتية لعناصر بنائنا الاجتماعى والتى غالبا ما تقاوم التغيرات الضرورية (٣٢) • والمخرج من هذه التوترات هو الانفصال عن الانماط القديمة الذى يحرك للانعزال عن الانمـاط التقليدية وتقبـل الانماط الجديدة •

وبالنسبة لمصادر التغير أوضح بارسونز مصـدرين للتغير فى التنظيم • الأول يتم من الخـارج حينمـا تمارس البيئة ضغوطا على التنظيم ، والثانى يتم من الداخل حينما تنشأ هذه الضغوط من داخل التنظيم ذاته (٣٣) • وحينما ينشأ هذان الضربان من الضغوط يتعين على النسق ان يواجهها • والواقع ان استجابة التنظيم لهذه الضغوط تعبر عما يطلق عليه بالتوازن الدينامى ، وهو ضرب من التوازن يمثل كما يقول فان دين بيرج **Van Den Berghe** حجر الزاوية فى التحليل الوظيفى (٣٤) •

وتالكوت بارسونز يؤكد ان التغير المنظم غالبا ما يكون بفعل عوامل خارجية تأتى أساسا فى النسق الثقافى عن طريق التجـديد المستمر والتى تقوم أساسا على التأثير الدائم لعوامل عملية وتكنولوجية ، وان

---

(٣٢) Hacker, Andrew : Sociology and Ideology . See Demerath Op. Cit pp. 783 parson. T , Social Strains in American, The yale Review , 1955, Reprinted in Danil Bell (ed) The New American Right , N. Y. Gritriam Books 1955 p. 117 - 118.

(٣٣) Parsons. T : Par digm for the Analysis of Social System in Demerath . N. and Perer Son R. (eds) System, Change and Conflict . N. Y. 1967 pp. 189 - 212.

(٣٤) Van Den Berghe p : Dialectic and Functionalism Towards a Theoreticol Synthesis Am Social Rev vol 28 . pp. 695 .

معالجته لقضية التغير لابد وأن تأخذ فى الاعتبار دائما مفهوم النسق بمعنى تحليلى محدود وبذلك فان التغــيرات التى تنبثق أصــولها من شخصيات اعضاء النسق الاجتماعى أو الكائنات العضوية الســلوكية الكائنة ، وراء هذه التغيرات التى تجد أصولها فى النسق الثقافى على هذا النحو ، فاننا يجب أن نصفها على أنها تغيرات من الخارج ، وعلى عكس الفهم الشائع الذى يقصر التغيرات من الخارج التى نجد أصولها فى البيئة الفيزيقية .

ويحدد بارسونز ثلاثة مستويات أو مراحل تطورية تتيح كل منها وجود مجتمعات متعددة ومختلفة . المرحلة الأولى : وهى البدائيــة ، وتنقسم الى مرحلتين فرعيتين والمجتمع البدائى عند بارسونز يتميز بأن الدين وروابط القرابة تلعبان فيه دورا بالغ الأهمية ، ويأتى بعد ذلك النموذج المتقدم من هذه المرحلة ليشير الى المجتمعات التى تشهد نسقا للتدرج الاجتماعى وتنظيما سياسيا يقوم على وجود حدود اقليمية منه مستقرة نسبياً .

المرحلة التطورية الثانية : هى الوسيطة فتضم أيضا نمطين من المجتمعات .

(أ) المجتمعات القديمة : التى تتميز بوجود تعليم حرفى أى تعليم محدود وخاضع لتنظيم وسيطرة الجماعات الدينية فى المجتمع .

(ب) النموذج المتقدم من المجتمعات القديمة وفيه نجــد أفراد الطبقة العليا يتلقون التعليم بحيث يكتسب المجتمع ما أطلق عليه بيـــلا Bellah بالدين التاريخى كما هو الحال فى الصين والهند والامبراطورية الرومانية والدولة الاسلامية (٣٥) .

---

(٣٥) Bellah : R; N. : Religous Evolution in American Sociological Review 1964 vol , 29.

المرحلة الثالثة : والأخيرة أى المتقدمة : فتشير الى المجتمعات الصناعية الحديثة ويرى بارسونز ان المجتمعات التى تفصل بين هذه المراحل الثلاث الأساسية تتمثل فى التطورات الحاسمة التى تطرأ على عناصر النسق القيمى (٣٦) . فالتحول من المرحلة الأولى الى المرحلة الثانية تتطلب تطورات فى اللغة وهذا التطور بدوره يزيد ويعمق من الفروق والاختلافات بين الانساق الاجتماعية والثقافية بحيث يمنح الأخيرة نطاقا أوسع واستغلالا أكبر ، أما التحول من المرحلة الثانية الى المرحلة الثالثة فانه يتوقف على التطور الذى يطرأ على النسق أو التظلم القانونى .

ويذهب بارسونز الى أن العملية التطورية هى فى حقيقتها زيادة أو تدعيم القدرة التكيفية للمجتمع وان العملية التطورية تنشأ من داخل عملية الانتشار الثقافى أو من خلالها وتتمثل المكونات الأساسية لنظرية بارسونز فى عمليات التكامل والتباين والتعميم فى داخل نطاق النسق القيمى (٣٧) .

ويرى تالكوت بارسونز ان التغير يكون فى تحول نظم البناء الاجتماعى الذى يضم العلم والتكنولوجيا والتغيرات الفردية المختلفة (٣٨) الا ان التغيرات لا تحدث جميعها بنفس السهولة والسرعة فالاختراعات تلاقى مقاومة شديدة قد تؤخرها أو تمنع نتائجها (٣٩) .

---

(٣٦) Parsons. T : Soceties Evolutionary Comparative Perspective Printio Hall 1960 p. 308.

(٣٧) Parsons. T : Ibid pp. 290 - 300 See Also Histotical Evolutionary universals in Sociery American Sociological Review, 29 / June 1964 pp. 305 - 310.

(٣٨) Parsons and others : Social Theories op . Cit p . 937.

(٣٩) Allen and others : Techcnology and Social Change New. York : 1957 . p. 230.

لأنه من الصعب ومن غير الممكن أن يقف الفرد ضد الآراء • فالتغير الاجتماعى هو اذن عملية موازنة تمسك على المجتمع كيانه وتلائم بين تنظيماته وتؤلف بينها وتنسقها (٤٠) • وهو حقيقة منطقية لأن كل فرد فى أى مجتمع وفى أية حضارة يتعرض لعمليات التنشئة الاجتمـاعية Socialization فيتشرب بقيمهـا ويتسم بطابعها ، كمـا ان التغير الاجتماعى حقيقة تاريخية لكثرة ما اختلف على وجه الأرض على مدى التاريخ الطويل المصنوع منه والمكتوب من الوان الحضارات ، فالتغير الاجتماعى فى نهاية الأمر هو تغير فى الاتجاهات والأفكار والتصورات •

ويميز تالكوت بارسونز بين التغير من خلال النسق وبين عمليات التغير الاجتماعى الا انه يدمجها معا تحت اصطلاح Social Dynmic الديناميكية الاجتماعية (٤١) •

وعلى وجه العموم فان دراسة التغير الاجتماعى للنظم الاجتماعية فى أى جماعة يعنى ابراز المضمون الوظيفى للبناء الاجتماعى ، وعلاقته بالانساق الاجتماعية الأخرى التى تحكم المجتمع وتضبطه والمفهوم لهذه الانساق يعبر عنه فى صورة اتجاهات فكرية اجتماعية وسلوكية يعيشها الأفراد ويلمسونها فى حياتهم اليومية على المستويين الثقافى العـام والثقافى الخاص والذى يعبر بدوره عن قيم اجتماعية تطبع بشكل متغاير البيئة التى يعيش بها الأفراد وتنعكس فى موقفهم وسلوكهم •

فالتغير الاجتماعى لا يمكن ان يفهم بمعزل عن البناء الاجتماعى وتركيبه ونظمه وعندما يحل هذا التغير نرى الأفراد يحتلون مراكز مختلفة ويمارسون أدوارا اجتماعية مغايرة لتلك التى كانوا يحتلونهـا

---

(٤٠) James and Ieible Han : The Institution of Society, Jullone University Press, 1956 p. 59.

(٤١) Parsons T : The Social System - London 1951 p. 481.

ويمارسونها من قبل • ولهذا فالتغير الاجتماعى يعنى بزوغ أوضـــاع أدوار جديدة مغايرة لأوضاع سابقة على أن الأوضاع الجديدة هى ذاتها عرضة للتغير وهــذا ما يعبر عنه بدينـــامية البنـــاء الاجتماعى ويعرف Kordskog التغير الاجتماعى بأنه العمليات التى تصبح بواسطتهـــا الحاضر مختلفا عن المـــاضى •

فالتغير الاجتماعى ظاهرة طبيعية تخضع لها مظاهر الكون وشئون الحياة بالاجمال ، وهو أكثر وضوحا فى الحياة الاجتماعية • وعلى وجه العموم يمكن ان ينظر الى التغـــير الاجتماعى على أنه تبدل وتحول فى الأدوار والوظائف الاجتماعية •

ويشير مضمون بارسونز للواقع على انه واقع ثابت متغير وان هناك فى المجتمع تجرى عمليات مستمرة فى التغير البنائى الــذى يتناسى الانساق الفرعية وان التغير قد يقع بفعل عوامل داخليـــة فى النسق أو بفعل عوامل خارجية عنه ويصوغ تالكوت بارسونز ثلاثة نمـــاذج للتغير الاجتماعى وهى :

١ ــ نموذج التغير المنظم بفعل عوامل خارجية •

٢ ــ نموذج التغير الثورى •

٣ ــ نموذج التغير العضوى بفعل عوامل داخلية •

ويؤكد تالكوت بارسونز ان النسق الاجتماعى يخضع بصورة دائمة لعملية التغير المنظم وهو أن تتوافر خاصية أساسية مضمونها التقـــدم المستمر للعلم وتطبيقه لتيار مستمر فى عوامل التغير فى النسق الاجتماعى وتتضح القضية الاساسية فى أنه كيف يمكن التيار المستمر من الابتكارات ان يؤثر على اجزاء فى النسق الاجتماعى لم تكن ذات صـــلة مباشرة بهذه العوامل أو الابتكـــارات التى طرأت على النسق • ولقـــد طبق بارسونز نظريته الشهيرة فى النسق الاجتماعى على التنظيم ثم كشف

بعد ذلك عن بناء التنظيمات ووظائفها • نظرا لما تمثله نظرية بارسونز من أهمية كبيرة بوصفها مثالا بارزا على الافادة من الاتجاه البنائى الوظيفى •

ويذهب بارسونز الى أن هناك أربعة متطلبات وظيفية أساسية يتعين على كل نسق ان يواجهها اذا ما أراد البقاء • اثنان منهما ذات طابع آلى وهما المؤامة Adaptation وتحقيق الاهداف Goal Altainment ويتعلقان أساسا بعلاقة النسق ببيئته ، أما المطلبان الآخران فهما التكامل Integration والكمون Latenoy ويعبران عن الظروف الداخلية للنسق •

ويرى بارسونز أن البناء الاجتماعى هو نسق التوقعات النمطية لسلوك الأفراد الذين يشغلون مراكز خاصة فى النسق الاجتماعى ، ويطلق على نسق التوقعات النمطية القانونية نسق الأدوار • الذى يمكن ان ينظر فيه الى مركب الانماط الذى يحدد السلوك على أنه نظام ، ولهذا تكون الأبنية النظامية العنصر الأساسى فى بناء النسق الاجتماعى (٤٢) • ويؤكد بارسونز على ضرورة معالجة العلم الاجتماعى للنسق الاجتماعى كوجود متميز مستقل يفترض دراسة وتحليلا تتطابق مع مستوياته الخاصة وليس كمركب يقوم على أفعال الأفراد وحدهم • وهكذا نجد انه فى معالجة النسق الاجتماعى تبرهن المقولات البنائية عن صلاحيتها كأساس فى التحليل بنفس الدرجة وبنفس المعنى الذى نجده فى العلوم البيولوجية وربما أيضا فى علم النفس فان كان الناس فى المجتمع يتصرفون فى حدود قواعد وقيم ومعايير معيشية الا ان هذه الحدود عرضة للتغير والتبديل تبعا للظروف والملابسات التى يمر فيها البناء الاجتماعى ، وفى كثير من الاحيان فانها تتغير وتتبدل اذا ما أظهرت

---

(٤٢) Parsons T : The Social Structure of The Family in Ruth An shen The Family its Function and Desting (ed) Harper & Brouhers N. Y. 1959 p. 337.

الاحداث استحالة تلبيتها ، وكأى نظام اجتماعى يكون لأى منظمة بنـــاء معين يمكن أن يوصف ويحلل من وجهتى كل منها ، فالوجهة الأولى فى البناء الثقافى الذى يتناول قيم التنظيمات وتكوينها فى مختلف وظائفها ؛ والوجهة الثانية تتناول ادوار الأفراد الوظيفية فى هذه التنظيمات والتى على أساسها يتحدد دور التنظيمات الوظيفى (٤٣) •

ويؤكد بارسونز ان الناس لا يعيشون فى المجتمع مجرد عيشـــة عشوائية وان سلوكهم وانماط حياتهم تسير وفق قواعد معينة تنظم علاقاتهم فى مختلف شئون حياتهم ويمكن معهـــا التنبؤ بمقتضيــاتها وبحاجاتها وذلك من خلال أداء الأفراد لادوارهم الوظيفية •

وعملية الصياغة النظامية للتغير تعنى أن عوامل التغير هذه هى عوامل خارجية فى النسق الاجتماعى ، ثم هى عوامل عملية أو تكنولوجية قد تؤدى الى اعادة بناء الادوار المهنية ويصبح من اللازم ضرورة خلق أدوار جديدة وتحديد للأدوار القديمة لكى تتلاءم مع المضمون العلمى والتكنولوجى الجديد •

أما أثر التغير التكنولوجى على البناء فيشير لأثر التغير على النسق القرابى وأيضا أثره على التكنولوجيا المنزلية ، ويكفى ان نؤكـــد انه بازدياد الحراكية المكانية فان بناءات المجتمعات المحلية قد تغيرت الى حد كبير بل انه قد يصبح استنتاجا من ذلك ان الحفاظ على بقاء الفواصل الأخلاقية أو العنصرية يصبح أمرا بالغ الصعوبة ، وان التغير يؤدى الى اختفاء أدوار وانخفاض أهمية أدوار أخرى فى مقابل أدوار جديدة •

وان كان الناس فى المجتمع يتصرفون فى حدود قواعد وقيم ومعايير معيشية الا ان هـــذه الحدود عرضـــة للتغير والتبديل تبعـــا للظروف

(٤٣) Parsons T : Structure Process in Modern Socie-ties. The Free Press of Glencoe , U. S. A, 1960 p. 20.

والملابسات التى يمر فيها البناء الاجتماعى وفى كثير من الاحيان فانها تتغير وتتبدل اذا ما أظهرت الاهداف استحالة تلبيتها .

ومن الملاحظ أن النظم الاجتماعية المختلفة بما تحوية من شرائع دينية وقوانين وضعية وما يقتضيه المجتمع وتقاليده التى تربط علاقات الأفراد وتحددها فى كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية تتبدل وتتغير وتتطور ويتبع ذلك عدم تناسقها أحيانا مما يؤدى الى تخلف بعضها بالنسبة للبعض الآخر فاختلاف نظام ما من نظم المجتمع يتطلب تغير غيره من النظم حتى يتم التوافق والتناسق بينها جميعا كما أن وجود اتجاهات جديدة فى المجتمع يتطلب ضرورة تكييف النظم الاجتماعية مع هذه الاتجاهات الجديدة ذلك لأن عدم تكييف النظم مع بعضها يؤدى الى أوضاع واتجاهات جديدة تؤدى بدورها الى ضروب الانحلال الفردى والجماعى على السواء ويختلف هذا الانحلال طبقا لطبيعة التغير الذى يطرأ على المجتمع ومداه ، وقد تظهر آثاره فى انكار نمط من الانماط الاجتماعية أو نظام من النظم التى يقوم عليها المجتمع أو قيمة من قيم المجتمع الأخلاقية مما تسرى موجة من المظاهر الانحلالية البنائية فى العلاقات الوظيفية فى المجتمع ، فلكل فرد من المجتمع وضع اجتماعى نوعى خاص به بحيث ان الواحد لا يحل محل الآخر والوحدات الاجتماعية التى يتألف منها المجتمع لا يمكن ان تحل واحدة منها محل الأخرى ، لأن لكل فرد فى كل وحدة مركزة ودوره الاجتماعى ووظيفته التى ترتبط ارتباطا تكامليا بالجماعة أو المجتمع (٤٤) . فحدوث تفكك وانحلال فى العلاقات والترابطات البنائية يؤدى الى خلق عناصر التفرقة والخلاف مما يخلق مظاهر مختلفة للصراع تهدد الترابطات البنائية والوظيفية فى المجتمع بالانهيار .

---

(٤٤) د. احمد الخشاب : العلاقات الاجتماعية ، مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الأولى ، ١٩٥٧ ص ٦٦ .

ويرى بارسونز أن نظرية العمل الاجتماعى تتكون من أجنحة ثلاثة هى نسق الثقافة والنسق الاجتماعية ونسق الشخصية وهو يؤكد هنا على أن الوضعية فعلت فى تفكير دوكايم الجانب الذى يقف منه دوركايم موقفا ايجابيا تطوريا بأن حافظ دائما على أهمية مفهوم الاتفاق العام والتماسك ونتفق مع تالكوت بارسونز على أن الحقيقة المؤكدة ان قضية التغير ليست جزءا منفصلا عن تنظيره السوسيولوجى وان على البنائيين الوظيفيين من بعده ان يطوروا نظرية عن التغير الاجتماعى • ولعلى استطيع بعد ذلك تفسير تجاهل بارسونز دراسة مشكلتى الصراع والتغير فى ضوء اتجاهه الوظيفى بصفة عامة ، فبوصفة وظيفيا كان اهتمامه بدراسة نتائج الفعل أكثر من اهتمامه بدراسة أسبابه ومصادره • والمجتمع عنده يمر بحالات من التوازن واللاتوازن وفى كل حالة من حالات عدم التوازن يعمل تلقائيا على اعادة التوازن حيث يأخذ المجتمع فى وضع مجموعة من الترتيبات والتنظيمات والبرامج اذا ما أصيبت باضطراب فى أى نسق من أنساقه لمواجهة التفكك والانحلال الذى أصاب هذا النسق • وهكذا حتى يعود اليه توازنه المطلوب ومن هنا تقوم عملية الانماء الاجتماعى على أساس من اعادة التوازن •

والواقع ان نظرية التوازن لا يمكن أن تتحقق فى المجتمع الحديث حيث تتعدد الهيئات والوظائف وحيث انتقال كثير من المجتمعات من مجرد التضامن الميكانيكى الآلى Mechanical Solidarity الى مجتمعات يسودها استقلال الهيئات والطوائف وتوزيع الأعمال والى المنافسة بين الأفراد مما يدفعهم الى الابتكار والتجديد ويخلق فيهم معنى الذاتية الاجتماعية •

(ب) الموقف النظرى والمنهجى لتصور بارسونز للتغير :

اذا كان ماركس ينظر الى المادية التاريخية على أنها ذلك الجانب من الماركسية الذى يمثل نظرية سسيولوجية ومنهج حى فى

تحليل الواقع الاجتماعى المتغير دائما [٤٥] . الا انه عندما اخـذت أفكار بارسونز تنتشر فى أقسام علم الاجتماع كبناء لنظرية فريدة فى علم الاجتماع الغربى أخذ مفهوم النسق الاجتماعى صفة جوهرية فيها كأداة تصورية لفهم الواقع الاجتماعى يؤكد على حالة التوازن داخله [٤٦] ولم يكن انتشار هذه الاتجاهات النظرية المـادية التاريخية عند ماركس والوظيفة البنائية عند بارسونز ، راجعا الى الصدفة وانما الى ارتباط كل منها بحركة ثقافية فكرية معينة دون غيرها اذ ارتبط الاتجاه الأول منذ البداية بالحركة الثقافية والفكرية التى عملت من أجل الجماعات المناضـلة والجماعات الدنيـا التى كانت بطبيعتهـا ثائرة على المجتمع البورجوازى الذى رفضهم ، اما الاتجاه الثانى فقد ارتبط بالفكـر الاكاديمى فى الجامعات ليرى الذين كانوا يعملون على تدعيم الطبقة الوسطى والذين انحصر نشاطهم فى الاصلاح دون الثورة [٤٧] .

ونخلص من ذلك بأن بارسونز أقام نظريته فى التغير الاجتماعى على أساس العلاقة بين الوظائف والتركيب الاجتماعى والعمليات التى يتم بها الخلط بين مكونات النسق وأكد على ان التغير يحدث فى بعض أفراد المجتمع كما يحدث تغيرات كلية فى المجتمع بأسره [٤٨] . ويذهب الى أن العمليـة المتطورية هى فى حقيقتها زيادة أو تدعيم القـدرة التكيفية للمجتمع ، وان العملية التطورية تنشأ من داخل عملية الانتشار الثقافى

---

(٤٥) Gouldner Aluin : The Coming Crises of Western Sociology Heineman , New Delhi 1971, p. 111.

(٤٦) Konstantinov F,& V. kelle :Historical Materialism Marxist Sociology in p. Hollander American & Soviets Sociology edtd , Prentic Hall . Inc , New Jersey 1964. p. 515.

(٤٧) Friedricks R; W : A Sociology of Sociology The Free Press, New York , 1970 . pp. 12 - 14.

(٤٨) Parsons, T : The Structure of Social Action, op. cit . p. 686.

أو من خلالها ، اما المكونات الأساسية فهى فى نظرية بارسونز عمليـــة التكامل والتباين فى داخل نطاق النسق القيمى (٤٩) •

فالنظرية التى نادى بها بارسونز يجب على حد قوله ان تكون بنائية وظيفية وان تالكوت بارسونز فى تفكيره كان وضعيا يؤمن بمبدأ التخصص العلمى وبالتصنيفات وصياغة المفاهيم والتقسيمات على نحـــو ما فعل أوجست كونت رائد الوضعية الأول • ان بارسونز ينظر الى المجتمع الصناعى على انه بناء لم يكتمل بعد وغاية اكتماله هو تحقيق درجة قصوى من تقسيم العمل ويرى ان كل تقدم تكنولوجى يؤدى الى زيادة التخصص وتقسيم العمل ، وتتباين الوظائف من اجل تبـــادل نتائجها (٥٠) • ومن ثم يؤكد بارسونز على أنه اذا كانت هناك أية صراعات أو انحرافات فهى دلالة على أن البناء الحالى لم يكتمل بعد لوجود بعض الثغرات فى تنظيمه وان اكتماله سوف يؤدى الى الغاء هذه الصراعات بسد هذه الثغرات عن طريق تواجد ناموس أخلاقى جديد وملائم لحالة المجتمع الصناعى بما فيها من تحديدات صناعية أو تكنولوجية •

كما أن نظرية بارسونز فى النسق الاجتماعى لها أربعة أطر تصورية أساسية هى اطار الفعل الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية والجمـــاعات والأشخاص الاجتماعيون ورغم احتواء هذه النظرية على ذلك الاطـــار فانه اعتبر الفعل الاجتماعى أهم عناصر النسق الاجتماعى ولعل ذلك يمثل رد فعل منه نحو الوضعية الواسعة ، والسلوكية الضيقة لانهما حللا النسق الاجتماعى من خلال اطار مرجعى يعتمد أساسا على الفاعل لا على الفعل الاجتماعى والذى اعتبره سلوكا رمزيا للأفراد ويحتوى على اتجاهات ذات دلالة موجهة الى اتجاهات وافعال الأعضاء الآخرين

---

(٤٩) Parsons T : Societies Evolutionary & Comparative Perspective Printic Hall , 1960 pp 290 - 300 .

(٥٠) Gouldner , A : The Coming Crises of Western Sociology Hineman New Delhi 1971 p. 159.

فى النسق فالاطار التصورى للفعل لدى بارسونز تعتمد مفهوماته اذن على تحديد وحدة الفعل الذى يتضمن فاعلا Acter ، غاية End وموقفا Situation يتألف من عناصر يكون الفاعل محكوما بها من خلال اتجاه معيارى للفعل (٥١) •

وقد سعى بارسونز فى سياق اهتمامه بتحليل مظاهر التغير بصياغة نموذجية التصورى لمتغيرات النمط الخمسة المتمثلة فى الوجدانية مقابل الحياد الوجدانى ، والتوجيه الذاتى مقابل التوجيه الجمعى والمصلحة الذاتية مقابل المصلحة العامة والأداء مقابل النوعية والتخصص مقابل الانتشار (٥٢) •

وقد اهتم بارسونز بتغير النسق الاجتماعى كما اهتم به كثير من المفكرين وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا حيث تناولوا التغير الاجتماعى بالتحليل والتشريح من حيث ماهيته وأسبابه ومحتوياته ونتائجه ، وقد عرفوا التغير بأن العملية التى تتغير بواسطتها نظرة المجتمع الحالى فى النواحى السياسية والاجتماعية والمادية فى شكل الى آخر • فكل نسق يعتمد على ظروف مهنية ، فاذا تغيرت هذه الظروف تغير النسق لذلك كان التغير الاجتماعى فى واقع الأمر استجابة لظروف متغيرة كما ان كل تغير فى علاقة الانسان مع البيئة يعنى بالضرورة بعض التغير فى علاقاته باقرانه ، لأن العلاقات التى كانت قائمة فى حالة مرضية من التوازن بين الأفراد والجماعات كانت تمثل اتجاها معينا لهذه العلاقات المتبادلة ، وكلما تغير الاتجاه تغيرت صورة التوازن • فالتجديدات الاساسية التى تتمثل فى اطار الحياة الاجتماعية والثقافية على أى مستوى من درجات الاجتماع الانسانى سوف تصيب النظام الاجتماعى

---

(٥١) Boskoff , A : The Systematic Sociology of Talcot Parsons in S. F. Vol . 28 No 4 1950 pp. 339 - 400.

(٥٢) Parsons T , & Edward Shills Toward A General Theory of Action, Cambridge Harvard University Press 1967 p. 77.

القائم بالاضطراب كما تصبب مواقفة مع الجوانب الأخرى التى يتكون منها المجتمع أو الجماعة • وهذا الاضطراب فى حد ذاته عبارة عن اختلال التوازن الذى يجعل أى نظام متوازن غير قادر على تأدية وظائفه الاجتماعية ، ولهذا فان الاختلال يؤدى الى سلسلة من التغيرات التوافقية ، ويمثل هذا التسلسل التدريجى فى الحراك الاجتماعى الناتج من التفاعل الاجتماعى المتبادل بين الأفراد والجماعات يمكن ان يفسر التغير الاجتماعى •

وبقدر ما تأثر بارسونز بفكر من سبقوه من الوظيفيين تركت افكاره تأثيرات كبيرة على المنظرين والامبيريقين السسيولوجيين الذين تناولوا ظاهرة التغير بالتحليل النظرى والامبيريقى •

* * *

٣ — روبرت ميرتون

(أ) مفاهيم وقضايا أساسية :

يعتبر ميرتون من أبرز الوظيفيين الذين اسهموا فى نظريات الفعل الاجتماعى وفى التكامل والمنهج الوظيفى وتتمثل الأصول الفكرية التى استمد منها اتجاهه الوظيفى فى تراث من الأنثروبولوجين أمثال راد كليف براون ومالينوفسكى وكليد كلوكهون وبالرغم من محاولاته الواضحة فى دراسة الوظيفة الاجتماعية وتحليل البناء الاجتماعى اذ ان بعض الباحثين يرون ان غالبية اهتماماته وأنشطته كانت تدور حول التحليل النظرى Theoretical Analysis ولذلك يشيرون الى انه من الصعوبة تحديد معالم نسق نظرى متكامل لأفكاره وكتاباته لانه كرس جهده للبحث فى النظريات [٥٣] وقد دعا ميرتون الى قيام الالتقاء

---

(٥٣) Gitter, J : Review of Sociology New York, John Willey & Sons, Inc 1957 pp. 17 - 18.

بين النظرية والبحث التجريبي فهو يؤكد على ضرورة وجود نوع من الاسهام الوظيفى المتبادل بين البحث الامبيريقى المرتبط بتغيرات الواقع ومعطياته وبين النظرية كمنظور من خلاله يدرك البحث الامبيريقى المتغير الأكثر أثرا والأكثر استراتيجية (٥٤) •

واتخذ ميرتون النظرية الوظيفية البنائية كاطار فكرى له فهو يرى أن التحليل الوظيفى هو المدخل الأكثر ملاءمة بالنسـبة لقضايا التغير الاجتماعى ودعا الى الاهتمام بدراسة التغير وطرح مفهوم الوظائف المعوقة ليشير الى تلك النتائج التى يمكن ملاحظتها والتى تحد من تكييف النسق أو توافقه ، وهو يقول ان مفهوم المعوقات الوظيفية بما يتضمنه من ضغط وتؤثر على المستوى البنائى بمثل أداة تحليلة هامة لفهم ودراسة الدينامية والتغير (٥٥) • ومفهوم الوظيفة عند ميرتون يعنى ان الوظيفة الاجتماعية أى الأداء الوظيفى الذى تؤديه وحده ما تشير الى تلك المتتاليات الموضوعية القابلة للملاحظة وليس الى الاستعدادات الذاتية كالأهداف والدوافع والأغراض (٥٦) واذا كان اهتمامه بالوظيفة يعتبر من أبرز اهتماماته فقد بحث الوظيفة الاجتماعية عن طريق التميز بين خمسة أنواع من الاستخدامات لمعناها الأساسى • وعن التحليل الوظيفى يقول ميرتون أنه لا يتضمن أى التزام ايدولوجى جوهرى فيه • ومن ثم يرى ضرورة استخدام فئات محدودة فى التحليل مثل الادوار والعمليات الاجتماعية والفئات الثقافية والمعايير وتنظيم الجماعة من خلال مفهوم دوافع الأفراد فى الانساق الاجتماعية ، وقد ترتب على ذلك تمييزه بين النتائج الذاتية والموضوعية ، ذلك التمييز الذى مهد الى مفهومى الوظيفة

---

(٥٤) Merton . K. R : Social Theory and Social Structure N. Y, The Free Press of Glencoe 1962 pp. 86 - 89.

(٥٥) Merton K. R : Social Theory and Social Structure N. Y. The Free Press of Glencoe , 1962 p. 52.

(٥٦) Ibid : P. 23.

الظاهرة والكامنة والذى يرتكز على الدوافع الشعورية للسلوك الاجتماعى وبين نتائجه أو متتالياته الموضوعية بالنسبة لوحدة محدودة والتى تسهم فى تكيفهـا وتوافقهـا واما الوظيفـة الباطنية فتشـير الى النتـائج أو المتتاليات غير المقصودة وغير المتوقعة •

ونعنى بالوظيفة الظاهرة النتائج الموضوعية التى تضاف الى تكييف وتوافق النسق الاجتماعى والتى تكون نتائج مقصودة ومعروفة بين المشتركين فى ذلك النسق اما الوظيفة الكامنة فيقصد بها النتائج غير المقصودة وغير المعروفة ولقد ميز ميرتون فى تحليلة للوظيفة الاجتماعية بين نوعين من آثارها احدهما معوق للنسق والثانى يساعد النسق فى تحقيق أهدافه (٥٧) •

وبذلك تمثل الوظيفـة الاجتمـاعية عند ميرتون الأداء الوظيفى لوحدة ما • وقد عرض فى كتابه النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعى تحليلات من وجهة نظر وظيفته احدهما تتبنى ايدولوجية تقدميـة ثم يحلل نفس هذه المعطيات بنفس وجهة النظر الوظيفية التى تؤكد على التوازن والتكامل •

وهو يذهب الى ان البناء الاجتماعى بقدر ما هو محتاج الى التكامل والاستقرار يحتاج ايضا الى الاستمرار الذى لن يتحقق الا بالتكيف والظروف المحيطة التى قد تتغير خارج بناء النسق • ويحتاج الى الأداء الوظيفى الميسر الذى يتجه أساسا لدعم ما هو قائم ليوفر استقراره لكى يتمكن النسق من أداء وظائفه وعملياته الأخرى • ويحتاج الى الأداء الوظيفى المعوق لأنه فى هذا المفهوم تكمن طاقته وامكانياته على التغير والتطور والنمو • ويعرف الوظيفة الميسرة بانها تلك المتتاليات الملاحظة التى تمهد

(٥٧) Martindale D:The Nature and Types of Sociological Theory Routledge & Kegan Paul . First Published. 1961 pp. 471 — 475.

لتكييف النسق وتوافقه [٥٨] • فالوظائف المعوقة تفكك من النسق لكى توفر تبعثر الوحدات لحدوث التغير ويحدث ذلك عندما يعانى البناء من توترات أو ضغوط بنائية نتيجة لقصور فى الأداء الوظيفى ويقول ميرتون ان كل وحدة لابد وان تكون ذات وظيفة ايجابية لنسق وهذه هى النزعة الوظيفية الشاملة ، اما اللزومية أو الضرورية التى جلبت على التحليل الوظيفى بعض الاتهامات ووضحها ميرتون لى ان اللزومية تحتوى على صفتين أساسيتين حيث تفرض أولها أن هنـــاك وظائف معينة ضرورية حتى أنها اذا لم تنجز فان المجتمع قد لا يستمر فى البقاء أما القضية الثانية تفترض اشكالا اجتماعية أو ثقافية ضرورية وهامة •

فالبناء الاجتمـــاعى محتاج الى التكـــامل والاستقرار وأيضـــا الاستمرار ، فالاستمرار لا يتحقق الا بالتكيف والظروف الحياتيـــة المحيطة والتى قد تتغير خارج بناء النسق ويحتاج بذلك الى الأداء الوظيفى الذى يتجه لدعم تكامل ما هو قائم ليتمكن النسق من انجازه لوظائفه وعمليات أخرى • وأما فيما يتعلق بنظريته فى القيم فانه يرى ان القيم ظاهرة اجتماعية ثقافية تربط اجزاء البناء الاجتماعى ســـويا وتساعد فى حفظ السلوك والامتثال لقواعد النظام العام • وبصدد مصدر القيم قد حدد ميرتون بالبناء الثقافى لأنه أشار الى أن هذه القيم عبارة عن مركب يشتمل على الاهداف المحددة عن طريق البناء الثقافى ويشتمل أيضا على الوسائل التى يسمح بها البناء الاجتمـــاعى لتحقيق هـــذه الاهداف [٥٩] •

وبهذا التصور المتكامل لتغير النسق يعطينا ميرتون مثالا تحليليا من خلال تحليله للتغير الاجتماعى وبذلك يطرح ميرتون وجهة نظر فى

---

(٥٨) Merton K. R : Social Theory and Social Structure, Op . cit p. 52.

(٥٩) Whitaker , Jan : The Natare and Value of Functionalism in Sociology in Functionalism in Social Science ed. By Don Martindale Philadelphia , February, 1965 pp. 127 - 140.

التغير الاجتماعى لأنه كان يهدف الى صياغة تصوره أساسا بقضايا النسق الاجتماعى • ومن ثم يقترح ميرتون فى بنائية النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعى خمسة أشكال للتكيف السلوكى فى ضوء التناقض بين المعايير والاهداف الثقافية وذلك على النحو زالتالى :

أشكال التكيف السلوكى (٦٠)

أسلوب التكييف	الاهداف الثقافية	المعايير المنتظمة
المجـــاراة	+	+
التجديد والابتكار	+	--
الطقوسيـــة	—	+
الانسحـــاب	—	—
التمرد والثورة	+	+

ولفحص وتحليل كيفية عمل البناء الاجتماعي بالنسبة لفرض الضغوط على الأفراد فيما يتعلق بأى من تلك الأنماط البديلة للسلوك ، نستهل ذلك بملاحظة مؤداها ان الاشخاص يتحولون من بديل لآخر على النحو الذى يشتركون به فى مجالات الأنشطة الاجتماعية المختلفة (٦١) •

المجـــاراة : Conformity :

وهى نموذج التكيف الذى تكون فيـــه الاهداف الثقافية وثيقـــة الارتباط بالوسائل الموضوعة لانجازها • وهنا يتميز الاشخاص والجماعات بأسلوب التكيف وليسوا مهيئين للتغير بسهولة • ومع أنهم ليسوا أكثر

(٦٠) Merton, R : Social Theory and Social Structute. Glenco III Free Press, 1949 . p. 140.

(٦١) د. السيد شتا : الاغتراب الاجتماعى فى ضوء نظرية التكامل المنهجى ، آداب القاهرة سنة ١٩٧٤ ص ١٠٠ •

أعضاء المجتمع قوة واتجاها الا أنهم يمثلون العناصر المحافظة والمستقرة • ومن ثم يقرر ميرتون انه بالقدر الذى يكون فيه المجتمع مستقرا يسوده نمط المجاراة لكل من الاهداف الثقافية والوسائل المنتظمة • وعندما لا يتم ذلك يكون المجتمع عرضة للتغير وغير مستقر (٦٢) • ومن ثم يركز ميرتون اهتمامه حول مصادر الانحراف وانماط الاستجابة المنحرفة التى تعمل على تغير المجتمع كما هو الحال بالنسبة لنمط الابتكار والتجديد الطقوسية والانسحابية والتمرد والثورة •

الابتكار والتجديد Innovation :

يتمثل هذا النوع من السلوك فى مجاراة الاهداف المحددة ثقافيا مع الخروج على الوسائل المنتظمة • والمنحرفون هنا يستنبطون وسائل جديدة لانتهاك المعايير أو يعملون على استخدام الوسائل المنحرفة استخداما نافعا وبذلك يتمثل هذا النمط من الانحراف فى الخروج وعدم المجاراة للوسائل المحددة ثقافيا للاهداف وبذلك يكون التفكير فى البناء الاجتماعى من خلال الوسائل المتكررة والتى قد تكون غير مشروعة ثقافيا (٦٣) • والجدير بالذكر من هذا الشأن ان انحراف التجديد والابتكار ليست جميعا معوقة للمجتمع اذ قد يشكل بعضها أساسا أفضل للنظم الجديدة أكثر منها للنظم القديمة • وذلك لأن بعض الانحرافات عن المعايير الدارجة يحتمل ان تكون ذات اداء وظيفى لاهداف الجماعة الاساسية •

الطقوسية Ritualism :

وهنا يجارى الأفراد الوسائل المنتظمة ولكنهم يفشلون فى السعى من أجل الاهداف المقررة وهم يكونون هنا متحررين من ضغط الاهداف

---

(٦٢) المصدر السابق ص ١٠٠ .

(٦٣) Clinard Marshall : Anomie and Deviant Behavior New York . The Free . Pres. 1969 p. 19.

ومن ثم يتسم سلوكهم بالانحراف نظرا لتوقع مقاومتهم عند مستويات معينة بالنسبة للاهداف المقررة ويسمى ميرتون هذا النمط من الانحراف بالطقوسية حيث يكون الأفراد شديدى التدقيق فى مراعاة الروتين (٦٤) • وعندما تصطدم طقوسية فئة مهنية بطقوسية فئة مهنية أخرى يؤدى ذلك الى عرقلة مؤسسات المجتمع وتبدلها •

الانسحابيــة Ritreatism :

يتمثل هذا النمط من الانحراف من هجر المنسحب لكل من الاهداف الثقافية والوسائل المنتظمة لبلوغ هذه الاهداف كما أنه يفشل لحـد كبير من تحقيق نموذج التكييف الاجتماعى كما انه لا يبذل أية جهود لسد تلك الهوة بالوسائل الملائمة أو غير الملائمة ، اذ أن الفرد عندما يجد نفسه فى حالة احباط لا يتخلى عن أهداف النجـاح ولكن يتكيف بدلا منهـا مع ميكـانزمات الهروب وذلك يتمثـل فى حالات الانهزاميـة • والهروب بالتصوف ، والانسحاب من أنشطة التكييف ومن بين هؤلاء المنسحبين توجد فئات مدمنى الكحول والمخدرات ، والهامشيين والمطروبين (٦٥) • والبناء الاجتماعى فى هذه الحالة يكون أكثر عرضة للتغير من حالات التكييف المنحرفة الأخرى •

التمرد والثورة Rebellion :

يختلف هذا النمط من الانحراف عن الانماط الأخرى بشكل واضح فى احداث التغير فى البناء الاجتمـاعى وذلك لأنه يمثل الاسـتجابة الباحثة عن أهداف ووسـائل جديدة تكون مشتركة لأعضـاء الجماعة أو المجتمع وهو بهذا يشير لجهود تغير البناء الاجتماعى والثقافى الكائن اكثر من جهود التكيف داخل هذا البناء وذلك لأن الناس هنا يبحثون

---

(٦٤) Merton, R : op . cit . p. 185.

(٦٥) Clinatd : op . Cit p. 21.

عن بناء آخر جديد (٦٦) • ومن ثم فهو يستهدف تعديلا كبيرا للبنـــاء الاجتماعى نظرا لاغترابهم عن الاهداف والمعايير السائدة كما هو الحال بالنسبة لحركات التمرد والثورة التى تهدف تقويم البناء الاجتمــاعى الجديد فى أهدافه ومعاييره (٦٧) •

(ب) الموقف النظرى والمنهجى لتصور ميرتون للتغير :

بقدر ما تأثر ميرتون بالرواد الوظيفيين الذين سبقوه أثر ميرتون تأثيرا بالغا على السوسيولوجيين الذين اهتموا بقضايا التغير • فقد تأثر ميرتون بوضوح بالتحليل الوظيفى من الأنثروبولوجيين امثال راد كليف براون ومالينوفسكى وكلوكهن • من ثم يتخذ ميرتون من الذين مثالا قد يعمل على تكامل المجتمع بعض الاحيان وقد يعمل على انهيار هذا التكامل فى أحيان أخرى وان كل الأشكال تتخذ شيئا ماديا أو فكرة أو عقيدة وظيفية اذ يكون لها عمل عليهــا أن تنجزه فتصبح جزءا ضروريا داخل الكل المتفاعل • وان كان ميرتون قد تأثر بفكر ماكس فيبر فيما يتعلق بمفهوم الوظيفة الاجتماعية فقد كان واعيا بما يؤكد مارتندال من أن التحليل الوظيفى والمدخل الأكثر فائدة أو على الأقل الأكثر احكاما من حيث امكانية تقنينه من بين الاتجاهات المعاصرة بالنسبة لقضايا التغير • ومن ثم ذهب ميرتون الى أن الدين مثلا قد يعمل على تكامل المجتمع فى بعض الاحيان وقد يعمل على انهيار هذا التكامل فى احيان أخرى • ويؤمن ميرتون ان الوحدة يمكن ان تكون ذات اداة وظيفى معوق أو ذات اداء وظيفى ميسر •

وفيما يتعلق بقضية التغير الاجتماعى نجد ان ميرتون قد صاغ تصوره البنائى الوظيفى بصورة تجعله أكثر ملاءمة لتناول التغير وذلك

---

(٦٦) Merton, R : Social Theory and SocialStructure. op. cit. pp. 140 - 141.

(٦٧) Merton, R : Social Structure Anomie op . cit. pp. 177 - 178.

على أساس الربط بين الاستخلاصات المقارنة من التحليل الوظيفى بالنسبة لقضية التغير وذلك على النحو التالى :

أولا : ان التحليل الوظيفى فى اشكاله المحددة ينظر اليها بنوع من الشك بواسطة هؤلاء الذين يعتبرون البناء الاجتماعى القائم ثابت أبدا وبعيدا عن التغير ، حيث لا يحتوى الشكل الأكثر دقة للتحليل الوظيفى على دراسة وظائف البناءات الاجتماعية الموجودة فقط ، ولكن يحتوى أيضا على دراسة وظائفه المعوقة بالنسبة للأفراد المختلفى الاماكن أو الجماعات الفرعية والشرائح الاجتماعية وبالنسبة للمجتمع الأكثر شمولا فهو يفترض أساسا انه حينما يكون نتائج التوازن الدقيق لجميع نتائج أو متواليات البناء الاجتماعى القائم معوقا وظيفيا فانه لابد وان يظهر ضغط قوى نحو التغير اذ انه عند نقطة معينة سوف يؤدى هــذا الضغط حتما الى اتجاهات للتغير الاجتماعى محــددة فعلا بدرجــة أكثر أو أقل .

ثانيا : يؤكد انه بالرغم من أن التحليل الوظيفى ركز غالبا على ثبات واستقرار البناء الاجتماعى بدلا من التركيز على الدينامية والتغــير الاجتماعى الا ان هذا يشكل جوهر نسق التحليل اذ ان التركيز على الوظائف المعوقة مثل التركيز على الوظائف الميسرة . ويمكن لأسلوب التحليل هذا ان يحدد ليس فقط أسس الاستقراء الاجتماعى ولكن أيضا المصادر الأساسية للتغير الاجتماعى فعبارة الأشــكال المتطورة تاريخيا قد يكون مفيدة للتعرف على أن البناءات الاجتماعية تخضع لتغير محسوس ويبقى علينا أن نكتشف الضغوط التى تؤدى الى صياغة نماذج التغير المختلفة والى الحد الذى يركز فيه التحليل الوظيفى على العواقب أو النتائج الوظيفية انه يميل نحو ايدولوجية بالغة فى المحافظة والى المدى الذى يركز فيه كلية على النتائج المعوقة وظيفيا . فانه يميــل نحو يوتبيا رادبكالية مبالغ فيها وفى جوهره فان التحليــل الوظيفى لا هــذا ولا ذاك .

ثالثا : ان التوترات والضغوط فى البناء الاجتماعى تلك التى تتراكم على أنها نتائج معوقة وظيفيا للعناصر الكائنة وذلك قد يقود على المدى الطويل نحو الانهيار النظامى ومن ثم الى تغير اجتماعى أساسى ، وحينما يستمر هذا التغير الاجتماعى الى نقطة معينة ليس من السهل السيطرة عليها فانه من المعتاد ان تؤكد ان نسقا اجتماعيا جديدا قد ظهر .

رابعا : ليس التغير وحده ولا الثبات وحده هو الموضوع الملائم للدراسة التى يمر بها المحلل الوظيفى فكما يوضح مسار التاريخ نجد انه من الواضح ان كل البناءات الاجتماعية الكبيرة قد عدلت تراكميا ، وفى كل حالة فانها لم تكن ثابتة ابدا ولا تسلم للتغير ولكن فى نفس الوقت فان أى بناء اجتماعى يجب أن يكون جيد التكييف بالنسبة لكل من القيم الذاتية لمعظم الأفراد وللظروف الموضوعية التى قد يواجه بهـا وحينما تنقطع الصلة بين البناء الاجتماعى وحاجات الأفراد أو مع الظروف الثابتة للفعل فان ذلك يجب أن يوضح وهنا يؤكد ميرتون ان من يلتزم بأقل من ذلك يصـبح لا شىء على الاطلاق (٦٨) . وبذلك كان لتصـور ميرتون المتعلق بالتغير الاجتماعى آثاره البعيدة على المنظرين والمنهجين السيسولوجيين الذين تناولوا التغير الاجتماعى .

ومن تحليل القضايا المتعلقة بالتغير فى النماذج التصورية للرواد الوظيفيين يتبين لنا وضوح الاتجاه العام لتحليل ظاهرة التغير من حيث مصادرة والعوامل الداعية اليه والمنهج فى تحليلها وان كان الرواد الأوائل قد اختلفوا احيانا فى مداخلهم لمعالجة ظاهرة التغير فانهم يلتقون احيانا أخرى حول الاطار العام للظاهرة من حيث العوامل ، والمنهج المفضـل فى عملية تحليل الظاهرة .

فنجد مثلا هربورت سبنسر يذهب الى أن التغيرات الجزئية تؤدى

(٦٨) Merton, R : Social Theory and Social Structure, The Free Press, New York , 1961 pp. 40 - 41.

لمتغيرات كلية ويركز على الجوانب البيولوجية المؤدية كمصدر للتغير ويعتبر التغير من الفئة الخارجية عاملا فعالا فى احداث التغير • أما دوركايم فيؤكد أن التغير من الداخل ويعتبر العامل السكانى فعالا فى التغير ، ويهتم بالمنهج المقارن فى تحليل التغير • ثم يأتى تناول مالينوفسكى فيعتبر التغير من الخارج أساسا من ثقافات خارجية ويتخذ النسق آنذاك مدخله لتحليل التغير فى حين ان راد كليف براون يؤكد أن مصدر التغير داخلى وخارجى ويهتم بتعدد العوامل مع التركيز على العامل الدينى ، وان كان قد أهمل فاعلية العوامل الاقتصادية فى احداث التغير فذلك يرجع لطبيعة موقفه من الفكر الماركسى •

أما عن الرواد الوظيفيين المعاصرين فنجد أنهم كانوا أكثر اهتماما من الرواد الأوائل لصياغة نسق تصورى يكون بمثابة أداة تصورية لتحليل الظاهرة فجاء بارسونز بتصوره لمتغيرات النمط الخمس كأدوات تصورية لتحلل مظاهر التغير • وأكد على مصادر ثلاثة للتغير تتمثل فى الانساق الثقافية والاجتماعية والشخصية واعتبر الشخصية والثقافة مصادر خارجية اما التوازنات التى تتم فى البناء الاجتماعى فهى تغيرات داخلية • وأما ميرتون فقد صاغ نموذجه المتعلق بانماط التكييف السلوكى المنحرف وحدد درجة اسهام كل منها فى عملية تغير المجتمع فى ذلك على التناقض بين المعايير وبين الاهداف الثقافية للنسق الاجتماعى • ومن ثم يتبين مدى اسهام هؤلاء الرواد الأوائل والمعاصرين منهم فى تعيين القضايا الأساسية المتعلقة بالتغير من خلال تحديدهم للاسس النظرية لدراسة التغير الاجتماعى على النحو التالى :

(أ) ينبغى النظر الى المجتمع نظرة كلية باعتباره نسقا يحتوى مجموعة من الاجزاء المترابطة •

(ب) هناك تأثير متبادل بين العوامل الاجتماعية بعضها فى البعض الآخر فهى مترابطة ومتشابكة •

(جـ) ان الانســاق الاجتماعية تخضع دائمــا لحالة من التوازن الدينامى على الرغم من أن التكامل فى المجتمع لا يكون متكاملا على الاطلاق ولهذا يتجه النسق نحو الاستمرار والقدرة على الاستمرار •

(د) ان التغير يحدث بصفة عامة بصورة تدريجية تلاؤمية أكثر مما يحدث بصورة ثورية مفاجئة ، اما التغيرات التى تبدو خطيرة واضحة فانها تؤثر فى البناءات الاجتماعية الشاملة بينما لا تصيب هذه التغيرات العناصر الأساسية للانسان بتغير يذكر •

وهذه الأسس تشكل فى جملتها الصياغة التصورية للنظرية البنائية الوظيفية فهى بمثابة المتغيرات الرئيسية التى يجب أن يركز عليها أى تناول للتغير من منظور النسق الوظيفى حيث يتم تناول وحدات هــذا البناء كمتغيرات ثابتة ثم الظروف التى قد تستوجب اثارة تغيرات معينة والتى قد تسهم وظيفيا فى عملية تغير البناء الاجتماعى أو احد عناصره وان كان الفكر السوسيولوجى يطرح عادة تقسيمات معينة للمتغيرات على انها متغيرات مستقلة أو تابعة أو وسيطة الا ان قضية الربط بين الجوانب البنائية والوظيفية فى دراسة التغير أصبحت من أهم القضايا المنهجية فى النظرية البنائية الوظيفية عند دراسة الظاهرة الاجتماعية وتعين هــذه الأسس النظرية لدراسة التغير الاجتماعى فى ضوء النظرية الوظيفية سوف يساعدنا فى عملية صياغة الأسس المنهجية لدراســة التغــير الاجتماعى فى ضوء النظرية الوظيفية فى الفصل التالى •

* * *

الفصل الخامس

الأسس النظرية والمنهجية للتغير الاجتماعى

فى ضوء النظرية الوظيفية الاجتماعية

يأخذ التحليل الاجتماعى للتغير صورا وابعادا متباينة • وهـذا التباين يرجع لاختلاف الأسس المنطقية والمنهجية التى تستند اليهـا عملية التحليل والتى تختلف بدورها تبعا للمدارس الفكرية والتصور السـ يولوجى الذى تستند اليه فى فهم ظاهرة التغير والعملية الاجتماعية التى تفضى اليها • والواقع أن هذا التمايز واضح فيما نسميه بالتحليل الاجتماعى الكلاسيكى للتغير • حيث تستند كل من النظرية الجدليـة والنظرية الوظيفية على أسس نظرية ومنهجية متمايزة فى التحليـل الاجتماعى للتغير • والواقع ان هذا التمايز يرجع فى أساسه لطبيعـة البناء الايديولوجى وموقفه من النظام القائم • ومن ثم اختلف كل من الاتجاهين فى تشخيص العناصر الأساسية التى تعين مفهوم التغير الاجتماعى ومصادره والأسس النظرية والمنهجية التى تحدد مسـار عملية التحليلّ الاجتماعى للتغير • ومن ثم نسير فى تحليلنـا للأسس النظرية والمنهجية لدراسة التغير فى ضوء النظرية الوظيفية وتحديد فروض الدراسة فى المسالك الآتية :

أولا : المفاهيم الأسـاسية المرتبطة بدراسة التغير فى ضـوء النظرية الوظيفية •

ثانيـا : الأسس النظرية لدراسـة التغير الاجتماعى فى ضوء النظـرية الوظيفيية •

ثالثا : الأسس المنهجية لدراسة التغير الاجتمـاعى فى ضوء النظـرية الوظيفيية •

رابعا : الفروض الأساسية لدراسة التغير الاجتماعى فى النسق المتغير •



أولا : المفاهيم الأساسية المرتبطة بالتغير فى ضوء النظرية الوظيفية :

للوضع النظرى للنظرية الوظيفية البنائية تأثيرات واضحة على نوعية المفاهيم الأساسية المرتبطة بالتغير الاجتماعى والعلاقة القائمة بين تلك المفاهيم [1] ، وذلك لأن صوغ المفاهيم وتقديم التعريفات الملائمة لها والعلاقات القائمة فيما بينها يخضع للاطار التصورى للنظرية وتجريداته واذا كان التحليل النظرى والعينى المرتبط بالوظيفة يتأثر بالمستوى النظرى وتجريداته التى تقوم عليها النظرية فان ذلك يؤكد الصلة الوثيقة بين المفاهيم الأساسية والمستوى التحليلى للنظرية لانهما يرتبطان بأساس تجريدى ونظرى واحد • ولذلك نجد ان البناء ، والعملية والتغير كمفاهيم أساسية للنظرية والتحليل النظرى ، والعملى تتأثر بالدلالة الايديولوجية ونزعتها المحافظة فى النظرية الوظيفية البنائية ، والواقع ان مشكلة المفهومات وتعريفاتها والعلاقات القائمة بينها من أولى المشكلات التى تواجه الباحث عندما يتناول موضوع التغير فى ضوء النظرية الوظيفية • وذلك لانه عندما توضح كل من هذه المفهومات وتحدد أبعاها والعلاقات القائمة بينها نكون قد ألقينا الضوء على اهم المشكلات نتيجة لازالة الغموض وأبعاد سوء الفهم القائم بين المدرسة الوظيفية البنائية والمدارس الأخرى فى فهم التغير الاجتماعى [2] •

واذا كان علم الاجتماع قد استطاع أن يقطع شوطا فى الوصول الى نتائج متميزة فى ميادين صياغة المفاهيم ، والتصنيف فذلك قد حقق هدفين تمثل اولهما فى توجيه النظرية نحو فئات من الظواهر لم يكن يلتفت اليها بوصفها تمثل فئات منفصله وتمثل ثانيهما فى كونها وصف

---

(1) Barber, Bernard : Structural - Functional Analysis, Am, Social R, 1956. Vol : 21 N. 2. p. 129.

(2) Barber, Bernard : op . cit . p. 130.

مختصر للظواهر وأسلوب التحليل • ومن ثم نحاول ان نعرض للمفاهيم الأساسية ذات الصلة الوثيقة بموضوع بحثنا وهو التغير الاجتماعى والمفاهيم المرتبطة به مثل البناء والوظيفة • والايديولوجية ، والتغير واذا كان هناك مفاهيم محددة وتعريفات واضحة لتلك المفاهيم الا آن كثيرا من تلك المصطلحات ما زال موضعا للخلاف • كما أن كثيرا منها مازال غير واضح • ومع ذلك فان وضوح هذه المفاهيم سوف يكون اكثر اثراء فى تطوير عملية التحليل • واذا كان علماء الاجتماع مازالوا يستخدمون مفاهيم عديدة بمعانى مختلفة فان تحديدنا للمفاهيم التى نستخدمها ، والمعنى المقصود منها يسهم بفاعلية فى وضوح الرؤيا فى عملية التحليل • واذا كانت هناك بعض المفاهيم التى لم يتم ربطها وتحقيق التكامل بينها فان تحديدنا للمفاهيم المستخدمة فى التحليل وتقديم التعريفات الأساسية لها سوف يساعدنا على اقامة العلاقة بين تلك المفاهيم والتى تكون أساسية فى عملية تحليلنا للتغير الاجتماعى فى المجتمع الأردنى • وذلك لأن سوء الفهم فى استخدام المفهومات يرجع فى الأصل لعدم تحديدها واقامة الرابطة فيما بينها •

واذا كان هناك العديد من المحاولات التى سعت لتحديد المفاهيم وتقديم تعريفات لها فى علم الاجتماع • وبخاصة تلك التى قام بها « تالكوت بارسونز » وزملاؤه حينما اتجهوا الى تعريف المفاهيم أكثر من استخدامها فى التفسير • فذلك بدون شك خطوة الى الوراء ، اذا ما قورنت بأعمال دوركايم وماكس فيبر حيث قدم كلاهما بعض المفاهيم وحددا معناها وذلك فى سياق تقديم نظريات تفسيرية للواقع الاجتماعى • وقد كان ماكس فيبر أثناء عرضه لطريقة النموذج المثالى من أكثر الباحثين اهتماما بهذه المسألة كما ان دوركايم حقق ذلك ايضا فى بحثه عن الانتحار • ومن ثم نجتهد فى مجال بحثنا للسير على نهج الباحثين الذين قدموا تعريفاتهم للمفاهيم لتكون ذات فائدة عملية فى مجال البحث ولتجنب المناقشات العقيمة التى لا تكون ذات فائدة •

والفكرة الأساسية التى تؤكد عليها بهذا الصدد هى ان جميع التعريفات تحكمية الى حد كبير • وان قيمة التعريف والمفهوم نتحدد فى ضـــوء فائدته فى البحث وصياغة النظرية • ومن ثم نحدد مفهوماتنا وتعريفاتها التى ستكون بمثابة أدوات للتحليل الاجتماعى لظاهرة التغير ولكن قبل أن نحدد مفاهيميا المرتبطة بالنظرية الوظيفية • فى تحليل التغير نشـــير الى ان ثمة مفاهيم فى تاريخ العلم الاجتماعى الحديث قد ولدت كثيرا من الحوار والمناقشات وذلك مثل مفهومى البناء والوظيفة • ونمط التحليل المرتبط بهما وذلك يرجع لبعض الصعوبات المرتبطة بالغموض وعدم التحديد الكافى للمفاهيم الأساسية والمفاهيم الفرعية المرتبطة بها فى النظرية الوظيفية وتبرز الصعوبات الرئيسية عند الحديث حول التحليل البنائى الوظيفى من المصادر التالية : الشعور بان ثمة شيئا جديدا فى التحليل البنائى الوظيفى ، وان اجراء الاستخدام العام الأساس الأول للتعريف لم يلاحظ بعد • فنفس المصطلح قد استخدم بحرية لأكثر من مجـــال متمايز • ووضـــوح الجـــانب التليولوجى [٣] (الغائى) Toleologi على المســـتوى البنائى الوظيفى أو فى كليهما معـــا فى علاقتهما بعملية التحليل كما ان استخدام فرضيات الاســـتقرار فى النموذجين بصورة عامة أدى لقدر من سوء الفهم • هذا فضلا عما أثير حولها من تساؤلات تتعلق بالموضوعية [٤] • ومن ثم تستهدف محاولتنا لتحديد المفهومات وتقديم تعريفـــات لها • القاء الضوء على الظـــاهرة موضوع الدراسة وتعيين العوامل المحددة ، لهذه الظاهرة والمتغيرات التى تأخذ فى الاعتبار حولها ، والتعرف على الأحوال العامة التى تقتضى مواجهة وتحديدا نظريا تمهيدا للتفســـير فى ضوء النظرية الوظيفيـــة

---

(٣) يشير مصطلح Teleologi فى العربية للغائية البنائية أو الوظيفة وما يرتبط بها من مغالطة علمية فى التحليل الســـيولوجى .

(٤) Levy , Marion J, & Francesoa Cancian : Functional Analysis Inc. of Social Science p. 21.

والتعرف على البناءات التى يجب ان نتناولها فى النسق [٥] .

ومن هذه المفاهيم الأساسية المرتبطة بالتحليل الوظيفى للتغير الاجتماعى مفهوم النسق System ومفهوما البنـاء السوى والبنـاء المعوق Eu - Dy. Stru. والقصور الوظيفى والأداء الوظيفى ومفهوما الوظيفة الظاهرة Manifest FU. والوظيفة الكامنة Latent FU. ومفهوم التوازن الدينامى Dynamic Equilibrium والواقع ان هذه المفاهيم الأسـاسية مترابطة مع بعضها فى عمليـة التحليل الوظيفى للنسق الاجتماعى . وذلك ما سوف نوضحه فى التحليل التالى للمفاهيم :

١ — مفهوم النسق الاجتماعى ومؤشرات تغيره :

يعرف النسق الاجتماعى بأنه مجموعة من العناصر المتكاملة بنائيا والمتساندة وظيفيا لتحقيق وجود النسق وبلوغ اهدافه [٦] . واذا كان بارسونز قد اهتم بمفهوم النسق فلانه يشكل بعدا أساسيا فى فكرة السسيولوجى . وقد نظر بارسونز للنسق الاجتماعى باعتباره نسقـا مفتوحـا . حيث ذكر ان النسق المغلق يكون على المستوى النظـرى فحسب . وذلك لأن النسق الاجتماعى يدرك على المستوى العملى كنسق مفتوح يشترك فى مجموعة من العمليات المعقدة المتبادلة مع الانساق الأخرى مثل النسق الثقافى ونسق الشخصية الأساسية والانسـاق الفرعية الأخرى مثل النسق السلوكى ... الخ . والتى يجب ان تعالج بدورها فى عملية التحليل على انها انساق مفتوحة متبادلة التأثير ومتفاعلة مع الانسـاق الأخرى للنسق الكبـير [٧] . وبذلك يكون تنـاول النسق

---

(٥) Levy , M : op. cit . p. 23.

(٦) Wallace, Walter : Sociological Theory, London. Heineman 1969 p. 111.

(٧) Parsons, T : A Paradigm for The Analysis of Social System and Change from Demerath System and Conflict. N. Y. Free Press 1968. p. 189.

الاجتماعى مرتبطا بتحليل نسق الشخصية والنسق الثقافى باعتبارها جوانب ثلاثة متفاعلة ومتبادلة التأثير ومتساندة وظيفيا فى النسق الكبير • وقد ذكر بارسونز انه من الأفضل عند تناول النسق ان نهتم بالتفرقة بين البناء والوظيفة اذ أن مفهوم البناء يتناول العناصر النمطية للنسق ، وهو يختلف عن مفهوم الوظيفة من حيث دينامية الاتجاه • وقد نظر روبرت ميرتون لمفهومى البناء والوظيفة باعتبارهما مفهومين عمليين وتحليليين ، كما اتخذ مفهوم التوازن باعتباره نقطة مرجعية اساسية لتحليل عمليات التغير •

وفى معالجتنا لظاهرة التغير الاجتماعى فى المجتمع الاردنى سرنا فى محورين أساسيين من التناول اذ تناولنا مظاهر التغير فى المجتمع الاردنى كنسق اجتماعى كلى — وذلك فى دراستنا للحالة الثقافية للمجتمع الاردنى ومظاهر تغيره باعتباره متضمنا لمجموعة من الانساق الفرعية مثل النسق الثقافى والنسق الاجتماعى والنسق الشخصى • وهى جوانب ثلاثة متفاعلة مع بعضها ومتبادلة التأثير مع النسق الاجتماعى الكبير كما انها متبادلة التأثير ايضا مع الانساق الفرعية التى يتضمنها كل جانب •

أما المحور الثانى من التناول فيتمثل فى تناولنا للانساق الفرعية باعتبارها متضمنة لمجموعة من النظم المتفاعلة مع بعضها ايضا • والتى تؤثر وتتأثر بالنسق الفرعى الذى يحتويها من ناحية والانساق الأخرى التى يتضمنها النسق الكبير والذى يتبادل معها التأثير ايضا •

ومن ثم تناولنا نسق القيم والمعايير والمعانى السائدة فى المجتمع الاردنى ومدى تفاعلها مع بعضها • كما تناولنا كل المستوى الاجتماعى النسق الاقتصادى وما يتضمنه من نظم للانتاج والاستهلاك والعلاقات ••• الخ • والنسق الأسرى وما يتضمنه من نظم مختلفة مثل السلطة الاسرية والقرابة الأسرية وغيرها من نظم • ونظام السلطة

العام ومدى تفاعله مع الجوانب المختلفة والنسق الشخصى وما تتضمنه من ميول واستجابات سلوكية ٠

وبذلك يكون محورا التحليل للنسق منسقين مع الفهم الوظيفى البارسونزى للنسق الاجتماعى والذى تناولناه باعتباره نسقا مفتوحا يتفاعل مع الانساق الفرعية المفتوحة الأخرى ٠ وذلك للتعرف على ما طرأ على كل منها من تغيرات مختلفة سواء على المستوى البنائى أو المستوى الوظيفى اذ ان التغيرات الوظيفية قد لا تستتبع بالضرورة وجود تغيرات بنائية فى النسق ومن ثم استهدفنا فى تحليلنا للنسق التعرف على أبعاد القصور البنائى — والبناء السوى ، وطبيعة الأداء الوظيفى للانساق المختلفة وجوانب القصور الوظيفى المرتبط بأى من تلك الانساق والذى يؤثر بدوره على بلوغ النسق لاهدافه أو عدم تحقيقها [٨] ٠

٢ — مفهوم البناء ومؤشرات تغيره :

نظرا للصلة الوثيقة القائمة بين هذه المفاهيم والنسق الاجتماعى تناولنا مفهومى البناء السوى والبناء المعوق ٠ ويعرف البناء السوى على انه بناءات فى سياق يتيح الفرصة لتحقيق الأداء الوظيفى الذى يدعم وجود النسق [٩] ٠ وبالنسبة للبناء المعوق فيعرف بانه بناءات فى سياق تؤدى عملياته للقصور الوظيفى الذى يعوق النسق من بلوغ اهدافه ٠ والواقع أن جميع حالات الأداء الوظيفى ليست ذات أداء وظيفى للوحدة الاجتماعية ٠ ومن ثم عندما يستخدم المرء مفهوم الأداء الوظيفى يكون الاهتمام منصبا على الوظائف المرتبطة بالوحدة الاجتماعية نفسها أكثر منه على وظائف العملية فى سياق الوحدات الأخرى بنفس الوضع [١٠] ٠

---

(٨) Levy , M : op . cit p 24 - 25.

(٩) Levy , M : Ibid . p. 24.

(١٠) Demerath : op . cit . p. 125.

والواقع ان التغير البنائى فى الانساق الفرعية يمثل جانبا ضروريا ولا مفر منه لعملية الموازنة والمواءمة فى النسق الكبير • ومن ثم يمكن أن تكون لمشكلة التغير البنائى أبعاد ثلاثة تتمثل فى :

(أ) الميل نحو التغير •

(ب) أثر هذا التغير على الضمنيات البنائية الفعالة ، والعواقب المحتملة •

(جـ) التعميمات الممكنة حول اتجاهات وانماط التغير • وتتمثل المصادرة الخارجية للتغير البنائى الاجتماعى فى الميول الداخلية للشخصية والانساق الثقافية المتفاعلة مع الانساق الاجتماعية • أما المصادر الداخلية للتغير فتتمثل فى التوترات البنائية التى تقع بالنسق الاجتماعى بين وحدتين أو أكثر •

ومن ثم يحدث التغير الداخلى عندما تكون ميكانزمات الضبط الاجتماعى عاجزة وغير قادرة على استيعاب عوامل التوتر • والواقع انه هناك عمليات مساعدة لعملية التغير البنائى تتمثل فى طبيعة المقاومة الداخلية لعملية التغير من الانساق الثقافية والاجتماعية وردود الافعال الايجابية من الشخصية لعمليات التغير ونتائجها •

ومعالجتنا البنائية للنسق الاجتماعى وانساقه الفرعية ذا بعدين أساسيين ولكنهما مرتبطان ارتباطا وثيقا من حيث هدفها فى التحليل الاجتماعى لنسق يتمثل البعد الأول فى تناول المستوى البناء للنسق من حيث المجتمعات المحلية وتنظيماته والعلاقة القائمة بينها من ناحية والتنظيمات والنظم السائدة لكل من المجتمعين المحلين المتمثلان فى الريف والحضر • وما بها من تنظيمات مشتملة على أوضاع وادوار وما يبين تلك الأوضاع والأدوار من علاقات •• وذلك ما تم فى تناولنا للمجتمع الحضرى والمجتمع الريفى المحليين فى الاردن والتنظيمات الاساسية على مستوى المجتمع وما بينها من علاقات وتفاعلات اما على

المستوى المحلى فقد تناولنا النظم والانساق الاجتماعية المختلفة مثـــل نسق السلطة ــ ونسق الأسرة ، والعلاقات الاجتماعية القائمة فيما بين هذه الانساق المختلفة • وبالنسبة لكل نسق من الانساق التى تناولناها مثل النسق الأسرى ونسق الشخصية والنسق الاقتصـــادى فقد تناولناها من حيث العناصر المكونة لكل منها والنظم التى ترتكز عليها وما بين هذه العناصر والتنظيم من علاقات •

أما عن البعد الثانى من التحليل البنائى للمجتمع الاردنى قد تمثل فى طبيعة الاهداف الاساسية التى يسعى المجتمع بانساقه المختلفـــة لتحقيقها والتى تبلورت بصورة أساسية فى مشروعات خطط التنمية ــ والمعايير الموضوعة والمحددة لتحقيق تلك الاهداف ومدى مسايرتها لها •

٣ ــ مفهوم الوظيفة ومؤشرات تغيرها :

نهتم هنا بمفهومى الأداء الوظيفى والاعاقة الوظيفية ، وهذيـــن المفهومين يوجهان الاهتمام للتكييف وعدم التكييف للوحدات محـــل الاعتبار • ولمـــا كان مصطلح الوظيفة استخدم فى الغالب بمعانى عديدة مختلفة فى العلوم الاجتماعية لذا نهتم هنا بمهوم الأداء الوظيفى وهو يعرف فى علاقته بالوحدة الاجتماعية بأى وظيفة تســـاعد على بلوغ التلاؤم والتكييف بين الوحـــدة الاجتماعية ووضعها فى الســـياق الذى تعمل فيه • وفى علاقة هذا المفهوم بالوحدة الاجتماعية يعرف مفهـــوم القصور الوظيفى بالوظيفة التى تقلل من التلازم والتكيف بين الوحدة الاجتماعية والوضع الذى تتفاعل معه • وذلك ما يترتب عليه حدوث تغيرات بالنسق وذلك لأن الوظيفة ترتبط بالوحدة ذاتها أكثر من وظائف العمليات فى سياق الوحـــدات مع ذلك الوضـــع والواقع ان مفهوم اللاوظيفية أو غياب الوظيفة يكون بمعنى مغاير للأداء الوظيفى والقصور الوظيفى وذلك لأن مفهوم التكييف لا يكون واردا أو متضمنا [11] • ومن

---

(١١) Demerath : op . cit p. 43.

ثم يكون مفهوم الأداء الوظيفى والقصور الوظيفى والبناء السوى والبناء المعوق مثيرا للاهتمام حول بلوغ النسق أو عدم بلوغه للوضع المنشــود من وجوده • وقد استخدم ميرتون مفهوم الوظيفة الكامنة والوظيفة الظاهرة فى ضوء المفهم الوظيفى واستخدام ميرتون لمفهوم الوظيفة الظاهرة يشير لتلك المواقب المتعلقة بالتكييف والتلاؤم مع النسق والتى تكون مدركة ومعروفة من قبل المشتركين اما الوظيفة الكامنة فتشير للنتائج والمواقب غير المعروفة وغير المدركة (١٢) • كما انه اضاف لذلك مفهوم الوظائف البديلة والتى يعوض بها النسق جوانب القصور الوظيفى • والواقع ان جهود الاصلاح تكون منصبة فى الغالب الاعم على القصور الوظيفى للوظائف الظاهرة • بالنسق وتكون المحاولة منصوبة على اصلاح ودعم الأداء الوظيفى للوظائف الظاهرة لتكون فى وضع أفضل • بدعم تكامل النسق وبلوغ اهــــدافه •

وقد ارتبط هذا المفهوم بالتحليل التجريدى والعملى ارتباطا وثيقا حيث اننا تناولنا المداخل الوظيفية المختلفة لتناول التغير على المستوى النظرى لايضاح الرؤيا بابعاد الواقع الاجتماعى المتغير ثم تناولنا هذا المفهوم تحليليا على مستوى الواقع بتحليل العلاقات القائمة بين الانساق الفرعية والنسق العام من ناحية من حيث التغير ثم تناولنا العنــاصر المختلفة للانساق الفرعية وهى فى علاقتها بالانساق الأخرى • ومن ثم حللنا العلاقة الوظيفية بين النسق الثقافى والنسق الاجتماعى ، والنسق الشخصى من ناحية وبين الانساق الفرعية لكل منها مع الانساق الفرعية الأخرى فى النسق الكبير • وذلك للتعرف على الأداء الوظيفى لكل من هذه الانساق المختلفة فى عملية التغير ومدى اسهامه الوظيفى فى دعم وجود النسق ثم تناولنا بعد ذلك بالتحليل العلاقات القائمة بين جوانب ظاهرة التغير المختلفة والبعد العام للتغير • للتعرف على الأداء الوظيفى

---

(١٢) Levy : op . cit . p. 25.

والقصور الوظيفى المرتبطة بكل عنصر بنائى ومدى اسهامه أو اعاقته لعملية دعم وجود النسق الاجتماعى الكبيرة بالصورة التى تمكنه من تحقيق اهـداقه • وذلك ما استهدفتـه عملية تحليل العلاقات الواردة بالمصفوفات على مستوى كل من مدينتى السلط والزرقاء •

٤ ــ مفهوم التوازن الدينامى ومؤشرات التغير :

استخدم الاقتصـاديون مفهوم التوازن فى سيـاقات مختلفـة ولأغراض مختلفة[١٣] • كما اهتم علماء الاجتماع أيضا بمفهوم التوازن الاجتماعى ــ فذهب سبنسر على نحو مخالف لاوجست كونت بالنسبة لفكرة الالية لانه وذلك يرى ان الغائية يتضمنها التطور • ومن ثم تتحكم الغائية فى الآلة نتيجة انبثاقها عنها •• وذلك لأن الغائية تمثل جمـلة الاطوار التى يمر بها كائن ما لبلوغ حالة التوازن ، ومن ثم يذهب سبنسر الى ان فكرة التوازن تلك ليست نهائية ولا يمكن دوامها لزمن طويل ومن فكرة سبنسر تلك عن التوازن استمد علماء الاجتماع فكرتهم عن التوازن المتحرك فالمجتمع البسيط متجانس بمعنى انه متكامل وعندما يتطور تزداد حالة اللاتجانس المرتبط بالتوازن الذى يأخذ فى الانتقال من حالة لأخرى كلما زاد المجتمع تعقيدا واذا لم يحدث التوازن بين التغير المـادى واللامادى عن اوجبرن حدث تخلف ثقافى وقد اهتم سروكن بموضوع التوازن هذا بين الكم والكيف كما ان ميردال اهتم بعملية التكامل لتحقيق التسبيب المتزامن للتغير المتراكم والذى يحقق حالة التوازن الدينامى ومن ثم يعرف التوازن بالحالة التى تكون فيها مجموعة المتغيرات والعلاقات المتداخلة فيما بينها قائمة بشكل متكافىء فاذا كانت جميع هذه المتغيرات كاملة الحضور (مثل السلوك والتكنولوجى والعامل السيكولوجى والعلاقات المنتظمة) • فان كل شىء يستطيع ان

---

(١٣) Machlup, Fritz : Equilibrium and Disequilibrium From. Demerath N. op . cit p. 495.

يواصـــل تقدمه على نحو أفضـــل • وعندما يختلف وضع أى من تلك المتغيرات بالنسبة للتغيرات الأخرى بحيث لا تكون فى حالة تكامل بنائى وتساند وظيفى مع المتغيرات الأخرى يحدث عدم التوازن [١٤] •

ويتضمن التوازن الدينامى الفاعلية الاجتماعية الحادثة فى النسق من ناحية وتغيره من ناحية أخرى وذلك يشير لوجود تغيرات فى علاقات النسق بيئته بالاضافة للتغير الداخلى ولكن ليس بمعنى وجود تغير فى العلاقات الاساسية بين المتغيرات المتفاعلة والتى تكون فى حالة تنازع مع بعضها • وقد تكون التغيرات وقتية بالنسبة لهذا النوع الأخير وفى هذه الحالة من التوازن تكون الميول المتنازعة فى النسق مياله للتواؤم لتأكيد وضعها فى النسق الكلى • ومن ثم يكون التغير تدريجيا وضمنيا ولا يكون كليا • ومثال ذلك يتمثل فى حالة تزايد التخصص فى الجوانب السياسية والاقتصادية فى الوقت الذى تكون فيه الاساليب النمطيـــة للفاعلية السياسية والاقتصادية ثابتة [١٥] • وغ يرمتغيرة • وهذا الوضع يترتب عليه عملية تواؤم وتغير حتى يتعادى الجانبان فى أدائهما الوظيفى بالنسبة لبعضهـــا من ناحية وللنسق الكبير من ناحية أخرى بحيث يبلغ الاهداف التى وجد من أجلها • ومن ثم يمكننا تعيين المشاكل المرتبطـــة باشكال التحليل الدينامى فى النسق • وأول هذه المشاكل المتعلقـــة بالتحليل الدينامى تتمثل فى العمليات المضطردة فى ضوء الفرضيـــة المتعلقة بالانماط البنائية للثقافة المنتظمة • وذلك لانها تمثل مجالا معينـــا لمشكلات التوازن على النحو الذى استخدمه كل من باريتو ، وهندرسون وغيرهم • حيث تمثل دلالة هذه المشاكل بصورة مباشرة فى العلاقة القائمة بين كل من مفهوم النسق والطرائق التى عرفنا بها العلاقة بين البنـــاء والوظيفة [١٦] • ويعتبر مفهوم التوازن هنا نقطة مرجعية أســـاسية

---

(١٤) Machlup, Fritz : Ibid pp. 447 - 448.

(١٥) Dictionary of Social Scieces : op . cit.

(١٦) Parsons, T : Paradigm For The Analys's of Social System and Change From Demerath. op . cit p. 129.

لتحليل العمليات التى يواجه عن طريقها النسق الضغوط المفروضة عليه عن طريق البيئة المتغيرة • فبدون التغيرات الاساسية فى بنائه الخاص أو الفشـــل لتوفير العمليــات الأخرى مثل التغير البنائى وغيره من التغيرات التى تؤدى لتأسيس بناءات ثانوية للسمات الباثولوجية •

أما الوضع الثانى للمشكلات الديناميـة فيهم بالعمليات المتضمنـــة للتغير فى بناء النسق ذاته • وهذا يتضمن علاوة على ذلك مشكلات التغير الداخلية فى النسق الثقافى ومعضلة التوازن بالنسبة للنسق الاجتماعى والتى تتضمن فى المحل الأول علاقته باعضائه من الأفراد • ومن خلال ذلك تكون مشكلات التغير البنائى فى الجانب الآخر متضمنة للعلاقة مع الانساق الثقافية التى تؤثر على انماط الثقافة المعيارية المنتظمة • والواقع ان التمييز بين مشـــكلات التوازن الدينـــامى التى قد توجـــد أو لا توجد فى البناء المتغير • يكشف من الاهمية الكبرى للتغير المتضمن فى بناء الانساق الفرعية للنسق الاجتماعى [(١٧)] •

ومن ثم سرنا فى تحليلنا لمعطيات الدراسة فى مسالك تفسيرية تستهدف التعرف على أبعاد عملية التوازن فى النسق الاجتمـــاعى وكيفية حدوث التغير على أساس مبدأ التوازن الدينامى • والعمليات التى تخدم هذا التوازن وكيفية حدوث عمليات التلاؤم فى النسق والعناصر التى تسهم بفاعلية فى تحقيق ذلك • ومن هنا اعتمدنا على تحليل العلاقات بين العناصر البنائية المختلفة للتعرف على اسهامها الوظيفى فى تحقيق عملية التوازن تلك على مستوى الانساق الفرعية • كما تناولنا بالتحليل العلاقات القائمة بين مكونات الجوانب الثقافية ، والجوانب الاجتمـــاعية والجوانب الشخصية وبين المقياس العام للتغير • وذلك للتعرف على مدى التوازن بين هذه الجوانب الثلاثة فى عملية التغير •• وما اذا كانت

---

(١٧) Parson. T : op . cit . pp. 191 - 192.

هذه الجوانب تسهم بمستوى متماثل من الأداء الوظيفى وبالقدر الذى يحقق التوازن فى النسق ، ام ان هناك بعض الجوانب التى لا تسهم بنفس القدر من الأداء الوظيفى واذا كان هناك تصور وظيفى بالنسبة لبعض تلك الأنساق الثلاثة (الثقافى ــ الاجتماعى ــ الشخصى) • ومن أى من هذه العناصر يأتى هذا القصور فى الأداء الوظيفى • وعلى مستوى هذا النهج ــ من التحليل يمكن تكشف جوانب العلاقة بين التغير والتوازن فى النسق الاجتماعى على مستوى مدينتى السلط والزرقاء كمجتمعين محليين من ناحية والمجتمع الأردنى من ناحية أخرى ، وذلك من واقع التعميم من معطيات الدراسة الميدانية • اما بالنسبة للانساق الفرعية فذلك ما يكشف عنه تحليلنا للعلاقة بين العناصر المكونة مثل من مكونات هذه الانساق والتى تسهم وظيفيا مع بعضها فى عملية بلوغ هذا النسق لوضعه المرسوم له فى الوحدة الاجتماعية •

وبذلك نجد ان هذه المفاهيم المختلفة التى عرضنا لها بالتحليل النظرى وحددنا مستوى التحليل العلمى لها ومدى اتساقها مع بعضها فى ايضاح رؤيتنا بابعاد النسق ومكوناته •• ومدى اسهامها فى تناول هذه الابعاد على المستوى الاجرائى بالقدر الذى يحقق لنا وضوح الرؤيا ودقة التحليل لمعطيات الدراسة حول ظاهرة التغير الاجتماعى فى الانساق الاجتماعية الاساسية والفرعية •

ولا شك ان تحديدنا لهذه المفهومات على هذا النمو وتعبين انساقها مع بعضها ومدى تفاعلها مع بعضها فى عملية التحليل يكشف لنا أحد الجوانب الاساسية لعملية التجريد بالنسبة للقضايا النظرية التى تستند اليها النظريات الوظيفية فى فهم التغير الاجتماعى وتعين مصادره وتحديد ابعاده وذلك لأن وضوح المفاهيم المرتبطة بدراسة التغير الاجتماعى فى ضوء النظرية الوظيفية يساعد على تحليل القضايا النظرية التى تستند اليها النظرية فى عملية دراسة التغير والتى تساعد

بدورها فى عملية تعيين المسالك المنهجية وأسسها فى دراستنا لظاهرة التغير والعمليات التى تقضى اليها فى النسق الاجتماعى الاردنى •

* * *

ثانيا : الاسس النظرية للتغير الاجتماعى فى ضوء النظرية الوظيفية :

للوضع النظرى للنظرية الوظيفية تأثير واضح على وضوح الرؤية بابعاد الظاهرة والمسلك المنهجى فى معالجتها (١٨) • وذلك لأن النظرية تتألف من مفهومات ومن قضايا ترتبط بين هذه المفهومات ومن النتائج التى يمكن استخلاصها عن طريق الاستدلال المنطقى • غير ان الشىء الثابت فى علم الاجتماع ان المفاهيم لا تؤلف فى حد ذاتها الوحدة الاساسية للنظرية وذلك لأن الوحدة الاساسية للنظرية تتمثل فى القضايا القائمة على التعميمات بين تلك المفهومات • وتتمثل القضايا الاساسية لاية نظرية فى مصادراتها الاساسية والتى تشير بها النظرية لمجموعة من العلاقات والتى توجه عملية الاستدلال المنطقى لأى من الأحكام التى يمكننا استخلاصها من أحكام النظرية (١٩) • وبذلك تكون النظرية نسقا نظريا شاملا يفسر هذه التعميمات بأن يظهرها باعتبارها نتائج منطقية لهذا النسق النظرى الشامل •

وفى ضوء هذه القيم للنظرية نجد أن النظرية بناء قمته المصادرات الافتراضية وقاعدته التعميمات التجريدية ولما كنا نستند فى دراستنا للتغير الاجتماعى لبناء نظرى يتمثل فى النظرية الوظيفية فقد بات ضروريا ايضاح الاسس النظرية التى تستند اليها النظرية الوظيفية فى

---

(١٨) Berghe, Van : Dialectic and Functionalism From Wallace, op . cit. p. 202.

(١٩) دكتور محمد عارف عثمان — المنهج فى علم الاجتماع — الجزء الأول — بالقاهرة دار الثقافة للطبع والنشر ، سنة ١٩٧٢ ص ١١٨ .

معالجة التغير والتى تشكل مصادراتها النظرية وذلك لايضاح الرؤيا بأبعاد الظاهرة التى تتناولها والعلاقات والتعميمات التى تستند اليها فى معالجتها •

والواقع ان الأصول الفكرية للنظرية والثقافة التى تنتمى اليها والايديولوجية التى تستند اليها تؤثر بشكل واضح على الاتجاه فى صوغ التعميمات ومن ثم كان لكل من علماء الاجتماع تعميماته المنسقة مع اتجاهه الفكرى والانتماء الثقافى له فقدت النظرية الماركسية تعميماتها فى ضوء الايديولوجى من النظام القائم ولذا أكدت على مقولتى الصراع والتغيرات الكلية والجذرية للنظام الاجتماعى اما النظرية الوظيفية فقد اتخذت موقفا محافظا واكدت على التوازن الدينامى والتغير واعتبرت التوازن الأصل والصراع الحادثة الزمنية المؤقتة ولذا صاغت تعميماتها فى ضوء هذه الرؤيا قد اختلف علماء الاجتماع فى الكيفية التى صاغوا بها تعمياتهم حيث كان الاهتمام ضعيفا بالنسبة لصياغة تعميمات واسعة النطاق من الارتباطات الامبيريقية التى استطاعوا التوصل اليها • اذ ان ذلك أمر ميسور كما توضحه الأمثلة التالية :

فدوركايم استطاع ان يكشف فى دراسته للانتظار عن وجود علاقة بين بعض معدلات الانتحار ودرجة تماسك الأفراد فى الجماعات الاجتماعية كما ان « زمل » فى مقال له حول الصراع صاغ مجموعة من القضايا حول الصراع داخل الجماعة وقد خضعت هذه القضايا بعد ذلك للتوسع والتعديل واعادة الصياغة بحيث تم ربطها بالبحث الامبيريقى ومن ثم تذهب فى ضوء ما سبق الى ان صياغة النظرية فى علم الاجتماع تتطلب الاتجاه نحو بناء تعميمات واسعة النطاق من الارتباطات الامبيريقية التى أمكن التوصل اليها بحيث تخضع هذه التعميمات للاختبار عن طريق بحوث مقبلة ورغم المآخذ والنقد الذى يوجه للنظرية الوظيفية على انها لا تشكل نسقا تصوريا متكاملا لفهم الواقع الاجتماعى

الذى يحوى الصراع والتكامل شأنها فى ذلك شأن النظرية الجدلية [٢٠] • والتى تعرضت لنفس الانتقادات من علماء الاجتماع أمثال : ديمراث ، وولتريوالس ، وفان دن بيرج وداهرندووف ، وجولدنز • وآخرون ممن اعتبروا كلا التصورين الكلاسيكين • غير قادرين على تفسير مختلف جوانب الواقع ومن ثم صاغوا نظرياتهم سعيا منهم لتجاوز هذا القصور الا ان هذا الاتجاه لم يتبلور بعد بالصورة التى تجعل تلك النظريات ذات صلاحية كافية لتحليل ابعاد الواقع الاجتماعى وظواهره فى ضوئها وحتى لو كانت الصياغة النظرية لتلك الاتجاهات ذات طابع متقدم الا ان منهجيتها فى التناول والتحليل مازالت فى حاجة لمزيد من البحث والتحليل والتحديد بما يجعل لبناء تلك النظريات الصلاحية الكافية لدراسة الواقع •

ومن ثم اتخذنا من النظرية الوظيفية اطارنا التحليلى وذلك لاهميتها كمدخل لتناول الوقائع الاجتماعية على ان يكون لمعطيات الواقع حول ظاهر التغير الصلاحية الكافية لمراجعة بعض المصادرات النظرية والقضايا المنهجية المشتقة من تعميماتها النظرية حول الواقع الاجتماعى ومن ثم يقتضينا ذلك تعيين هذه التعميمات التى تشكل مصادرات النظرية الوظيفية وتحديد ابعادها وذلك تمهيد لاشتقاق القضايا المنهجية وتحديد اسسها فى المعالجة والتفسير والتعميم فى ضوء المراجعة المنهجية التى تتمخض عنها دراستنا للتغير الاجتماعى فى المجتمع الاردنى فالمدخل البنائى يتضمن المصادرات أو العناصر التالية :

١ ـ النظرة الكلية للمجتمع باعتباره نسقا يحتوى على مجموعة من الاجزاء المتكاملة بنائيا والمتساندة وظيفيا لبلوغ النسق لأهدافه •

٢ ـ استنادا لعملية الاجتماعية لتعدد العوامل الاجتماعية وتبادلها التأثير •

---

(٢٠) Berghe , Van . Dan : op. cit . p. 202.

٣ ــ رغم ان التكامل لا يكون تاما على الاطلاق الا ان الانســاق الاجتماعية تخضع لحالة من التوازن الدينامى • والذى يشير لقيام حالة الاستجابة التلاؤمية للتغير الخارجي والتى تعززها آليات التلاؤم والضبط الاجتمـــاعى •

٤ ــ ان المؤثرات والانحرافات والقصور الوظيفى يمكن ان تقوم داخل النسق غير انها تحل نفسها بنفسها وصولا للتكامل والتوازن [٢١] •

٥ ــ يحدث التغير بصفة تدريجية تلاؤمية أكثر مما يحدث بصفة مفاجئــة •

٦ ــ يأتى التغير من مصادر ثلاثة رئيسية تتمثل فى تلاؤم النسق وتكييفه مع التغيرات الخارجية • والنمو الناتج عن الاختلاف الوظيفى والثقافى • والتجديد والابداع من جانب افراد المجتمع وجماعاته •

٧ ــ ان العامل الاساسى والهام فى خلق التكامل الاجتماعى يتمثل فى الاتفاق العام على القيم •

١ ــ النظرة الكلية للنسق :

من المصادرات الاساسية التى تستند اليها النظرية الوظيفيــة اتسام مدخلها لتحليل الواقع النظرة الكلية للنسق وذلك لأن النظريــة الوظيفية ترى ان الوجود الكلى للبناء الاجتماعى له وظائف اجتمــاعية كليــة بالضرورة [٢٢] • وذلك لأن النسق الوظيفى يؤكــد على نمطين أساسيين من المتغيرات يتمثلان فى البناء الاجتماعى والعناصر المتضمنة فيه من ناحية والنزعة الوظيفية والتى تكون مرتبطة بتلك العناصر [٢٣] • وكلا البعدين على مستوى القيم والنظم لها نتائجها بالنسبة للأبنية التى

---

(٢١) Berghe , Van , Den : op . cit . p. 202.

(٢٢) Demerath & Richard : op . cit . p 32.

(٢٣) Cole, R : op . cit . p. 46.

تكونان متضمنتان فيها • وقد كان للنظرة الكلية هذه وضوح بالنسبة للبناء الاجتماعى وعناصره وذلك لانها حددت قيام التكامل الثقافى بين عناصر النسق وربطت اداءها الوظيفى وقصورها الوظيفى بمدى قدرتها على الاسهام مع بقية العناصر فى دعم وجود النسق • والواقع ان البناء السوى هو البناء القادر على تحقيق التعايش مع بقية العناصر البنائية الأخرى من حيث الأداء الوظيفى اما البناء الاجتماعى الذى يكون معوقا فهو ذلك البناء الذى يعانى من قصور وظيفى فى عملية بلوغ النسق لاهــدافه •

ومن ثم كان الاهتمام بالبناء السوى والبناء المعوق من ناحية والأداء الوظيفى والقصور الوظيفى من ناحية أخرى • وذلك لأن بلوغ البناء • وعدم بلوغه يرتبط بمدى ترابط العناصر المتضمنة فيه وتكاملها • مع بعضها بمعنى ان التعاون بينه وبين العناصر البنائية أو التلاؤم بينهما عامل أساسى فى سلامة البناء أو اعاقته ولذا كان تحليل ميرتون لاشكال التكييف المنحرف فى ضوء هذا التفاوت بين الاهداف الثقافية والوسائل المنتظمة حيث يكون فى المجتمع المستقر الغالبيــة من الناس مجارين ومسايرين لكل من الاهداف الثقافية والوسائل المنتظمة لتحقيقها وعلى هذا النحو تناول ميرتون العناصر البنائية (٢٤) • ومدى تكاملها بنائيــا لبلوغ النسق الاجتماعى وقد عين ميرتون عناصر النسق البنائية والذى اهتم به على نحو ما ذهب « هومانز » باعتباره مستشار الجماعة والتــى حدد عناصرها فى النشاط م الذى يؤديه اعضاء الجماعة والتفاعل • وهو علاقة نشاط كل عضو بالجماعة بنشاط العضو الآخر والمشاعر وهو شعور أعضاء الجماعة بالاحترام والتقدير للجماعة والمعايير التى تقنن الســلوك الذى تم تبينه عن وعى أو بدون وعى بواسطة الجماعة وهذه العناصر التى

---

(٢٤) Martindale, Don : The Nature and Types of Soci- ologtcal Theory Haughton Mifflin Company Boston. 1960 part Six. p. 475.

عينها ميرتون للنسق تشابه تلك العناصر التى حددها فلورين زنانيكس على النحو التالى : الميول والاتجاه والقيم أو الأداة الاجتماعية والطريقة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى (*) • اما عن العناصر التى حددها هومانز لنسق الجماعة أو المجتمع المحلى كنسق اجتماعى متمثلا فى النشاط والعواقب والتفاعل والمعايير ومن الواضح ايضا وجود سلسلة من العلاقات التى تشير للاعتماد والتبادل بين عناصر النسق الخارجى المشروط بالبيئة وقد أسماها « دون » ميرتنذال بالنسق لأن عناصرها متبادلة الاعتماد • اما ما نسميه بالنسق الداخلى فنسميه كذلك لانه غير مشروط بطريق مباشر بالبيئة • ونتحدث عنه بهذه الصورة لأنه يتضمن اشكالا سلوكية غير منضوية تحت النسق الخارجى • والترابط العلاقى بين العناصر السابقة للجماعة كنسق اجتماعى ينتج تأثيرات التى تولد النسق الداخلى وهنا توجد عمليات عامة مثل التكامل فى النسق الاجتماعى وتمايز عناصره الفرعية •

وفى ضوء تلك النظرة الكلية يتبين ان المجتمع يرنب فى انساق تتمثل فى الجماعات الكبيرة مثل المجتمعات المحلية ، والمجتمعات الكبيرة والانساق الفرعية المنضوية تحت كل منها • ومن ثم نجد ان النظرة الكلية للنسق تأخذ فى اعتبارها البناء والوظيفة من ناحية وتكامل العناصر البنائية وتساندها الوظيفى من ناحية أخرى •

وهنا نجمل القول بان الشروط الوظيفية للنسق الاجتماعى تتمثل فى الأمور التى يحتاجها ليظل مستقرا • فنسق العقل مركز الشخصية والمجتمع والثقافة لذلك فان الشروط الدنيا للنمو المستقر والمنتظم للنسق الاجتماعى يمكن عرضها فى السياقات التالية :

١ — الشروط الوظيفية فى علاقة الفرد يجب ان تقابل وتشبع الاحتياجات الدنيا لغالبية الفاعلين •

(*) Martindale, Don : op . cit . p. 478.

٢ ــ والشروط الوظيفية فى علاقتها بالمجتمع وتوفر شروط الضبط الدنيا للسلوك •

٣ ــ والشروط الوظيفية فى علاقتها بالثقافة وتتمثل فى ان النسق الاجتماعى يصير ممكنا بواسطة اللغة والثقافة حيث تكون المصادر الثقافية أكثر ارضاء لاستيعاب مستوى الشخصية الملائمة للنسق الاجتماعى • وطبقا لبارسونز يحضر نسق الفعل العناصر الواقعية والرمزية فى نسق منظم • وهذا النظام معيارى • والمعايير هى التى تنظم توقعات الفرد فى علاقته بسياق التفاعل الخاص • وبذلك يحكم التفاعل بواحدة أو أكثر (يمثل الاخرين) فى الأدوار المتكافئة [٢٥] • ومن ثم يترتب على هــذه النظرة الكلية للنظرية الوظيفية التأكد بان العملية الاجتماعية تستنــد الى تعدد العوامل • وهذا ما افضى الى صياغة القضية الثانية •

٢ ــ تعدد العوامل المتبادلة التأثير :

ترتب على النظرة الكلية التأكيد بان العملية الاجتماعية فى النسق الاجتماعى تستند الى تعدد العوامل الاجتماعية تلك العوامل التى تتفاعل مع بعضها وتتكامل بنائيا وتساند وظيفيا [٢٦] • بحيث لا يمكن القول بان هناك عاملا واحدا يؤدى الى عملية التغير وذلك لأن عناصر النسق متفاعلة مع بعضها ولكل منهما اداؤه الوظيفى تجاه الانســاق الفرعيــة من ناحية والنسق الكبير من ناحية أخرى ، ومن ثم يكون لقصور الأداء الوظيفى لعنصر تجاه عنصر آخر رد فعل مماثل يتمثل فى تخفيف العنصر فى أدائه الوظيفى للنسق كرد فعل لمــا يتلقاه من هذا النسق فضــلا عن تقليل ادائه الوظيفى للنسق الكبير نتيجة للقصور الذى يتعلق بأداء النسق الفرعى له • وبذلك تكون عملية التسبيب للتغير مرتبطة بمجموعة من العمليات الوظيفية لجميع العوامل المتفاعلة مع بعضها فى النسق

---

(٢٥) Martindale, Don : op . cit . p. 486.

(٢٦) Berghe Van Don : op . cit . pp. 202 - 203.

الاجتماعى . ومن ثم كان تأكيد بارسونز على فاعلية الجوانب المـادية للنسق الاجتماعى فى عملية النمو الداخلى هذا بالاضافة الى فاعليـة العناصر الأخرى فى النسق الاجتمـاعى فى دعم عمليـة التغير [٢٧] فللعوامل الخارجية المتمثلة فى الثقافة والشخصية أثر على عملية التغير من ناحية كما ان للعوامل الداخلية مثل التوترات التى تدب فى النسق الاجتماعى فاعلية أيضا فى دعم عملية التغير وبذلك نجد ان بارسونز يؤكد على كلية العوامل وتساندها الوظيفى فى عملية التغير التى تطرأ على النسق الاجتماعى . وسواء أكانت مصادر التغير ناتجة عن تلاؤم النسق مع التغير الخارجى أو النمو الداخلى الناتج عن التفاوت البنائى والتباين الوظيفى أو التجديد والابداع من قبل الأفراد [٢٨] . فان ذلك يشير الى ان ثمة اسهام وظيفى واضح لعوامل مختلفة فى تعيين تلك المصادر الدافعة لعملية التغير الاجتماعى فى النسق . وذلك لأن هـذه العوامل متداخلة العلاقة ومتبادلة التأثير [٢٩] .

والواقع ان المصادرة الأولى والثانية تعكسان طبيعة النزعة الكلية وتعدد العوامل الدافعة للتغير ولذلك يتكاملان فى ايضاح ابعاد الاطار التصورى للنظرية الوظيفية والذى يؤكد على فكرة التكامل سواء على مستوى فهم النسق وتحليله أو اسباب تغيره .

٣ ـ التكامل ليس تاما ويفضى لحالة التوازن الدينامى :

تؤكد هذه المصادرة ان البناء الاجتماعى ليس ثابتا [٣٠] . اذ ان هذا الثبات مشكوك فيه ولكنه فى حالة تغير غير ان هـذا التغير يتسم

---

(٢٧) Demerath : op . cit . p. 32.

(٢٨) Berghe, Van Den : op . cit p. 203.

(٢٩) Demerath : op . cit . p. 32.

(٣٠) Demerath : Ibid p. 32.

بالتوازن وما ينفي حالة الثبات تلك ما تؤكده النظرية من ان التكامل ليس تاما على الاطلاق وذلك نتيجه لوجود بعض عناصر البناء المعوق والقصور الوظيفي لبعض الانساق الفرعيه أو الرئيسيــة ومع ذلك فان النسق الاجتماعي يخضـــع دائما لحاله من التوازن الدينــامي نتيجه لقيــام الاستجابه التلاؤميه للتغير الخــارجي والتي تعززها آليــات التلاؤم والضبط الاجتمــاعي •

والتلاؤم للتغير الخارجي يتمثل في استجابة العناصر الاجتماعية للمغيرات التي تطرأ على الثقافة والشخصية وهي استجابات تلاؤميه تدعم توازن النسق وتغيره •

٤ ــ للتوترات والقصور الوظيفي حضور في النسق الا انها تحل نفسها تلقائيا وصولا للتكامل والتوازن :

والواقع أن تلك التوترات والضـــغوط التي يتعرض لها النسق الاجتماعي تتراكم نتيجة لحالات الاعاقة البنائية من ناحية ، والقصور الوظيفي [٣١] من ناحية أخرى الا أن هذه التوترات تأخذ تدريجيا في حل نفسها نتيجة لحالات الاستجابة التلاؤمية التي تحدث بين العناصر البنائية ومصادر التغير الخارجية • وهذه التوترات والضغوط تدور في الجوانب الاجتماعية بالاضافة الى التأثيرات الصــادرة لها من خلال تفاعلها مع العناصر الأخرى المكونة للنسق الاجتماعي مثل الثقــافة والشخصية •

٥ ــ التغير تدريجي ونتيجة للاستجابة التلاؤمية مع عناصر النسق :

نظرا لأن البناء الاجتماعي وعناصره تستجيب استجابة تلاؤميــة للتغيرات التي تجد على الانساق الأخرى كما ان التوترات والضغوط الداخلية تحل نفسها تدريجيا فان النتيجة المباشرة لذلك تتمثل في صورة

---

(٣١) Demerath : Ibid p. 34.

تغير تدريجي وذلك لأنه عندما تبـدأ العناصر في تحقيق الاستجـابة التلاؤمية للتغير الخارجي • وتبدأ تحقق الأداء الوظيفي تدريجيا تخلصنا من عناصر الاعاقة الوظيفية يصاحب ذلك بالضرورة حـدوث تغيرات داخلية على النسق الاجتماعي • ومن ثم تكون هذه التغيرات غير مفاجئة لأنها مرتبطة بعمليات تدريجية أخرى مثل تلاؤم عناصر النسق ــ وحـل التوترات الناجمة عن قصور الأداء الوظيفي •

٦ ــ المصادر الاساسية للتغير :

تتسق الرؤيا الوظيفية في تعيينها لمصادر التغير مع مصادراتهـا الاساسية الأخرى وذلك لانها تعين مصادر التغير الاساسية في ثلاث تتمثل في :

* تلاؤم النسق مع التغير الخارجي [٣٢] وهذه القضية أكـد عليها بارسونز عندما اعتبر المصادر الخارجية ممثلة في الثقافة والشخصية واللتين تمارسان تأثيرا واضحا على النسق الاجتماعي الذى يأخذ بدوره في التلاؤم والاستجابة لتلك التغيرات الخارجية • وذلك تخلصا من حالة التوتر والضغوط التي ترتبط بحالات الخلل الوظيفي لبعض عناصر النسق •

* النمو الناشيء عن التفاوت البنائي والتباين الوظيفي وعلى نحو ما أشرنا سلفا بلعب التفاوت البنائي على نحو ما ذهب ميرتون بالنسبة للتفاوت بين الاهداف والوسائل • والذى يصاحبه بالضرورة قدرا من التوترات والضغوط التي لا تحل الا بالاستجابة التلاؤمية لبعض عناصر النسق التي تعاني من قصور وظيفي لتلك التغـيرات التي طرأت على المصادر الخارجية للتغير مثل الثقافة والشخصية • كما ان التبـاين الوظيفي يترتب عليه قصور الأداء الوظيفي لأى عنصر من عنـاصر

---

(٣٢) Berghe Van Den : op . cit . p. 203.

النسق بالنسبة لبعض العناصر من ناحية وللنسق الأكبر من ناحيـــة آخـــــرى •

٧ ــ الاتفاق العام على القيم عامل أساسى وهام لتحقيق التكـــامل الاجتمــاعى :

لايضاح البناء الاجتماعى والثقافى الكلى ، نجد ان ثمة اهــداف عريضة ومبادىء يرغب عدد غفير من الأعضاء فيها ويوافقون عليهـــا • وليس فقط نسق القيم أو الأخلاق هما الأكثر عمقا والاهم كمصـــدر للتكامل • ولكن العناصر المستوردة للانساق الاجتماعية والثقافية حيث تمارس هذه العناصر فاعلية كبيرة فى عملية دعم التكامل الاجتماعى فى النسق (٣٣) •

وبذلك يمكن القول ان العناصر الثقافية فى النسق الاجتمــاعى تمارس دورا فعالا فى عملية تحقيق التكامل هذا فضلا عن عملية الاجماع العام على القيم السائدة بالاضافة للاستجابات التلاؤمية التى تصدر من أعضاء النسق سواء أكانوا أشخاصا أو جماعات حيث تدعم استجابتهم التلاؤمية عملية تكامل النسق بنائيا ووظيفيا حيث تكون جميع عناصره فى حالة اداء وظيفى يكفل للنسق وجوده وفاعليته •

واذا كانت القضية الأولى متماسكة مع القضية الثانية من حيث الهدف وميكانزمات التفاعل داخل النسق الاجتماعى • فان القضـــايا الخمس الأخرى تستكمل بقية عناصر النزعة الوظيفية وتحدد اطـــار تصورها للواقع الاجتماعى • وبالنسبة للقضيتين المتعلقتين بالاجماع والتوازن الدينامى والتكامل ترجعان فى الأصل لكونت ••• وعموما تجد ان هذه القضايا المطروحة قد عينت الابعاد الاســـاسية للنظرية الوظيفية وموقفها من النظام القائم المتسم بحالة التعضيد وعـــدم

---

(٣٣) Berghe Van Den : op . cit . p. 203.

الرفض • وما تستهدفه هذه النظرية هو الرد على ادعاءات النظرية الجدلية فى فهم التغير •

ومن ثم نجد ان مجموعة المصادرات الواردة للنظرية الوظيفية تتسق مع بعضها البعض ويأتلفها بناء فكرى واحد وهى بمثابة اداة تمكنا من تنظيم المعطيات بعد الاسهام فى تعيين المدخل المنهجى لمعالجة الظاهرة • وبذلك نجد ان هناك وحدة فكرية واضحة بين انصار النظرية الوظيفية وهذه الوحدة الفكرية تؤكد ان حالة الاتساق قائمة بين تلك القضايا الاساسية التى تستند اليها النظرية فى معالجتها للظواهر الاجتماعية بعامة والتغير بخاصة •

واذا كانت هذه هى المصادرات النظرية التى تستند اليها النظرية الوظيفية والتى تحدد الاطار العام لمعالجة الواقع الاجتماعى وذلك لأن هذه التعميمات النظرية تستهدف تحديد الظروف التى تثير عملية التغير نتيجة لاثارة عوامله سواء أكانت داخلية أو خارجية • كما انها تؤكد على ارتباط التغير بانتظام حدوث تغيرات فى انساق اجتماعية أخرى • هذا بالاضافة الى ان تلك التعميمات تفترض حدوث تغير متوازن فى النسق نتيجة للاستجابات التلاؤمية التى تحدث بين عناصره وهذه التعميمات فى عموميتها ذات ابعاد أساسية يمكن تحديدها قبل ان تشتق منها القضايا المنهجية للدراسة •

يتمثل البعد الأول من هذه التعميمات فى انها تؤكد على كلية النظرة وشمولها للنسق • بمعنى أن الباحث وهو يتناول النسق الاجتماعى يتناوله على أساس الفهم الشامل لكل أبعاده والعناصر المكونة له • ومن ثم كان لفكرة التفاوت بين العناصر البنائية التى أوردها روبرت ميرتون ارتباطا كبيرا بهذا الفهم حيث انه يؤكد على تناول النسق من خلال عناصره المكونة له سواء كانت على المستوى الثقافى أو الاجتماعى أو الشخصى ـ وتحديد ما بها من جوانب معوقة وجوانب سوية •

هذا بالاضافة الى تأكيد النظرة الكلية على تناول البناء والوظيفية معا — ومن ثم كان الاهتمام بفكرة الأداء الوظيفى والقصور الوظيفى والوظيفة الكامنة والوظيفة الظاهرة وتحديد علاقتها وترابطها بالعناصر البنائية السوية والمعوقة • ومن ثم كان للنظرة الكلية أثر فى تحديد ابعـــاد التناول للعناصر البنائية سواء أكانت أساسية أو فرعية باعتبارها متكاملة بنائيا ومتساندة وظيفيا •

هذا فضلا عن تأكيد المصادرة المتعلقة بتعدد العوامل على فكرة التعدد وتبادل التأثير فى عملة التغير •

ومن ثم كان تناولنا للتغير الاجتماعى فى المجتمع الاردنى موجها منذ البداية بهاتين المصادرتين • فتناولنا المجتمع الأردنى كنســق كبير يرتبط بانساقه الاساسية والفرعية سواء على مستوى الجوانب الثقافية أو الاجتماعية أو الشخصية وبذلك تناولناه كوحدة من جوانبه المختلفة المتساندة وظيفيا والمتكاملة بنائيا فى عملية دعم النسق الاجتماعى وذلك ما تم على مستوى الفصل السابع حيث تناولنا تغيرات المجتمع الأردنى وعلاقتها بتغير الانساق الاساسية للمجتمعات المحليـــة لمدينتى السلط والزرقـــاء •

وبالنسبة لتعـــدد العوامل كان تناولنا للعناصر البنـــائية للنسق بجانبيه الخارجى والداخلى فتناولنـــا العناصر الثقافية والشخصيـــة كعناصر خارجية ثم تناولنا العناصر الاجتماعية وما بها من توترات معينة كعناصر داخلية متفاعلة فى دعم عملية التغير الاجتماعى •

وبالنسبة لحالة التكامل والتوازن والتغير فى النسق نجد ان تناولنا العناصر المختلفة يكشف لنا ان هذه العناصر لا يكون جميعها فى حالة اداء وظيفى متماثل بل قد يرتبط بعضها بحالة من القصور الوظيفى وبذلك لا يكون تكامل هذه العناصر تاما غير ان حالات التواؤم التى تتم داخل

النسق والاستجابة التلاؤمية من بعض عناصره الداخلية للتغيرات الخارجية قد يترتب عليها تحقق التوازن ولكن فى شكل دينامى • والذى يساعد على تحقيق هذا التوازن ما تقوم به عمليات الضبط الاجتماعى وآليات التلاؤم من عمليات تعزيز • وقد كان اهتمامنا لتقييم جوانب كل عنصر ومدى تكامله بنائيا مع العناصر الأخرى فى عملية تغير المجتمع •

أضف لذلك ان بعض عناصر النسق قد تعانى من القصور الوظيفى وان هذا القصور قد يؤدى لحالة من التوترات الداخلية نتيجة للاستجابة المماثلة من الانساق للأداء الوظيفى للنسق بالنسبة لها • الا ان التوترات تحل نفسها بنفسها وصولا لحالة التوازن فى النسق ومن ثم كان تناولنا للتفاعل بين عناصر النسق الاجتماعى وجوانبه المختلفة للتعرف على درجات ارتباطها واسهامها فى عمليات التغير •

ونتيجة لحالات التلاؤم والاستجابات القائمة بين العناصر وبعضها نجد ان التغير ذات طبيعة تلاؤمية أكثر من كونه مفاجئا • ولذلك كان تناولنا للتغير الاجتماعى فى النسق باعتباره تحولات متوازنة فى عناصره البنائية وبعض وظائفها اما عن مصادرة فقد تناولناها متسقين مع الفهم الوظيفى للمصادر الداخلية والخارجية ومدى استجابتها لبعضها •

هذا فضلا عن اهتمامنا بمؤشرات الاتفاق العام وأثرها على خلق التكامل فى المجتمع فى ظروف تغيره ، ومن ذلك سوف نشتق مؤشرات القضايا المنهجية للدراسة للتعرف على ابعاد التغيرات التى تعرض لها المجتمع الاردنى كنسق اجتماعى ومدى اتساق هذه القضايا المنهجية مع التعميمات النظرية واسهامها الوظيفى فى الكشف عن ابعاد فروض الدراسة الاساسية التى تدور حولها الدراسة الامبيريقية وبذلك تكون قد أدرجنا مصادرات التصور مع قضايا التجريم وتناولناها على أساس المقارنة فى ضوء معطيات الدراسة حول ظاهرة التغير بالمجتمع الاردنى

* * *

ثالثا ــ الاسس المنهجية لدراسة التغير الاجتماعى :

واذا كانت الاسس النظرية للتصور الوظيفى لها هذه القدرة من الاسهام فى توجيه العمل الامبيريقى وانتقاء تكنيكاته فى ضوء الفروض والقضايا المنهجية المتسقة من المصادرات النظرية التى تستند اليهــا النظرية الوظيفية فى فهم المجتمع ومسار تطوره فذلك لأن الوضــع النظرى يمارس تأثيره فى تحديد المفهومات المرتبطة بالموضوع والقضايا والفروض والمدخل المنهجى والتكنيكات التى يستعان بها فى تناول الظاهرة بالدراسة وفى جانب منهج التحليل للعلاقة القائمة بين العناصر البنائية المكونة للنسق نجد ان مستوى التجريد يؤثر على منهج التحليل والقضايا التى تدور حولها عملية التحليل تلك ويرجع ذلك فى اســاسه الى ان التجريد له ضرورة واضحة فى فهم الواقعة الاجتماعية الفعلية • وقــد نوقشت اجراءات التحليل الرسمى للوظيفة بهدف تكشف جوانب الغموض التى تكتنف التجريدات النظرية وصعوبة تطبيقها على الواقع وذلك لانها تغطى بعض عناصر الواقع والعلاقة القائمة فيما بينها فى الوقت الذى يتسم فيه هذا الواقع بالتعقيــد الذى يقتضى تجريدا أكثر عمومية • هــذا بالاضــافة للتفــاوت الذى يكون بين الاطار الفرضى (الاطــار التصورى) والملاحظات الواقعية حول الواقع الاجتماعى • وهنا تكون مشكلتنا المنهجية مزدوجة لقيام التفاوت بين التجديدات النظرية المحدودة وطبيعة الواقع المعقد ، والتفاوت بين الاطار الفرضى اعنى الفروض المشتقة والملاحظة الواقعية • ومن ثم كان من الضرورى مواجهــة هذه المشكلة المنهجية المرتبطة بالتجريد من ناحية والتحليل الفعلى من ناحية أخرى • ولذلك اتخذنا من الأسس النظرية للنظرية الوظيفية أساســا نظريا يتم فى ضوئه وصف الواقع وتنظيم المعطيات الاجتماعية حوله • ويساعدنا لادراك الابعاد والعلاقات الجوهرية فى الواقع الاجتماعى وتفسير الظواهر الاجتماعية وبذلك تجددت الوظيفة المنهجية لاسس النظرية فى وضوح الرؤية غير ان حل المشكلة المنهجية المشار اليهــا

يقتضى القيام باشتقاق قضايا منهجية من المصادرات النظرية تلك بحيث تكون اكثر اتساقا مع طبيعة الواقع وأكثر قابلية لعملية التحقق وفحص الواقع الاجتماعى وذلك تمهيدا لاشتقاق فروض الدراسة •

ولما كان موضوع الدراسة مرتبطا بقضية التغير الاجتماعى فـان اشتقاق الفروض الدراسية من المصادرات لجردة للنظرية الوظيفيـة إجراء منهجى يسهم فى عملية نفى هذا التفاوت القائم بين التعميمـات النظرية والواقع وتجعلها أكثر قابلية للمعالجة الامبيريقيـة ومن ثـم تحددت القضايا المنهجية المشتقة للدراسة على النحو التالى :

١ ــ ان التصور المتكامل للتغير كظاهرة اجتماعية يقتضى عدم الفصل بين جوانبه الثقافية والاحتماعية والشخصية عند تناوله بالدراسة •

٢ ــ ان العملية الاجتماعية للتغير تستند الى مجموعة العوامل المتعددة والمترابطة مع بعضها •

٣ ــ ان تعدد هذه العوامل متسـق مع العناصر المكونة للنسـق الاجتمـاعى •

٤ ــ ان الأداء الوظيفى للعناصر يتكامل مع العناصر البنائية فى دعم عملية التغير •

٥ ــ ان استجابة العناصر التلاؤمية تدعم عملية التغير التلقائى •

٦ ــ ان القصـور الوظيفى للعنصر يؤثر على الأداء الوظيفى للعناصر الأخرى ، المتفاعلة معه مما يعجل بعملية التغير •

٧ ــ ان التغير فى وظيفة العنصر البنائى لا يقتضى تغير هذا العنصر •

٨ ــ ان مصادر التغير الخارجية تتمثل فى الجوانب الثقافيـة والجوانب الشخصيـة •

٩ ــ اما المصادر الداخلية للتغير فتمثل فى التوترات المرتبطة بالقصور الوظيفى لبعض عناصر النسق •

١٠ ــ ان الانساق الفرعية وعناصرها البنائية تسهم فى عملية تغير النسق الاجتماعى الكبير •

١١ ــ ان تحليل العلاقات بين الانساق الفرعية وبينها وبين النسق الكلى يمثل الاساس الجوهرى فى عملية التفسير للوصول الى تعميمات ثابتة وصادقة وشاملة حول ظاهرة التغير وفروض دراستها فى المجتمع الاردنى المتحضر •

١٢ ــ ان التأليف بين المدخل البنائى والمدخل الدينامى فى دراسة التغير يتسق مع الرؤيا الوظيفية التى تنظر للنسق نظرة كلية باعتباره متضمنا لعناصر متباينة لها اداء وظيفى متساند •

١٣ ــ ان التأليف بين البعد الواحد للتغير الاجتماعى والابعاد المتعددة لا ينطوى على اية متناقضات ولكنه بمثابة ضرورة منطقية ومنهجية يقتضيها الفهم العميق طالما ان البعد الواحد يجرد من الخصائص المشتركة والعلاقات القائمة بين الابعاد المتعددة للتغير •

وسوف نتناول هذه القضايا المنهجية بشىء من التفصيل لايضاح ابعادها والعلاقة التى تتناولها ودرجة اتساقها مع المصادرات النظرية الواردة فى معالجة الاسس النظرية لمعالجة ظاهرة التغير الاجتماعى فى ضوء النظرية الوظيفية لتحديد وظيفتها فى اشتقاق الفروض ومعالجتها وتفسيرها •

القضية الأولى :

ارتباط التصور المتكامل للتغير لظاهرة اجتماعية بعدم الفصل بين الجوانب الثقافية والاجتماعية والشخصية • اذ ان الواقع الاجتماعى يحوى جوانب ثلاثة تتمثل فى الجوانب الاجتماعية والثقافية والشخصية

ولما كانت الظواهر الاجتماعية تشكل فى جملتها هذا الواقع الاجتماعى ولما كنا نتناول التغير كظاهرة اجتماعية تتضمن هذه الجوانب الثلاثة فقد بات ضروريا تناول التغير من ابعاده المختلفة الثقافية والاجتماعية والشخصية وهذا التناول يتسق مع القضية النظرية الأولى الخاصة بالنظرة الكلية للنسق الاجتماعى • باعتباره متضمنا لمجموعة من العناصر المتكاملة بنائيا والمتساندة وظيفيا فى عملية دعم وجود النسق وبلوغ اهدافه •

ومن ثم نتناول الجوانب الثقافية بتحليل عناصرها المختلفة المتمثلة فى القيم والمعانى والمعايير المنظمة لسلوك الأفراد واتجاهاتهم حيال القضايا العامة •و غيرها من الأمور التى تعكس طبيعة التغير فى المجتمع الاردنى الحديث كما نتناول الجوانب الاجتماعية بتحليل الانساق الفرعية مثل النسق الاقتصادى والنسق الأسرى ونسق السلطة •• الخ • والجوانب الشخصية من خلال الميول والاتجاهات والدوافع والسلوك فى المواقف المختلفة وتتوزع معالجتنا لهذه القضية فى الفصل السابع الذى تناولنا فيه خصائص المجتمع الاردنى الحديث كنسق اجتماعى يحوى مجموعة من الانساق الفرعية على المستوى الثقافى والاجتماعى والشخصى وما طرأ عليها من تغير ثم عالجنا بعد ذلك بشىء من التفصيل معطيات الدراسات الميدانية للتغير بمدينتى السلط والزرقاء على أساس هذا الفهم حيث تعرضنا لمظاهر التغير الثقافى والاجتماعى والشخصى • حيث تناولنا فى الفصل الثامن مظاهر التغير الثقافى وفى الفصل التاسع مظاهر التغير الاجتماعى والشخصى •

القضية الثانية :

الخاصة باستناد العملية الاجتماعية للتغير الى مجموعة المعتقدات المترابطة مع بعضها وهذه القضية تتسق فى منطقها التعميمى مع القضية النظرية الثانية الوظيفية والتى تشير لتعدد العوامل وترابطها فى عملية

التغير [٣٤] • ونظرا لاتساق القضية النظرية الثانية مع القضية الأولى فان ذلك يعكس آثار مماثلة فى صياغتنا للقضية المنهجية الثانية بحيث تأتى هذه الصياغة متسقة مع القضية المنهجية الأولى وذلك تقتضى فى المعالجة تحليل العلاقة الوظيفية والعملية القائمة بين العناصر المختلفة فى عملية التغير ودعم دينامية النسق الاجتماعى ومن ثم قمنا بتحليل العلاقات الوظيفية والعلمية بين العناصر المختلفة التى تتضمنها الجوانب الثقافية والاجتماعية والشخصية للوقوف على ابعادها المتغيرة من ناحية ومدى ادائها الوظيفى فى عملية التغير من ناحية أخرى • ووصفنا هذا التحال العلاقى فى مصفوفتين تغطى كل منهما كلا من مدينة السلط والزرقاء كنسقين اجتماعيين • وعالجنا هذه العلاقات فى الفصل العاشر •

القضية الثالثة :

اتساق العوامل المتعددة مع العناصر المكونة للنسق الاجتماعى وهذه القضية تشير الى ان عناصر النسق المرتبطة بالجوانب الثقافية والاجتماعية والشخصية هى نفسها العناصر التى تلعب دور التأثير العاملى فى دعم دينامية النسق واتجاه تغيره سواء أكانت هذه العناصر خارية أى مرتبطة بالثقافة الشخصية أو داخلية مرتبطة بالتوترات الدائرة فى الجوانب الاجتماعية نتيجة للاعاقة البنائية والتفاوت البنائى والقصور الوظيفى لبعض العناصر •

القضية الرابعة :

تشير لارتباط الأداء الوظيفى للعناصر بسلامة العناصر البنائية وعدم تفاوتها وهذه القضية تدعم الفهم الوظيفى للنسق المتغير من حيث شموله على جانبين بنائى ووظيفى • ولذا يتسق منطق التحليل العملى مع منطاق النظرية الوظيفية فى تناول النسق الاجتماعى •

---

(٣٤) Berghe, Van Den : Op. cit . p. 202.

القضية الخامسة :

وهى القضية الخاصة بالاستجابة التلاؤمية من العناصر لدعم عملية التغير التلقائى • وهذه القضية تتسق فى منطقها مع المصادر النظريه الثالثة للنظريه الوظيفية والتى تؤكد ان التغيرات تلقائية ولا تحدث فجائية نتيجة لعملية التلاؤم مع التغير الخارجى (ثقافى ـ شخصى) والتى يدعمها الضبط الاجتماعى فى النسق وذلك لأن النسق لا يكون فى حالة تكامل تام الأمر الذى يدعم عملية التوازن الدينامى فى النسق نتيجة للاستجابة التلاؤمية وميل النسق للتكامل • والذى لا يكون تاما نتيجة لوجود بعض جوانب القصور الوظيفى • والاعاقة البنائية لبعض عناصر النسق الاجتماعى •

القضية السادسة :

الخاصة بتأثير القصور الوظيفى لعنصر على الأداء الوظيفى للعناصر الأخرى واداء النسق الكبير لعناصره الفرعية فهى ذات دلالة بالغة الاهمية فى عملية التحليل الوظيفى لتغير النسق الاجتماعى • وذلك لأنها تلقى الضوء على العناصر التى تكون مصدرا للتوترات ومدى اسهام بعض العناصر فى تكييف هذه التوترات وذلك ما نكتشفه من علاقة العوامل ببعضها من ناحية وعلاقتها بالنسق الكبير للتغير من ناحية أخرى •

القضية السابعة :

الخاصة بعدم ارتباط تغير وظيفة العنصر البنائى بتغير هذا العنصر •

والقضية الثامنة :

الخاصة بمصادر التغير الخارجية •

القضية التاسعة :

الخاصة بمصادر التغير الداخلية •

القضية العاشرة :

الخاصة بالاسهام الوظيفى للعناصر الفرعية فى عملية تغير النسق فهى قضايا منهجية فرعية تساعد فى عملية اختبار فروض الدراسة المسبعة • وتزيد من فهمنا لابعاد هذا العمل فى عملية التفسير •

القضية الحادية عشرة :

تشير لاهمية تحليل العلاقة الوظيفية بين الانساق الفرعية وعناصرها والنسق الاجتماعى الكبير وسلامه عملية تفسير التعميمات حول عملية التغير ووثباتها وصدقها • وذلك لأن هذا الاساس التفسيرى يتسق فى منهجيته ومنطقه مع السياق النظرى والمنهجى العام الذى تستند اليه فى عملية تحليل مظاهر التغير فى النسق الاجتماعى •

القضية الثانية عشرة :

وهى تتعلق بالاساس المنهجى فى معالجة التغير الاجتماعى بالمجتمع الاردنى حيث يتسق هذا المدخل التحليلى فى منهجيته مع النظرية الوظيفية ومدخلها التحليلى وذلك لأن المتطلبات العلمية للنظرية الوظيفية تؤكد على أهمية التفسير ليس فقط للأحوال التى فى ظروفها توجد عناصر الظاهرة ومكوناتها البنائية ولكن تهتم أيضا بالأحوال التى تؤدى لتغيرها [٣٥] ومن ثم كان المدخل النظرى والعملى للتحليل فى النظرية الوظيفية لفهم الوقائع الاجتماعية مهتما بتحليل الجوانب البنائية والجوانب الوظيفية (الدينامية) فى النسق [٣٦] ولهذا يكون التأليف بين المدخل البنائى والمدخل الوظيفى بالاضافة الى اتساقه النظرى والمنهجى مع المدخل التحليلى للنظرية الوظيفية فى فهم ظاهرة التغير

---

(٣٥) Barber : op. cit . p. 133.

(٣٦) Levy . M : op . cit pp. 21 - 22.

كظاهرة اجتماعية مما يساعدنا على فهم الظاهرة من جوانبها المختلفة أى فهمها وهى فى حالة ثبات وفهمها وهى فى حالة تغير • أما التأليف بين الجانبين فيتمثل فى استخدام العناصر البنائية فى التحليل البنائى ثم تحليل التفاعل القائم فيما بينها وعلاقتها الوظيفية ببعضها [٣٧] • وقد حققنا هذه المعالجة المنهجية على المستوى النظرى فى تعين أبعاد المدخل البنائى والمدخل الوظيفى فى تحليل التغير ومدى تكاملها بنائيا وتساندها وظيفيا فى استكمال الصورة والرؤيا حول ظاهرة التغير وذلك ما تم على المستوى المنهجى فى الفصل الثامن والتاسع بالنسبة للتحليل البنائى والفصل العاشر بالنسبة للتحليل الوظيفى (الدينامى) للتغير الاجتماعى • ورغم ما بين الفصول الثلاثة من انفصال شكلى الا انهـا تتكامل مع بعضها فى تناول الظاهرة وترتبط ببعضها ارتباطا منطقيـا ومنهجيا لاعتمـاد عملية التحليـل على نفس العنـاصر المكونة للنسق الاجتماعى وظاهرة التغير فى المجتمع الأردنى •

القضية الثالثة عشر :

وتتعلق بالجانب المنهجى الخاص بعدم انطواء عملية التأليف بين البعد الواحد والابعاد المتعددة فى تحليل التغير الاجتماعى على أية تناقضات وذلك لأن التعميم للبعد الواحد للتغير يتم على اساس التجريد من الخصائص المشتركة والعلاقات القائمة بين العناصر البنائية ووظائفها فى النسق وعلى مستوى عمليـة التغير الاجتمـاعى • وبذلك يكون التحليل للابعاد المتعددة للتغير منسقة فى منطقها وتجريداتها مع تعميمات البعد العام للتغير ومنطقه وتجريداته [٣٨] • وذلك يشير الى أن الابعاد المتعددة تنتمى للبعد العام للتغير الاجتماعى وتسهم فى عملية التجريد على مستواه •

---

(٣٧) د. السيد شتا : الاغتراب الاجتماعى ، المرجع السابق ، ص٦٠٢

(٣٨) د . السيد شتا : المرجع السابق ، ص ٥٤١ — ٦٠١ •

وفى ضوء هذه القضايا النظرية والمنهجية والمفاهيم الوظيفية المرتبطة بتحليل التغير والتى تشكل ابعاد الاطار التصورى العام لدراسة التغير الاجتماعى فى ضوء النظرية الوظيفية ، فضلا عن التحليلات المتعلقة بالتغير الاجتماعى وعلاقته بالحضرية والتنمية والتحديث أمكن اشتقاق فروض الدراسة التى حققت الرابطة بين الجانب النظرى والميدانى من الدراسة وأوضحت العلاقة القائمة بين ظاهرة التغير الاجتماعى والمستوى الحضارى للمجتمع الاردنى •

* * *

رابعا ـ الفروض الاساسية المستخلصة لدراسة التغير الاجتماعى فى ضوء قضايا الوظيفية :

من واقع التحليلات النظرية السابقة لقضية التغير فى المجتمع الحضرى تبين ان معدلات التحضر فى المجتمعات النامية تنمو بسرعة على النمو الذى لا تسمح فيه لتلك المجتمعات ان تستوعبها وبان تجد حلولا لمشاكلها • ومن ثم تواجه المجتمعات النامية فى مراحل تغيرها بالعديد من المشاكل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والشخصية •

ولما كان للمدينة تأثيرها على الافعال والنظم والعلاقات الاجتماعية العوامل التى تؤثر فى بعضها خلال تغير المجتمع وتحضره ، فقد بات ضروريا تحديد خصائص هذه العوامل وابعادها واتجاه تأثيراتها لامكان ترشيدها بما يكفل سير عملية التغير فى المجتمع الحضرى فى مسارها الصحيح وبمعدلها المطلوب •

ونحن بذلك نتناول « التغير الاجتماعى على انه التغيرات التى تحدث فى بناء المجتمع ووظائفه المتعددة • ولما كانت التغيرات الثقافية مرتبطة فى بعض جوانبها بالنظام الاجتماعى ، فان تناولنا للتغيرات الثقافية يكون بالقدر الذى نلمس فيه تأثيرها على التنظيم الاجتماعى بقواعده وصوره المختلفة •

ولما كانت المجتمعات البشرية حصيلة تفاعل مجموعة مختلفة من

فى الوقت الذى بدأ فيه النمو الحضـــارى يتزايد بشكل ملحوظ فى الدول النامية • فقد بات ضروريا تناول مظاهر التغير الاجتماعى فى المجتمع الحضرى لايضـــاح ابعاد التغيرات الاجتماعية ومصـــادرها واتجاهاتها فى المجتمع الاردنى كدولة نامية تزداد بها معدلات التحضر ودرجاته بشكل ملموس ، فى مدنه التى اتسع نطاقها وازدادت بهـــا خصائص الحضرية وما صاحب ذلك من تاثير على عناصر البناء الاجتماعى ووظائفهـــا ممـــا أدى الى ضرورة التخطيط الحضرى لتوجيه التغير الاجتماعى ومواجهة المشاكل الاجتماعية المختلفة بالمدن الحضرية (٣٩) •

ولمـــا كانت النظرية الوظيفية تهتم فى تحليلها لظاهرة التغير بالنظرة الكلية للنسق وبالتغيرات التدريجية التى تحققهـــا ميكانيزمات التلاؤم والتوازن الدينامى فى النسق الاجتماعى • فقد سعينا لاشتقاق فروض الدراسة بحيث تتسق مع طبيعة فهمنا للتغير الاجتماعى ، وظروف الحياة الحضرية من ناحية ، مع الاستعانة بابعاد النظرية الوظيفية وفهمها لقضية التغير الاجتماعى فى المجتمع الحضرى كنسق اجتمـــاعى من ناحية أخرى • وبذلك تأتى فروض الدراسة فى خاتمة الفصـــل الخامس من الباب الأول بمثابة استهلال للدراسة الميدانية ، فضـــلا عن كونها محققه للرابطة المنطقية بين التحليلات النظرية لقضية التغير فى المجتمع المتحضر وبين دراستنا لظاهره التغير الاجتمـــاعى فى المجتمع الاردنى المتحضر • وفيما يلى نحدد فروض الدراسة التى تشير الى :

● **الفرض الأول :**

« ان التحضر فى المجتمع الاردنى ارتبط بنمو اقتصادى وتغير ثقافى واجتماعى سريع مما ترتب عليه تغير الاسلوب العام للحيـــاة واتجاهه نحو التحضر » •

---

(٣٩) Baali, F. & Vandiver, Joseph : Urban Sociology . N. Y. Meredith Corporation , 1970 . p. 362.

● **الفرض الثانى :**

« ان لبقايا الطابع التقليدى على المستوى الثقافى والاجتماعى والشخصى أثرها المعوق للمشروعات المستحدثة » .

● **ألفرض الثالث :**

« ان لتغير نمط الانتاج فى مدينتى السلط والزرقاء أثره الواضح فى تحضر المدينتين » .

● **الفرض الرابع :**

« ان تجربة التحضر فى ا لمجتمع الاردنى تتم فى ظروف اقتصادية صعبة لا تمكنه من مواجهة مشكلات التغيرات الثقافية والاجتماعية » .

● **الفروض الخامس :**

« ان تغير المجتمع الاردنى المتحضر يخضع لتفاعل الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وتأثير كل منها على الجوانب الأخرى » .

● **الفرض السادس :**

« ان الحياة بالمناطق الحضرية تؤدى الى تزايد التطلعات الاجتماعية والاقتصادية ، ومن ثم الى التفاوت بين التطلعات المتزايده ، والقدرات المتاحة لدى الأفراد لتحقيقها » .

● **الفرض السابع :**

« انه رغم الحياة المتحضرة بمدينتى السلط والزرقاء فمازال انتماء الأشخاص لجماعاتهم المحلية قويا مما يؤثر على مواقفهم من التغيير والتجديد » .

هذه هى الفروض الاساسية للدراسة والتى يتناولها الفصل السادس من الكتاب • وهى تتسع لتغطى جوانب عدة من ظاهره التغير من ناحية ، والخصائص الحضرية فى مدن المجتمع الأردنى المتحضر من ناحية أخرى • وذلك لكى نستطيع بعد اختبارها وتحليل معطيات الدراسة حولها ان نرى الصورة الكلية لما عليه ظاهرة التغير فى ظروف المجتمع الاردنى المتحضر والذى يتجه بسرعة فى جميع مدنة للتغير نحو الحضرية •

والواقع ان اشتقاق هذه الفروض جاء نتيجة المعالجة النظرية لقضية التغير فى ضوء النظرية الوظيفية من ناحية وتحليل خصائص وظروف المجتمع الحضرى من ناحية أخرى • وذلك لنوفر الدقة للدراسة فى عملية تفسير التغير الاجتماعى فى المجتمع الاردنى المتحضر والتعرف على كفاية النظرية الوظيفية فى تحليل ظاهرة التغير فى المجتمع الأردنى المتحضر كدولة نامية تزداد بها مظاهره الحضرية فى الآونة الأخيرة •

ونحن بذلك نحقق الرابطة بين الجانب النظرى والجانب الميدانى من الدراسة •

كما اننا بتحديد هذه الفروض نوفر للدراسة التوجيه النظرى الذى يجعلها تسير فى مسارها العلمى الصحيح سواء على مستوى التجريب واختبار الفروض أو تفسيرها • مما يجعلنا نصل الى تعميمات صادقة وثابتة وشاملة حول ظاهرة التغير الاجتماعى فى المجتمعات النامية •

* * *

الفصل السادس

نموذج التحليل الوظيفي التغير فى النسق الاجتماعى

نستهدف بهذا الفصل التعرف على الفاعلية الاجتماعية بالنسق الاجتماعى وأنساقه المتغيرة بمدينتى السلط والزرقاء . وذلك لأن التعرف على العناصر البنائية المتغيرة فى النسق الاجتماعى يغطى جانبا معينا فى التحليل الوظيفى للتغير . أما معرفة الأحوال والفاعلية التى أدت لهذا التغير ومدى اسهام هذه العناصر فى عملية التغير وتلاؤمها مع التغيرات فذلك ما يحدده التحليل الوظيفى الدينامى لهذه العملية التى تقضى للتغير الاجتماعى فى النسق الاجتماعى . وذلك لأن للأداء الوظيفى وللأعاقة الوظيفية أثرا على عملية التغير من حيث : أن الأداء الوظيفى يكشف عن درجة الاستجابة التلاؤمية من العناصر لمصادر التغير الأمر الذى يدعم عملية التوازن الدينامى فى النسق . اما عملية القصور الوظيفى فتسهم فى ايجاد الظروف التى تقلل من درجة التكامل والتى تدفع بالعناصر الأخرى لتستجيب لها استجابة تلاؤمية . هذا بالاضافة الى التعرف على حالة اللاوظيفية التى تظهر لدى بعض الانساق فى عملية التغير والتى تكون فى حالة سلبية تماما من التغيرات الحادثة فى النسق . وذلك يشير لغياب حالة التكيف أو الاستجابة التلاؤمية لتغيرات النسق الأخرى . ومن ثم اعتمدنا فى هذا الفصل على المستوى التفسيرى الذى يعتمد على تحليل العلاقات الواردة بمصفوفتين استخلصتا من بعض الدراسات الميدانية [1] ، وذلك فى ضوء القضايا الوظيفية التالية :

---

(١) استهدفنا بهذا الفصل تقديم نموذج للتحليل الوظيفى للتغير فى الانساق الاجتماعية من واقع الدراسات الميدانية التى أجريتها على مدينتى السلط والزرقاء بالمملكة الاردنية الهاشمية كنسقين اجتماعيين ، وذلك بتحليل التساند الوظيفى بين عناصر الانساق المتغيرة فى ضوء قضايا المنظور الوظيفى فى علم الاجتماع .

* ان التصور المتكامل للتغير كظاهرة اجتماعية يتناول التأثير بين الجوانب الثقافية والاجتماعية والشخصية •

* ان العملية الاجتماعية التغير تستند الى مجموعة من العوامل المتعددة المترابطة مع بعضها •

* ان تعدد العوامل متسق مع عناصر النسق والتى تتساند مع الأداء الوظيفى فى دعم عملية التغير •

* ان استجابة العناصر التلاؤمية تدعم عملية التغير التلقائى •

* ان تحليل العلاقات بين الانساق الفرعية وبينها وبين النسق الكلى تمثل الاساس الجوهرى فى عملية التفسير •

وتناولنا لهذه القضايا يتضمن بالتالى تناول القضيتين المنهجيتين المتمثلين فى اهمية التأليف بين الجانب البنائى والجانب الدينامى فى تحليل ظاهرة التغير ودرجة الاتساق بين البعد الواحد والابعاد المتعددة للتغير الاجتماعى فى النسق • هذا بالاضافة الى مجموعة القضايا الفرعية الأخرى المرتبطة بالتحليل الوظيفى للتغير وفى ضوء ذلك الحوار يتحقق اختبارنا لفرضين اساسيين من فروض الدراسة وهما الفرض الثالث الذى يشيرالى ان لتغير نمط الانتاج والجوانب الاقتصادية فى منطقتى السلط والزرقاء أثره الواضح فى تحضر المنطقتين وتغيرهما • وتناول الفرض الخامس الذى يشير الى أن تغير المجتمع الأردنى المتحضر يخضع لتفاعل الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والشخصية وتأثير كل منهما على الجوانب الأخرى • ولاختيار هذين الفرضين والتأكد من صدقهما نعتمد على الاسلوب التفسيرى لتفاعل عناصر النسق المتغيره • ومن ثم نسير فى تحليلنا للعلاقات الوظيفية بين عناصر النسق الاجتماعى فى المسالك التفسيرية التالية :

التساند الوظيفى بين المكانة الاجتماعية الاقتصادية وعناصر النسق المتغيرة •

- تفاعل عناصر الجوانب المختلفة للنسق الاجتماعى المتغير ٠

- تفاعل عناصر الجوانب الثقافية والشخصية مع عناصر الجوانب الاجتماعية التى تعانى من التوتر ٠

- الاسهام الوظيفى للانساق الفرعية فى عملية التغير الاجتماعى ٠

- المعطيات المعرفية للتحليل الوظيفى للتغير فى النسق الاجتماعى ٠

* * *

أولا ــ التساند الوظيفى بين المكانة الاجتماعية الاقتصادية وعناصر النسق المتغيرة :

ان تحديد المكانة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة أمر غاية فى الاهمية عند تحليل التفاعل بين انساق النسق الاجتماعى خاصة وان هذه المكانة تعكس بعدا عاما فى التحليل لأن الأسرة تعالج فى هذه الدراسة باعتبارها نسقا اجتماعيا • ولذلك يؤثر الوضع المهنى والاقتصادى والتعليمى والاجتماعى ، والملكية التى فى حيازتها ومصادر دخلها على الرؤيا العامة للمجتمع وقضاياه ودرجات الاستجابة والتفاعل معه • ومن ثم تكون للمكانة دلالة واضحة فى عملية التغير الاجتماعى نظرا لاختلاف استجابات الأسر للتغيرات الجديدة طبقا للطابع الثقافى الذى يتوافر لها والمستوى التعليمى المتاح لها • والوضع الاقتصادى الذى يتمتع به والذى يكسبها ميزات اجتماعية معينة ويحدد لها اطار علاقات معينة ، ويعطيها هيبة ومكانة بين الأسر فى المجتمع • ومن ثم كان التعرف على تفاعل المكانة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة بالتغيرات التى تطرأ على المستوى الثقافى ، والمستوى الاجتماعى والمستوى الشخصى أمرا فى غاية الاهمية •

١ ــ علاقة المكانة الاجتماعية والاقتصادية بالتغيرات الثقافية :

والمصفوفة التالية توضح التفاعل بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية والتغير فى الجوانب الثقافية بمدينتى الزرقاء والسلط •

العناصر المتغيرة / قيمة الارتباطة بالمكانة	التغير فى الظـــرف الســكنية	التغير فى الظــروف التنشــئة	تغيرا لميل لاســتخدام الادوات الحديثة	التفكير الثقافى التقليدى	التغير فى ادراك قضــايا المجتمــع
	4	--	4	4	4
مدينة الزرقاء	١٥٢ر٨	١٠ر٦	٣٥ر٢	٦٧ر٦	٦٣ر٣
	4	4	4	4	3
مدينة السلط	٤٨ر٢	٢٢ر٧	٧٩ر٦	٢٥ر٤	٩ر٢

٤ = دالة عند مستوى ١٠٠ر٠

٣ = دالة عند مستوى ٠١ ر٠

ـ = لا توجـــد دالـــة .

ومن المصفوفة يتضح ان العلاقة قوية بين المكانة الاجتماعيــة والاقتصادية والتغير فى الظروف السكنية وهى التى تعكس الجانب المــادى من الثقافة وذلك يرجع فى أساسه الى ان الأسرة ذات المكانة الاجتماعية والاقتصادية العالية تكون ميالة للاقامة فى مســاكن تليق بوضعها الاجتماعى والاقتصادى وتوفر من الظروف السكنيــة ما يتفق وهيبتها وسلطة الأسر كما انها تفضل الاقامة فى مواقع سكنية أكثر تقدما وتحضرا من الأسر الأقل مكانة والعلاقة هنا قوية جدا وذلك يكشف عن وجود علاقة اطرادية بين المكانة الاجتماعية والتغير فى الظروف السكنية فى مدينتى الزرقاء [٢] والسلط [٣] . كما انه يشير الى ان العلاقة ذات طبيعة ايجابية فكلما ارتقت المكانة الاجتماعية والاقتصادية كلما تزايد الميل لتحسين الأوضاع السكنية للأسرة أما بالنسبة للعلاقة بين المكانة الاجتماعية الاقتصادية والتغير فى ظروف التنشئة فيتبين من المصفوفة ان الارتباط ضعيف [٤] بين المكانة والتغير فى ظروف التنشئة وذلك لأن

(٢) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠٠ر٠

(٣) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠٠ر٠

(٤) قيمة كا٢ = غير دالة .

ظروف مدينة السلط تختلف عن ظروف مدينة الزرقاء اذ ان معظم المقيمين بمديية الزرقاء قادمون من مناطق مختلفة ونظرا لأن قدومهم مرتبط بظروف العمل نتيجة لتوفر عدد من المصانع بمدينة الزرقاء كما أنها مركز تجارى بالاضافة الى كونها مركزا هاما . نجد ان الغالبية منهم من مدن أو قرى ذات طابع ريفى أى ان ثقافتهم تقليدية ونادرا ما تتم الهجرة من المناطق المتحضرة بصورة أكثر الى منطقة حضارية أخرى أقل من حيث المستوى الحضارى ولذا لم تظهر دلالة للعلاقة هنا . اما بالنسبة لمدينة السلط فان التغير قوى جدا وذلك لوجود عامل التعليم بوضوح فى هذه المدينة فالسلط تتجه منذ زمن بعيد للتعليم ولذلك ترتفع نسبتها بشكل ملحوظ ومعظم الذين يتلقون تعليمهم فى السلط يقيمون بمناطق حضارية وذلك يكشف عن ان دلالة العلاقة القائمة بين المكانة وظروف التنشئة كما ان سكان هذه المدينة ذات أصل ثقافى واحد ومن ثم كانت العلاقة قوية بين المكانة وظروف التنشئة [٥] .

وبصورة عامة يكون للظروف المختلفة بالنسبة لمدينتى السلط والزرقاء خاصة الانساق الاجتماعية مثل التعليم ، والمهن الصناعية والتجارية أثر فى تعيين العلاقة بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية وظروف التنشئة وما يترتب عليها من وجود ثقافة تقليدية أم ثقافة نصف حضرية أو ثقافات حضرية ... اضف الى ذلك ان مكانة الأسرة تؤثر على الطابع الثقافى العام للأسرة اذ ان الأسر ذات المكانة الاقتصادية العالية توفر ظروفا مثل التنشئة والاحتكاك بالثقافة الحضرية أكثر من الأسر ذات المكانة الأقل .

واذا ما ناقشنا العلاقة بين المكانة الاجتماعية الاقتصادية وتغير الميل لاستخدام الأدوات الحديثة سواء أكانت أدوات منزلية أو أدوات حديثة فى العمل تبين لنا انه كلما ارتفعت المكانة الاجتماعية والاقتصادية كلما زاد الميل لاستخدام الأدوات الحديثة وذلك ما توضحه العلاقة بين

---

(٥) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠٠ر٠

الجانبين على مستوى مدينة الزرقاء (٦) ونفس الحالة بالنسبة لمدينة السلط (٧) • وذلك يشير الى ان ظروف المكانة تؤثر على امكانية استخدام الآلات الحديثة والميل لادخالها فى مجال المنزل والعمل •

هذا فضلا عن أن الأسرة ذات المكانة الاجتماعية والاقتصادية العالية قد تدخل فى حسابها اقتناء الأدوات الحديثة تجسيدا لهيبتها ومكانتها الاجتماعية والاقتصادية •

اما بالنسبة للعلاقة بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية والتغير فى التفكير التقليدى المتعلق بالاعتقاد فى التعاويز والمشايخ ••• ورفض التعامل مع الأمور العصرية فى العلاج والوضع • والاقتناع بالأمور التقليدية • وزيادة حدة التقاليد لديهم ••• فنجد ان هذه الأمور تتغير بشكل واضح بتغير مكانة الأسرة الاجتماعية والاقتصادية وذلك ما هو واضح على مستوى مدينتى الزرقاء والسلط (٨) حيث نجد ارتفاع المكانة مصحوبا بارتفاع فى نسبة الذين لا يؤمنون بالتفكير الخرافى ونفس الحال بالنسبة لمدينة السلط (٩) • وذلك لأن الأسر ذات المكانة الاقتصادية والاجتماعية العالية تميل لتعليم الابناء وتوفر لها ظروف تعليمية وثقافية لا تتوافر للأسر الأقل فى مكانتها كما أنها تحتك بالثقافة الحضارية وكل هذه الأمور من العوامل الفعالة فى عملية تغير المعتقدات والتقاليد والطابع التقليدى بوجه عام •

أما عن علاقة المكانة الاجتماعية والاقتصادية بالتغير فى ادراك قضايا المجتمع فذلك ما توضحه المصفوفة على مستوى الزرقاء والسلط اذ ان ارتفاع المكانة يرتبط بشكل مباشر بالتغير فى ادراك قضايا المجتمع

---

(٦) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠٠ر٠

(٧) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠٠ر٠

(٨) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠٠ر٠

(٩) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠٠ر٠

فكلما كان الوضع الأسرى والمكانة الأسرية ارفع كلما كان هناك فاعلية واستجابة للقضايا العامة فى المجتمع وذلك يتسق فى منطقة مع الوضع العام فى المجتمع الاردنى اذ ان الأسر ذات المكانة العالية هى التى تشغل نفسها بأمور السياسة والاقتصاد والثقافة وكافة صور القضايا العامة والتى لا تكون الأسرة الأقل مكانة مهتمة بها بهذا القدر نظرا لانهما كما فى مشاكلها الخاصة اليومية وانشغالها فى عملية السعى من اجل تحسين الدخل ورفع المستوى فى حين ان الأسر ذات المكانة العالية لا تكون الأمور الخاصة شاغلها لانها فى حالة أفضل اضف لذلك ان القضايا العامة فى المجتمع ربما تكون ذات علاقة بظروفها الخاصة ولذا تنال مزيدا من اهتمامها •

وقد تبين ان العلاقة قوية جدا بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية وادراك قضايا المجتمع فى مدينة الزرقاء [١٠] ، وذلك يرجع فى أساسه الى أن مواطنى هذه المدينة يتفاعلون بشكل واضح مع الاحداث الجارية لما يتيسر فيها من ظروف احتكاك فى العمل الذى يتيح المناقشات العامة كما ان وجود مؤسسات بها ذات أثر ايضا اذ ان طابع العمل فيها عام ولذا تكون القضايا العامة مرتبطة بمصالحهم من ناحية ، اما بالنسبة لمدينة السلط فالعلاقة قوية ايضا [١١] • الا انها أقل فى قوتها عن مدينة الزرقاء ويرجع ذلك الى ظروف النشاط المهنى بالسلط والذى يتسم فى الغالب الاعم بالطابع الزراعى ولهذا أثره على فرص الاحتكاك كما أنه طابع النشاط هنا يمارس فى مجال خاص وليس عاما الى مجال العمل الزراعى • ولذا فان فرص الاحتكاك أقل فى كثافتها ورغم وجودها • هذا فضلا عن ان العلاقات بينها ذات طبيعة مباشرة وشخصية • ولذا تكون هناك أمور خاصة كثيرة تشد اهتمامهم ومع ذلك فان فرص التعليم المتزايدة بينهم والتى تؤثر على مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية

(١٠) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠٠ر٠

(١١) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠ر٠

تلعب دورا واضحا فى عملية دعم العلاقة بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية والتغير فى ادراك قضايا المجتمع وبذلك يكون هناك مؤشر عام واضح بين المكانة الاجتماعية وارتفاعها وزيادة الميل لادراك قضايا المجتمع ومناقشتها والاهتمام بها •

٢ ـ علاقة المكانة الاجتماعية الاقتصادية بتغير الجوانب الاجتماعية :

للمكانة الاجتماعية والاقتصادية التى تتمتع بها الأسرة علاقة بالتغير فى الجوانب الاجتماعية والتى تشمل النسق الاقتصادى والنسق الأسرى ونسق السلطة ونسق العلاقات الاجتماعية والقرابية والداخلية والخارجية والحراك بين الاجيال • والمصفوفة التالية توضح هذه العلاقة والتفاعلات القائمة بين المكانة والتغير فى هذه الجوانب •

العناصر / قيمتكا بالنسبة للمكانة	التغير فى النسق الاقتصادى	التغير فى انماط الاستهلاك	تغير مهن الإباء	الحراك المهنى بين الاجيال	التغير فى العلاقات الاجتماعية	التغير فى بناء السلطة	النسق الاسرى المتغير
	4	1	1	4	4	4	4
الزرقاء	١٤	٦٧ر٦	٧ر٥	٢٠ر٥	١١ر٢	٢٨ر٨	٤٠ر٤
	4	4	--	--	4	4	4
السلط	٣٢ر٤	٤٢ر٠١	٥ر٨	٥ر٨	٢٤ر٢	٢٨ر٤	٨٠

٤ = دالة عند مستوى ٠٠١ر٠

٢ = دالة عند مستوى ٠٢ ر٠

٥ = دالة عند مستوى ٠٥ ر٠

ـ = غير دالة •

يتبين من المصفوفة ان العلاقة بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية والتغير فى النسق الاقتصادى قوية جدا على مستوى مدينة الزرقاء [١٢] • ومدينة السلط [١٣] • وذلك لأن للوضع الأسرى

(١٢) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٠٠١ر٠

(١٣) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٠٠١ر٠

وما تتمتع به من مكانة اجتماعية واقتصادية اثر على درجة رضىا لشخص عن مستوى الدخل الذى تحققه شهريا أو درجة اقتناعها بهذا الدخل وتغطينه لمتطلباتها المتزايدة ونوع الملكية التى تفضله الأسرة وحجم رأس المال للممتلكات التى فى حيازتها والاحساس باهمية الملكية بالنسبه للمركز الاجتماعى ودرجة تأثره بها •

ويشير ذلك الى ان الأسر ذات المكانة الاجتماعية الاقتصادية تكون أكثر تغيرا بالنسبة للنسق الاقتصادى • ويصدق ذلك على المستوى السلط والزرقاء •

اما بالنسبة لعلاقة المكانة الاجتماعية الاقتصادية بالتغير فى انماط الاستهلاك فذلك يوضح الى أى حد يتغير الاتجاه نحو مجالات الانفاق فى ظروف المجتمع المتغير تبعا للمكانة الاجتماعية والاقتصادية التى تتمتع بها الأسرة اذ ان الأسرة ذات المكانة الاقتصادية العالية تميل للانفاق فى مجالات معينة واذا كانت درجة الارتباط بين المكانة والتغير فى انماط الاستهلاك بسيطة على مستوى الزرقاء (١٤) فربما يرجع ذلك لارتفاع نسب العمال بهذه المدينة الصناعية التجارية ، والتى يكون بها مستوى المكانة الأسرية منخفضا فى الوقت الذى تزداد فيها تطلعاتها تأثرا بالتغير الحضارى • أما ارتفاع دلالة العلاقة بين المكانة والتغير فى انماط الاستهلاك على مستوى السلط (١٥) ، فذلك يؤكد ما ذهبنا اليه من أن هناك علاقة قوية بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية والتغير فى انماط الاستهلاك وذلك لأن للتعليم وضوحا كبيرا فى المكانة الاجتماعية والاقتصادية وتغير الاتجاه بالنسبة لانماط الاستهلاك •

وبالنسبة لعلاقة المكانة الاجتماعية الاقتصادية بتغير مهن الآباء والتى تدخل ضمن اطار الحراك المهنى بين الأجيال وان كنا قد فردنا لها

---

(١٤) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٠٥ر٠

(١٥) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٠٠١ر٠

جانبا خاصا بالنسبة للحراك المهنى فلأن ذلك يقرر الحالة القائمة فعلا حيث تكون المهنة التى يشغلونها غير المهنة التى كان آباؤهم يشغلونها أما عن الحراك المهنى بين الأجيال فقد خصصناها للاتجاهات والرغبات المتفاعلة بين الآباء والابناء وتفضيلاتهم بالنسبة للعمل الذى يرغبون فيه والذى يفضلونه سواء من الآباء للابناء أو من الآباء لأنفسهم . وبتحليل العلاقة بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية والتغير فى مهن الآباء ، نجد أن العلاقة غير دالة على مستوى السلط [١٦] . وذلك يرجع الى أن الزراعة هى النشاط الغالب . ولذا يلعب النشاط الزراعى دورا ايضا فى دعم مكانة الأسرة ومن ثم كانت العلاقة بسيطة بين المكانة وتغير النشاط الزراعى بالسلط . ومن ثم نجد أن تغير مهن الآباء محدود الى درجة واضحة إلا فى حالة التعلم حيث يخرج الشخص لشغل وظائف أخرى غير الزراعة .

وبالنسبة لوجود علاقة بسيطة بين المكانة وتغير مهن الآباء على مستوى مدينة الزرقاء [١٧] . فذلك يرجع الى أن نسبة عالية من العمال قد ساعدتها ظروف تواجدها فى المدينة فيسرت عليها الانفاق على تعليم الابناء ، وبذلك كانت النتيجة انه رغم انخفاض المكانة الاجتماعية الاقتصادية الا أن هناك تغيرا فى النشاط المهنى ، وهذا الحراك المهنى يمكن ان يكشف فى هذه الحالة عن وجود عوامل أخرى تلعب دورا فى توجيه مسار التغير فى النشاط المهنى . واذاما تناولنا الحراك المهنى بين الاجيال نجد ان الموقف على مستوى الزرقاء يختلف اذ أن هناك حراكا مهنيا واضحا بين الآباء والابناء من واقع الميول الفعلية للآباء والابناء بالنسبة لمهن الابناء ، وهذه العلاقة قوية لانها ترتبط بالرغبات والتطلات فحتى الأسرة ذات المكانة المنخفضة تكون لها تطلعات الحراك ولكن واضح ان درجة الرضى لدى الأسر البسيطة أقوى منها لدى الأسر ذات المكانة

---

(١٦) قيمة كا٢ = غير دالة .

(١٧) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٥.ر.

الاجتماعية الاقتصادية العالية تكون تطلعاتها دائما للأفضل وللتغير ولا تتقيد بمهنة الآباء ، ولذلك كانت العلاقة قوية بين المكانة والحراك المهني من الاجيال [18] . وعلى مستوى السلط تشير العلاقة البسيطة [19] الى ما ذكر سابقا بالنسبة للتغير فى مهن الآباء .

أما عن علاقة المكانة بالتغير فى العلاقات الاجتماعية مع الجيران فذلك يوضح انه كلما ارتفعت مكانية الأسر كلما تغيرت طبيعة العلاقات الاجتماعية . وذلك ما توضحه العلاقة على مستوى الزرقاء [20] وعلى مستوى السلط لأن العلاقة قوية جدا [21] . وذلك لأن الأسر ذات المكانة العالية تكون دائرة علاقاتها مع الجيره محدودة لأنها تحيط حياتها بسياج من الترويح والاستمتاع العائلى أكثر من التردد على الجيران .

وبالنسبة للتغير فى بناء الأسرة نجد ان العلاقة قوية على مستوى مدينتى لسلط والزرقاء بين المكانة وتغير بناء السلطة [22] . حيث ان ارتفاع المكانة الاجتماعية للأسرة على مستوى المدينتين يرتبط بالتغير فى بناء السلطة ، فكلما ارتفعت المكانة زاد الميل لتغير بناء السلطة العائلية وذلك لأن حدة التقاليد تخف ويصير التحرر من القيود أكثر من الأسر ذات المكانة الاجتماعية والاقتصادية العائلية .

أما بالنسبة للنسق الأسرى المتغير ، فذلك يشير الى وجود ارتباط قوى بين المكانة وتغير النسق الأسرى [23] من حيث البناء والوظيفة على مستوى مدينتى السلط والزرقاء .

---

(١٨) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٠٠١ر٠

(١٩) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٥٠ر٠

(٢٠) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٠٢ر٠

(٢١) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٠٠١ر٠

(٢٢) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٠٠١ر٠

(٢٣) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٠٠١ر٠

ومن ثم نجد ان العلاقة قوية بين المكانة الاجتماعية الاقتصادية ، وتغير الوضع الاجتماعى بانساقه المختلفة ، وان الاستثناءات الجزئية بالنسبة لانخفاض العلاقة ترتبط ببعض المؤشرات الخاصة بظروف الحياة فى المنطقة سواء أكانت حضرية أم ريفية وبطابع النشاط المهنى ، ومستوى التعليم . فكل هذه العوامل تسهم الى حد ما فى عملية تعيين هذه العلاقة من المكانة المهنية وتغير الظروف الاجتماعية فى النسق الاجتماعى لمدينتى السلط والزرقاء .

٣ ـ علاقة المكانة الاجتماعية الاقتصادية بتغير الجوانب الشخصية :

للمكانة الاجتماعية الاقتصادية آثارها الواضحة على التغيرات الثقافية الاجتماعية على نحو ما اتضح سلفا ، وهذه الجوانب ترتبط بدورها بالجوانب الشخصية وتؤثر فيها وتتأثر بها على نحو ما ذهب سروكن (٢٤) ، وبارسونز (٢٥) ، من بعده وعدد آخر من السسيولوجيين المعاصرين والمحدثين الذين اهتموا بالتأثير المتبادل بين الجوانب الثلاثة التى يشتمل عليها الواقع والظاهرة الاجتماعية التى تشكل مع بقية الظواهر الاجتماعية هذا الواقع . ومن ثم نجد ان ارتفاع المكانة الاجتماعية والاقتصادية يرتبط ببعض جوانب التغير فى نسق الشخصية من حيث الميول والاتجاهات والسلوك فى المواقف الاجتماعية . ولذلك ما نستوضح ابعاده بتحليل العلاقة بين المكانة وجوانب الشخصية المتغيرة فى المصفوفة التالية :

---

(٢٤) Sorokin, P : Society Culture und Personolity . U. Y. Cooper Square Publishers Inc . 1962 pp. 342 - 344.

(٢٥) Parsons, T : Toward G : University Press 1957 pp. 18 - 21.

العناصر الشخصية ارتباط المكانة بالعناصر	تغير الطموح للسلطة	تغير الاتجاه نحو أساليب التربية	تغير الاتجاه نحو تنظيم النسل	تغير الاتجاه نحو التعليم	تغير الاتجاه نحو التثقيف	تغير في الشعور بالانتماء والارتباط	تغير الاتجاه نحو افراد الاسرة ومكانة المراة
	—	—	4	4	4	4	4
الزرقاء	صفر	٢ر٥	٤٢ر٤	٦٣ر٦	١١٠ر٤	٥٥ر٠	١٨ر٦
	3	3	4	4	4	4	3
السلط	١٠ر٨	١١ر٤	٤٥ر٨	٨٠ر٩	٧٩ر٦	٢٠ر٧	٤١ر٢

من المصفوفة يتضح أن للمكانة الاجتماعية والاقتصادية أثرا على تغير الاتجاه نحو السلطة • فكلما زادت المكانة زاد التغير فى الميل نحو السلطة وتغير بنائها وان كانت العلاقة غير دالة فيما بين المكانة وهذا الاتجاه على مستوى مدينة السلط فذلك يرجع الى أن التغير المفاجىء الذى طرأ على عدد كثير من الأسر نتيجة لهجرتها الى الزرقاء للعمل فى الوقت الذى ما زالت فى وضع اجتماعى واقتصادى ضعيف ونتيجة للاحتكاك بالتنظيمات والحياة التى تخلق التفاعل بين الأفراد وتسلسل السلطة قد أدى الى النظر الى تغير الوضع وتفضيل مناصب أفضل والتطلع لوضع أفضل فى السلم الوظيفى وشغل مناصب تكون السلطة فيها أكثر فى يد الأفراد • كل هذا قد أثر على هذه العلاقة ودفع بالأفراد رغم مكانتهم المحدودة للتطلع لمزيد من السلطة وتحسين الوضع فى تسلسل السلطة • أما مدينة السلط فان الحال يختلف اذ أن ارتفاع المكانة ارتبط مباشرة بالاتجاه المتغير نحو السلطة ، فكلما ارتفعت المكانة للأسرة كلما كانت رغبة اعضائها فى تحسين وضعهم بالنسبة لمراكز السلطة بصورة أفضل (٢٦) •

(٢٦) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ١٠ر٠

أما بالنسبة لعلاقة المكانة بتغير الاتجاه نحو أساليب التربيـــة فان العلاقة بين المتغيرين غير دالة على مستوى مدينة الزرقاء • وذلك يرجع الى أن التغير الذى طرأ على وضع الأسرة فى الزرقاء تغير مفاجىء نتيجة لدخول الأفراد فى الحياة الجديدة وارتفاع مكـــانتهم فى وقت محدود لا يسمح بتغير الاتجاه نحو اساليب التربية • ومن ثم غلب الإتجاه التقليدى على تفكيرهم وتفضيلاتهم بالنسبة للاساليب المستخدمة فى عملية التربية ، اما مدينة السلط فالعلاقة أقوى نتيجـــة لاستقرار الوضع وحدوث التغير بصورة تدريجية • ومن ثم تضطرد العلاقة بين المكانة وتغير الاتجاه نحو اساليب التربية فى اتجاه ايجابى بحيث اذا زادت المكانة زاد الميل لتغير الاتجاه نحو اساليب التربية [٢٧] • .

ثم تشير الارتباطات بعد ذلك الى ان العلاقة بين المكانة واتجاه نحو القضايا العامة مثل تنظيم النسل والتعليم فى اتجاه تصاعدى أو تنازلى بحيث اذا ارتفعت المكانة زاد تغير الميل والاتجاه نحوها وذلك ما هو واضح على مستوى مدينتى السلط والزرقاء [٢٨] • ونفس الحال بالنسبة لتغير الاتجاه نحو التثقيف اذ أن ارتفاع المكانة يؤثر على رغبة الأفراد فى أنواع معينة من البرامج الثقافية وألوان معينة من المعرفة وذلك على مستوى السلط والزرقاء [٢٩] •

أما عن الشعور بالانتماء والارتباط فواضح ان ارتفاع المكـــانة يؤثر على ميل الأفراد للارتباط بالتنظيمات الحديثة والتفاعل معها وذلك لتعويض ما فقدوه من انتماءات تقليدية لمجتمعاتهم المحلية •

أما بالنسبة لتغير الاتجاه نحو أفراد الأسرة ومكانة المرأة ، فالعلاقة قوية جدا على مستوى المدينتين بين المكانة العالية وتغير هذا الاتجاه •

---

(٢٧) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ١٠ر٠

(٢٨) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠١ر٠

(٢٩) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠١ر٠

فالأسر ذات المكانة العالية تتغير تفضيلاتها بين المراكز والأدوار بين الرجل والمراة وبين الاناث والذكور وغيرها من صور التفضيل بين افراد الاسره وذلك ما توضحه العلاقه بين المتغيرين على مستوى المدينتين [٣٠] .

٤ — علاقه المكانه الاجتماعيه الاقتصاديه بالبعد العام للتغير :

من التحليل السابق يتضح ان المكانه الاجتماعيه الاقتصاديه ترتبط ايجابيا بالميل للتغير سواء في القيم والمعايير والمعاني التي تشكل الاطار الثقافي العام وبتغير الانساق الاجتماعيه الاقتصاديه والاسريه والسلطه والعلاقات وكذلك ترتبط ايجابيا بتغير عناصر النسق الشخصي بما يحويه من ميول واتجاهات وسلوك . والمصفوفه التاليه تتضمن هذه العلاقه :

العنصر ارتباط المكانة	البعد العام للتغير
الزرقـــاء	4 ١٣ر٤٩
الســـلط	4 ٨٧ر٦

وهذه العلاقة تكشف عن الارتباط الايجابى بين ارتفاع المكـــانة وزيادة الاتجاه للتغير وذلك على مستوى مدينتى السلط والزرقاء [٣١] . ومن ثم تكون العلاقات الغير دالة نتيجة لأحوال وظروف استثنائية كما هو الحال بالنسبة لبعض عناصر التغير مثل الطموح للسلطة ، والتغير فى أساليب التربية والتغير المهنى للآباء ، والحراك المهنى بين الاجيال سواء بمدينة السلط أو الزرقاء كما هو موضح بالمصفوفة التالية ، التى تتضمن علاقة المكانة بعناصر الجوانب الثقافية والاجتماعية الشخصية المتغيرة على مستوى مدينتى السلط والزرقاء .

---

(٣٠) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠٠١ر.

(٣١) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠٠١ر.

	المكانة الاجتماعية الاقتصادية المتغيرات الخاصة بالتغير	الزرقاء	السلط
		4	4
١	التغير فى الظروف السكنية	١٥٢ر٨	٤٨ر٨
		4	4
١	ظروف التنشئة	١٠ر٦	٢٢ر١
		4	4
١	التفكير الخرافى	٦٧ر٦	٢٥ر٤
		4	4
١	التغير فى الميل لاستخدام الأدوات الحديثة	٣٥ر٢	٧٩ر٦
		4	3
١	التغير فى ادراك قضايا المجتمع	٦٣ر٣	٩ر٢
		4	4
٢	التغير فى النسق الاقتصادى	١٤ر٠	٣١ر٤
		1	4
٢	التغير فى أنماط الاستهلاك	٦ر٦٧	٤٢ر١
		1	--
٢	التغير المهنى للآباء	٧ر٥	٥ر٨
		4	--
٢	الحراك المهنى بين الاجيال	٢٠ر٥	٥ر٨
		4	4
٢	التغير فى العلاقة مع الجيران	١٣ر٢	٤٤ر٢
		4	4
٢	التغير فى بناء السلطة	٢٨ر٨	٢٨ر٤
		4	4
٢	النسق الأسرى المتغير	٤٠ر٤	٨٠ر٠
		--	3
٣	التغير فى أساليب التربية	٢ر٥	١١ر٤

	المكانة الاجتماعية الاقتصادية / المتغيرات الخاصـــة بالتغـــير	الزرقـــاء	الســـلط
		4	4
٣	الاتجاه نحو تنظيم النسل	٤٢ر٤	٤٥ر٨
		4	4
٣	التغير فى اتجاه التعليم	٦٣ر٦	٨٠ر٩
		4	4
٣	التغير فى الاتجاه نحو التثقيف	١١٠ر٤	٧٩ر٦
		4	4
٣	التغير فى الانتماء والارتباط	ر٥٥	٢٠ر٧
		4	4
٣	التغير فى مكانة المرأة	١٨ر٦	٤١ر٢
		3	4
٣	الطموح للســـــلطة	صفـــر	١٠ر٨
		4	4
٤	البعـــد العام للتغير	١٣ر٤٩	٨٧ر٦

* * *

ثانيا ــ تفاعل عناصر الجوانب المختلفة للنسق الاجتماعي المتغير :

اذا كانت الجوانب الثقافية والاجتماعية والشخصية تشـكل فى كليتها معا الاطار العام للنسق الاجتماعي المتغير ، فان تحليل عنـاصر هذه الجوانب على قدر كبير من الاهمية للتعرف على درجة اتساقها مع بعضها ودرجة ادائها الوظيفي وما بينها من قصور وظيفي يؤثر على تغير الجوانب الثقافية ويقلل من كفاءتها فى عملية التغير من ناحية ومـدى فاعليتها فى عملية التغير العام بالنسق الاجتماعي • ومن ثم نسـير فى تحليلنا لتفاعل هذه العناصر ضمن مسلكين متغيرين أساسيين يتمثل أولهما فى تعيين التفاعل القائم فيما بين عناصر الجوانب الثقافية والجوانب الاجتماعية والجوانب الشخصية كل على حدها • ويتمثل ثانيهما فى تعيين تفاعل عناصر كل جانب مع البعد العام للتغير • وذلك ما سوف نعرضه على النحو التالى :

١ ــ تفاعل عناصر الجوانب الثقافية المتغيرة فى النسق الاجتماعي :

لا شك ان الاتساق بين العناصر الثقافية له دلالة خاصة اذ ان فاعلية هذه العناصر مع بعضها يؤثر على كفاءة الجانب الثقافى فى عملية التغير ومدى اسهامه الوظيفي فى ايجاد عوامل التوتر أو التلاؤم مع عوامل التغير فى النسق وذلك لأن للوظيفتين سواء أكانت الوظيفة المؤدية للتوتر أو الوظيفة التلاؤمية علاقة واضحة بالتغير : ففى حالة القصور الوظيفى (الاعاقة الوظيفيـة للنسق عن طريق تغـير الأداء الوظيفى المطلوب من عنصر معين اتجاه العناصر الأخرى • يؤثر على الأداء الوظيفى للعنصر تجاه العنصر الذى يعانى من القصور الوظيفى كما ان هذه العناصر تغير أيضا من ادائها الوظيفى النسق الاجتماعي الذى يقلل بدوره من أدائه الوظيفى لهذه العناصر ومن ثم يدب التوتر فى النسق • وتحدث عملية التفاوت بين العناصر على هذا النحو خللا عاما فى الوظيفة العامـة للنسق ومن ثم يصير النسق فى حاجة لميكانزمات التلاؤم والتى تعذرها

لبات الضبط الاجتماعى حتى يتم التلاؤم ويتحقق الاداء الوظيفى بين العناصر وبينها وبين النسق العام ومن ثم يأخذ النسق فى أداء وظيفة الأساسية تجاه أعضائه والمجتمع الأكبر سواء أكان هذا النسق الأكبـــر تنظيما أو مجتمعا محليا ريفيا أو حضريا أو المجتمع الكبير (الدولة) أو المجتمع الدولى بوجه عام وهنا وفى الحالة الأخيرة بوجه خاص يكون التفاعل بين مجتمعات أما فى حالتنا نحن فالتفاعل من جوانب ثقافية واجتماعية وشخصية وعناصرها على مستوى مجتمعين محليين هما مدينتى السلط والزرقاء وعلى مستوى المجتمع الكبير من حيث الأداء الوظيفى للنسق المحلى حيال النسق الكبير وهو المجتمع الاردنى • والمصفوفة التالية توضح تفاعل العناصر الثقافية على مستوى النسق الاجتماعى لمدينة الزرقاء •

الجوانـــب الثقافية المتغيرة

العنـــاصر	الظـــروف السـكنية	ظـــروف التنشـــئة	الادوات الحديثة	التثقيف	التفكير التقليدى
(١) الظروف السكنية	—	1 ٧ر٠	4 ٦١ر٧	4 ٧٩ر٥	4 ٤٤ر٣
(٢) ظروف التنشئة		—	2 ٨ر٩	4 . ٢٢ر٢	-- ٤ر٤
(٣) الادوات الحديثة			—	4 ١٠٦ر٣	4 ٦٢ر٠
(٤) التثقيف					4 ٦٣ ٦
(٥) التفكير التقليدى					—

واذا ما أخذنا العناصر التى لهـا دور وظيفيـا من حيث اثـارة التوترات نظرا لعدم تلاؤمها مع العناصر الأخرى نجد ان ظروف التنشئة والظروف السكنية فى علاقة ضعيفة من حيث تغيرها ، ويمكن تفسير ذلك على أساس ان الظروف السكنية تعكس الجانب المـادى من الثاقفة وهو الجانب الذى يتغير بسرعة أكثر من الجوانب اللامادية تمثل بعض جوانبها ظروف التنشئة حيث أن تغيرها أبطأ ومن ثم يكون مصدر التوتـر ناجما من التفاوت فى سرعة الجانبين المـادى واللامادى فى الثقافـة حيث تكون الاستجابة التلاؤمية من الجانب اللامادى غير مجارية كسرعة تغير الظروف السكنية ومن هنا ينجم التوتر فيما بينهما • وذلك ما يؤكده علاقة الأدوات الحديثة بظروف التنشئة [٣٢] • وبذلك نجد ان التفاوت بين العناصر المـادية والعناصر اللامادية من حيث سرعة تغيرها يؤدى الى تفاوت الاستجابات بين العناصر وذلك لأن استجابة العنصر اللامادى للعنصر المـادى تكون بطيئة لأنه لا يسير بنفس السرعة التى يسـير به الجانب المـادى فى اتجاه التغير ومن ثم تكون الاستجابة من العنـاصر المتغيرة مماثلة نحو العناصر اللامادية من حيث معدل ادائها الوظيفى وبذلك يكون التفاوت بين الجوانب المـادية واللامادية للثقافة فى عملية التغير مصدرا أساسيا للتوترات التى تدور فى النسق الاجتماعى بمدينـة الزرقـاء •

أما العناصر الثقافية التى لها أداء وظيفى فى النسق الثقافى فتتمثل فى الأدوات الحديثة والظروف السكنية أى فى تفاعل العناصر المـادية ، والتثقيف مع الظروف السكنية والتفكير التقليدى مع الظروف السكنية • وايضا التثقيف مع ظروف التنشئة [٣٣] والتفكير التقليدى مع ظروف التنشئة فيشير لتوترات معينة فى النسق الثقافى • فى حين ان بقيـة

---

(٣٢) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٢٠,٠ر٠

(٣٣) قيمة كا٢ غير دالة .

العوامل تتفاعل بايجابية مع بقية العوامل مما يكشف عن وجود عناصر ذات أداء وظيفى للنسق لدعم توازنه ، وذلك يشير بهذا المعنى الى ان عناصر الثقافة العاملة على دعم التوازن أكثر من عوامل التوتر • كما ان وجود الأداء الوظيفى والاعاقة الوظيفية يؤكد عن وجود تلقائية فى عملية التغير وان التغير يأخذ مسارا تدريجيا •

اما من مظاهر التوتر والأداء الوظيفى بالنسق الاجتماعى على مستوى الجوانب الثقافية ومدى فاعلية هذه العناصر بالنسق الاجتماعى لمدينة السلط فذلك ما توضحه المصفوفة التالية :

الجوانب الثقافية المتغيرة

العناصر	الظروف السكنية	ظروف التنشئة	الادوات الحديثة	التثقيف	التفكير التقليدى
(١)		4	4	4	4
الظروف السكنية	—	٢٠	٤٩ر٦	٧٤ر٢	١٩ر٥٨
(٢)			4	4	--
ظروف التنشئة		—	٣٢ر١	١٨ر٤	٣ر٦
(٣)				4	4
الادوات الحديثة			—	٥٧ر٦٠	٤٨ر٣
(٤)					4
التثقيف				—	٥٥
(٥)					
التفكير الخرافى					—

بتحليل العلاقات بالمصفوفة تبين ان عامل التفكير التقليدى وظروف التنشئة يمثلان العناصر المؤدية للتوتر فى النسق وذلك لأن

التفكير التقليدى مرتبط بالتمسك بالقديم فى حين ان ظروف التنشئة والتى تعكس الطابع الثقافى الذى عاشه الشخص يأخذ طابعا مزدوجا لأن التعليم لعب دورا فى ازدواجية التنشئة الاجتماعية للأفراد اما بقية عناصر الجانب الثقافى هى تفاعلها مع بعضها وتكون على مستوى الأداء الوظيفى الذى يدعم التوازن فى النسق الاجتماعى لمدينة السلط [٣٤] •

اما عن عدم وجود عوامل التوتر على مستوى الجوانب المـادية واللامادية للثقافة بالسلط يرجع الى ان تقدم الجوانب المـادية بالسلط يسير بخطى محدودة وغير طفرية نظرا للطابع الزراعى الذى يسم النشاط الاقتصادى للنسق وذلك على عكس الحال بالنسبة للزرقاء التى تنتشر فيها الصناعة وتأخذ بأساليب التطور التكنولوجى بشكل واضح •

٢ ــ تفاعل الجوانب الاجتماعية المتغيرة فى النسق الاجتماعى :

تحتوى الجوانب الاجتماعية فى النسق الاجتماعى على مجموعة من العناصر المتمثلة فى النسق الاقتصادى والنسق الأسرى ، وانمـاط الاستهلاك والحراك المهنى والعلاقات الاجتماعية وبناء السلطة وهـذه الانساق تتفاعل مع بعضها ويؤثر هذا التفاعل على فاعليتها الاجتماعية فى دعم تغير النسق أو دعم توازنه • وبذلك يأخذ تحليلنا لهذه العلاقات مسلكين اساسيين نعرض فى أولهما العناصر التى تعمل على اثارة عوامل التوتر فى النسق ويتناول ثانيهما العناصر التى تعمل متوائمة مع تغيرات النسق •

ومن المصفوفة الخاصة بعناصر الجوانب الاجتماعية بمدينة السلط يتبين لنا ان عناصر التوتر فى النسق الاجتماعى للسلط كثيرة ومتعددة اذ تبلغ فى جملتها (١٢) ، تفاعلا مهيئا لعوامل التوتـر فى النسق من واحد وعشرين تفاعلا • وذلك أمر منطقى اذ أن ظروف التغير فى المجتمع الاردنى ذات طابع تدريجى وقد عملت خطط التنمية الثلاثية والخمسية

(٣٤): قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠,٠٠١.

والسباعية على اثارة عملية التغير ودعم فاعليتها ونظرا لأن خطط التنمية لم تسر وفق برنامج تتعادل فيه جرعات التنمية مع احتياجات كل قطـــاع فقد أدى ذلك الى وجود قصور وظيفى فى اداء بعض الانساق لوظيفتها فى عملية التغير نظرا للتفاوت فيما بين تلك العناصر فى عملية التغير • هذا فضلا عن تغير وظائف بعض الانساق فى الوقت الذى لا تتلاءم فيه العناصر البنائية مع الوظائف الجديدة والمصفوفة التالية توضح هذا التفاعل على مستوى الزرقاء •

الجوانب الاجتماعية المتغيرة

العناصر	النسق الاقتصادى	تغير النسق الاسرى	انماط الاستهلاك	التغير المهنى للابـاء	الحراك المهنى للاجيال	العلاقة مع الجيران	بناء السلطة
(١)		1	3	--	2	4	--
التغيرفىالنسق الاقتصــادى	—	٨ر٤	١٠ر٦٦٧	١١ر٨	١٠ر٠	٤٤ر٨	١٢ر٤
(٢)			--	4	3	--	4
تغير النســق الاســرى		—	صفر	٢٥ر٦	١٢ر٠	٤ر٨	٥٠ر٨
(٣)				--	--	3	1
انماط الاستهلاك			—	٥ر٢	٥ر٠	١٠ر٤	٥٨ر٤
(٤)					4	--	4
التغير المهنى للابــاء				—	١٤ر٧	٠ر٨	٤٨ر٦
(٥)						1	4
الحراك المهنى للاجيــال					—	٦ر٠	٢٣ر٣
(٦)							4
العلاقــة مع الجيــران						—	٢٤ر٨
(٧)							
بناء السلطة							—

من المصفوفة يتضح ان هناك عددا من عناصر الجوانب الاجتماعية تسهم في اثارة التوترات نتيجة لاستجابتها بطريقة غير ملائمة لبعض العناصر الأخرى وذلك لوجود تفاوتات بنائية فيما بينها ويمكن مناقشة هذه التوترات على مستويات ثلاثه تختلف من حيث شدتها في اثارة هذه التوترات المستوى الأول منها وهو المصدر القوى للتوترات [٣٥] يعمل في دائرته التغير المهني للآباء مع التغير في النسق الاقتصادى والتغير في بناء السلطة مع النسق الاقتصادى ، وانماط الاستهلاك مع النسق الأسرى والعلاقات مع الجيران مع النسق الأسرى ، واداء الحراك المهنى وتغير مهن الآباء مع اتجاهات الاستهلاك والعلاقات مع الجيران مع تغير مهن الآباء • وذلك يكشف عن وجود عناصر كثيرة تصل الى سبعة عناصر تمثل هذا الجانب الفعال من اثارة التوتر بالنسق •

أما المستوى الثانى من اثارة التوترات فتتمثل فى النسق الأسرى مع النسق الاقتصادى والعلاقات مع الجيران مع الحراك المهنى للآباء • وبناء السلطة مع انماط الاستهلاك حيث يكون الارتباط فيما بينها بسيطا [٣٦]• اما المستوى الثالث من اثارة التوترات وهو أبسطها نظرا لفاعليتها الأكثر واستجابتها التلاؤمية أكبر ، فتتمثل فيما بين انماط الاستهلاك مع النسق الاقتصادى ، والحراك المهنى للاجيال فى النسق الاقتصادى •

وبذلك يكون هناك مستويات ثلاثة من اثارة التوترات اذ تكون بعض العناصر مختلفة تماما عن بعضها فى معدل تغيرها • ثم بعد عمليات الاستجابة والتلاؤم مع معاودة ميكانزمات الضبط تأخذ فى التلاؤم بالقدر الذى تقل فيه حدة التوتر وبذلك نجد ان هناك موجات متلاحقة تبدأ بتكثيف التوتر ثم تستوعبها الاستجابات وتبدأ حدتها تخفف رويدا الى أن تصل الى مستوى الاستجابة المتلائمة • وان كانت هذه العناصر وهى فى مراحل تواؤمها وتفاعلها قد تقضى الى تولد بعض

---

(٣٥) قيمة كا٢ غير دالة .

(٣٦) قيمة كا٢ دالة عند مستى ٠٥ر٠

العناصر المثيرة للتوترات التى توائمها يرتبط بظهور عناصر بديلة أو وظائف لاثارة التوترات قد تتولد هذه الوظائف البديلة من التفاوت بين العناصر المتوائمة بمعنى انه فى الوقت الذى تخفف حدة بعض العوامل فى اثارة التوتر تأخذ عوامل أخرى فى ممارسة هذه الوظيفة • ومن العلاقات الواردة فى المصفوفة الخاصة بالزرقاء يتبين لنا ان هناك تفاعلات متعددة المستويات من حيث اسهامها الوظيفى سواء بالنسبة للاعاقة أو بالنسبة للأداء المتمثل فى الاستجابة سواء فى الأخذ أو العطاء الوظيفى • اما بالنسبة لتعادل عناصرالجوانب الاجتماعية بمدينة السلط فبالمصفوفة التالية توضح هذه التفاعلات •

الجوانب الاجتماعية المتغيرة

العناصر	النسق الاقتصادى	تغير النسق الاسري	انماط الاستهلاك	التغير المهنى للآباء	الحراك المهنى للاجيال	العلاقة مع الجيران	بناء السلطة
(١)		4	4	--	--	1	4
التغيرفىالنسق الاقتصادى	—	٢ر٣١	٢ر٢٥	٧ر٣	٠ر٦	٥ر٦	١ر٢٧
(٢)			3	--	--	4	4
تغير النسق الاسرى		—	٨ر١٢	٦ر٣	٤ر٤	٢ر٢١	٤ر٥٢
(٣)				1	1	1	4
انماطالاستهلاك			—	٦ر٦٦٧	٠ر٧١	١ر٧	٤ر٢٦
(٤)					--	--	4
التغير المهنى للآباء				—	٤ر٦٦٧	١ر٧	٦ر٣٠
(٥)						--	--
الحراك المهنى للاجيال					—	صفر	٧ر٠٠
(٦)							--
العلاقة مع الجيران						—	١ر٤٣
(٧) بناء السلطة							—

وبالنسبة لمدينـــة السلط نجـــد ان العناصر المرتبطـــة بالحوادث الاجتماعية التى يتولد عنها توانرات فى النسق متعددة وتشـــمل على مســـتوى التوترات القوية التغير المهنى للابـــاء مع التغير فى النسق الاقتصادى والحراك المهنى مع النسق الاقتصادى والتغير المهنى للاباء والحراك المهنى مع تغـــير النسق الأسرى والحراك المهنى مع انمـــاط الاستهلاك والحراك بين الاجيال والعلاقة مع الجيران مع انماط الاستهلاك والعلاقة مع الجيران وبناء السلطة مع الحراك المهنى بين الاجيال وبذلك تكون من أكبر العناصر اثارة للتغير الحراك المهنى للاجيال والتغير المهنى للاباء والنسق الأسرى والنسق الاقتصادى ولا شك ان هذه العناصر لم تتغير بشكل متعادل ولذا كان أداؤها الوظيفى غير متعادل مع بعضها ولذا جاء الاستجابة التفاعلية كرد فعل مماثل للقصور الوظيفى فى أداء بعض العناصر حيالها وقد ارتبط هذا المستوى من الأداء الوظيفى بقياس الدلالة للارتباط فيما بينها [٣٧] • أما المستوى الثانى [٣٨] من الأداء الوظيفى للعناصر المهنية للتوترات فهو قائم بين التغير فى مهن الآباء مع انماط الاستهلاك والعلاقة مع الجيران مع النسق الاقتصادى وانماط الاستهلاك اما المستوى الأخير من الاسهام فى التوتر والميل للتلاؤم فيتمثل فى العلاقة بين انماط الاستهلاك مع النسق الأسرى المتغير [٣٩] ، ثم مستوى التلاؤم والتفاعل الايجابى القوى يصل بعد ذلك الى أقصى درجات الترابط القوى والذى يكشف عن توازن الاتجاه فى عمليـــة التغـــير [٤٠] •

والواقع ان التوترات الحادثة فى الجوانب الاجتماعية ترجع فى الأصل الى ان الجوانب الثقافية بما تثير من مؤثرات على الجوانب الاجتماعية ونفس الحال بالنسبة للجوانب الشخصية •

---

(٣٧) قيمة كا٢ غير دالة •
(٣٨) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٥ .ر•
(٣٩) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ١ .ر.
(٤٠) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ١ .٠ر.

٣ ـ تفاعل عناصر الجوانب الشخصية فى النسق الاجتماعى المتغير :

واذا كانت المؤثرات الجانب الثقافى يعكس أثرها على الجوانب الثقافية فان الجوانب الشخصية تؤثر ايضا على الحوادث والجوانب الاجتماعية باعتبارها (النسق الثقافى والنسق الشخصى) مصدرين للتغير فى النسق والمصفوفة التالية توضح هذا التفاعل على مستوى مدينة الزرقـــاء •

الجوانب الشخصية المتغيرة

العناصر	الطموح للسلطة	اساليب التربية	الاتجاه نحو تنظيم النسل	التغير فى اتجاه نحو التعليم	اتجاهات الابناء والارتباط	التغير فى ادراك القضايا	تغير اتجاه الرجل نحو مكانة المراة
(١) الطموح للسلطة	—	-- ٥ر٠	4 ٣٠ر٠	-- ٣٥ر٤	4 ٢٧ر٢	3 ١٦ر٢٥	4 ٥٠ر٨
(٢) أساليب التربية		—	-- ١ر٧	4 ٢٩ر٢	4 ٤٧ر٥	3 ٣٥ر٨٠	3 ١١ر٢٥
(٣) الاتجاه نحو تنظيم النسل			—	4 ٧١ر٠	4 ٥٤ر٥	4 ٥٧ر٢٠	4 ٥٧ر٦
(٤) التغيرفى اتجاه نحو التعليم				—	4 ١٥ر٠	4 ٦٦ر٤٠	4 ١١١ر٦
(٥) اتجاهات الابناء والارتبـــاط					—	4 ١٢٣ر٧٠	4 ٨٠ر٠٠
(٦) التغيرفى ادراك القضـــــايا						—	4 ٨٢ر١
(٧) تغير اتجاه الرجل نحو مكانة المرأة							—

فقد تبين ان أكثر العوامل تأثيرا في اثارة التوترات اساليب التربية اذ أن علاقتها بالطموح للسلطه والاتجاه نحو تنظيم النسل غير دالـة بالاضافه الى العلاقه بين الاتجاه نحو التعليم والطموح للسلطة [٤١] وبذلك تكون هذه العناصر الدافعة على المستوى الأول للتوترات بالنسق الاجتماعي • اما المستوى الثاني المثير للتوترات بالنسق الاجتمـاعي على مستوى الجوانب الشخصيه فيمثل في التغير في ادراك القضـايا مع الطموح للسلطه وأساليب التربية وتغير الاتجاه نحو افراد الأسرة ومكانة المرأة وأساليب التربية [٤٢] • اما بقيه العناصر فعلى مستوى الفاعلية الاجتماعيه التي تدعم وجود النسق [٤٣] •

وبذلك نجد ان الجوانب الثقافية والجوانب الشخصية تلعب دورا هاما وأساسيا في اثارة عوامل التوتر بالنسق فنتيجة لوجود تفاوت بين بعض عناصرها المتغيرة والتي اثرت بشكل مباشر على التوترات الحادثة داخل النسق الاجتماعي بعنـاصره المختلفـة ومن ثم تسهم الجوانب الثقافية والشخصية في دعم التوازن الدينامي من جهة بوجود عناصر متكاملة في عملية التغير مع بعضها ونفي عدم التكامل التـام بوجـود تفاوت بنائي ووظيفي بين بعض عناصر كل منهما ، على مستوى مدينة الزرقاء •

أما عن الدور الوظيفي لعناصر الجوانب الشخصية على مستوى مدينة السلط بالنسبة لنفي حالة التكامل التام من ناحية ، ودعم التوازن الدينامي من ناحية أخرى • وذلك لاستكمال التحليل الخاص بابراز دور الجوانب الثقافية والشخصية في اثارة عوامل التوتر بالنسق ، ونفي حالة التكامل التام ودعم التوازن الدينامي حيث أن الجانبين يمثلان مصدرا أساسيا للتغير خارج النسق الاجتمـاعي ومـا يترتب عليها من

---

(٤١) قيمة كا٢ غير دالة •

(٤٢) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ١٠ر•

(٤٣) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ١٠٠ر•

تأثير فى اثارة التفاوت بين الانساق الاجتماعية وما تعانيه من توترات داخلية نثير فاعلية العناصر واستجاباتها التلاؤمية بين بعضها من حيث الأداء الوظيفى الأمر الذى يجعل النسق الاجتماعى فى حالة تغير متوازن وبصورة تدريجية وتلقائية والمصفوفة التالية توضح ابعاد التفاعل بين عناصر الجوانب الشخصية فى النسق الاجتماعى المتغير لمدينة السلط .

الجوانب الشخصية المتغير

العناصر	الطموح للسلطة	اساليب التربية	الاتجاه نحو تنظيم النسل	التغير فى اتجاه نحو التعليم	اتجاهات الابناء والارتباط	التغير فى ادراك القضايا	تغير اتجاه الرجل نحو المراة
(١) الطموح للسلطة	—	1 ٦ر٤	4 ٣٩ر٤	4 ٣٠ر٨	4 ٤ر٠	4 ٣٩ر٥	4 ٣١ر٦
(٢) اساليب التربية		—	4 ٢٢ر٣	4 ١٨ر٦	4 ٢٢ر٣	4 ١٥ر٤٤	4 ١ر٩٢
(٣) الاتجاه نحو تنظيم النسل			—	4 ٦٣ر٣	4 ٣٧ر٥	4 ٩٠ر٠	4 ٦٢ر٩
(٤) التغير فى اتجاه التعليم				—	4 ١٢٢ر٠	4 ٤٢ر٤	4 ٧٧ر٩
(٥) اتجاهات الابناء والارتباط					—	4 ٨٧ر٠	4 ٧٥ر٥
(٦) التغير فى ادراك قضايا المجتمع						—	3 ١٢٤ر٦
(٧) تغير مكانة المراة							—

وقد تبين ان التفاعل المثير للتؤثر بالنسق الاجتماعى على المستوى الشخصى قائم بين أساليب التربية والطموح للسلطة فهما العاملان اللذان ليسا بينهما أداء ، وظيفى متكامل [٤٤] • أما بقيــة العوامــل فهــى متكاملة [٤٥] فى أدائها الوظيفى •

ومن ثم نجد ان النسق الاجتماعى بالسلط يحوى عناصر التغــير وعناصر التوازن واللذان يتكاملان مع بعضهما فى دعم عمليــة التوازن الدينامى فى النسق أى انهما يجعلانه فى تغير تدريجى مستمر وبصورة تلقائيــــة •

* * *

ثالثا : تفاعل عناصر الجوانب الثقافية والشخصية مع عناصر الجوانب الاجتماعية :

واذا كانت العناصر المكونة لكل جانب على درجة من التفاعل بين بعضها من حيث ادائها الوظيفى واعاقتها الوظيفية بالنسبة للعناصر الأخرى داخل نفس مجالها سواء على المستوى الاجتماعى أو الثقــافى أو الشخصى فان هناك تفاعلا قائما بين الجوانب الثقافية وعناصرهــا والجوانب الشخصية وعناصرها بما يدعم نفس المحورين محور التوتر ومحور التوازن المتكامل • وذلك ما توضحه المصفوفة الخاصة بمدينــة الزرقاء على النحو التالى :

تفاعل عناصر الجوانب الثقافية مع الجوانب الاجتماعية :

يتبين من المصفوفة الخاصة بالسلط ان النسق الاقتصادى عنصر اجتماعى متأثر بالعنصر الثقافى الخاص بظروف التنشئة وعنصر الأدوات الحديثة أى أنه يتأثر فى بعض جوانبه بالجوانب المــادية من الثقافــة

---

(٤٤) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٥٠ر.

(٤٥) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٥٠ر.

والجانب غير المـادى من الثقافة بصورة متماثلة من حيث التأثير [٤٦] بما يؤدى الى اثارة التوترات بين عناصره وبذلك تؤثر الثقافة عليه من حيث اثارة التوترات فى حين ان العناصر الثقافية الأخرى ذات اداء وظيفى متكامل مع النسق الاقتصادى وبالنسبة للنسق الأسرى نجـد ان علاقة التوتر والتفاوت قائمة بينه وبين ظروف التنشئة [٤٧] • فى حين انه يتكامل فى ادائه الوظيفى مع العناصر الثقافية الأخرى فهو متفاوت مع ظروف التنشئة والتفكير التقليدى من الثقافة اما بقيـة العناصر فلها قدر متفاوت من التكامل مع النسق الأسرى • وبذلك نجـد ان النسق الأسرى اذا كان يتكامل فى أدائه الوظيفى مع بعض عنـاصر النسق الثقافى فانه يتفاوت مع بعض عناصره الأخرى • وذلك ما توضحه المصفوفة التالية والخاصة بالنسق الاجتماعى للزرقاء كما ان التغير فى انماط الاستهلاك يتأثر أيضا بالتفاوت بينه وبين ظروف التنشئة ويتكامل مع بقية العوامل •

وبالنسبة للتغير المهنى للآباء فانه يتفاوت فى ادائه الوظيفى مع الظروف السكنية وظروف التنشئة واستخدام الأدوات الحديثة وتغير الاتجاه نحو التثقيف والتفكير التقليدى وذلك بدرجات متفاوتة اذ ان جميع العناصر ما عدا التغير فى الاتجاه نحو التثقيف [٤٨] لا توجـد دلالة [٤٩] • ونفس الحالة للحراك المهنى بين الاجيال يتفاوت طبيعيا مع الظروف السكنية [٥٠] • ومع الأدوات الحديثة [٥١] • والاتجاه نحـو التثقيف تبلغ قيمة ارتباطها بمستوى معين من التأثير •

---

(٤٦) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٥.٠ر.
(٤٧) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٥.٠ر.
(٤٨) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٥.٠ر.
(٤٩) قيمة كا٢ غير دالة .
(٥٠) قيمة كا٢ غير دالة .
(٥١) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٥.٠ر.

أما بالنسبة للتغير فى العلاقة مع الجيران فيتبين انها متفاوتة مع ظروف التنشئة ومتكامل مع بقية العناصر بدرجات متفاوتة وبذلك نجد ان هناك عوامل تؤدى للتوتر بالنسق الاجتماعى تلك . كما ان هنـاك عوامل أخرى تدعم عملية التوازن الدينامى بالنسق الاجتماعى للاردن .

أما عن تفاعل العناصر الاجتماعية مع العناصر الشخصية المؤدية للتوتر فى النسق الاجتماعى فنلاحظ ان النسق الاقتصادى يتأثر بتفاعله من الشعور بالانتماء والارتباط اذ ان قيمة الارتباط غير دالة فيما بينهما ، وكذلك تتأثر فى تفاعلها مع الاتجاه نحو افراد الأسرة ومكانة المرأة (٥٢) . كما أن النسق الأسرى يتأثر فى تفاعله بالاتجاه نحو أساليب التربيـة اما التغير فى انماط الاستهلاك فيتأثر فى تفاعله مع الاتجاه نحو أساليب التربية (٥٣) . والاتجاه نحو تنظيم النسل وتغير الاتجاه نحو التعليم والارتباط والانتماء فى ادراك قضايا المجتمع . اذ ان هذه الجوانب الشخصية تؤثر بشكل مباشر على هذا العنصر لأن ادائها الوظيفى لهـا ليس له نفس المعدل اللازم للاستجابة العادية فى الأداء الوظيفى .

أما التغير المهنى للآباء فيتأثر بتفاعله مع الاتجاه نحو أسـاليب التربية فى حين ان الحراك المهنى بين الاجيال يتأثر بتفاعله مع الطموح للسلطة والاتجاه نحو أساليب التربية . وذلك لأن الارتباط بينها غير دالة ، وذلك ما توضحه المصفوفة الخاصة بالزرقاء .

أما عن تأثر العلاقة مع الجيران بالتغير فى ادراك قضايا المجتمع وتغير الاتجاه نحو افراد الأسرة ومكانة المرأة . فيأخذ مستوى أقل فى حدته من المستويات الأولى (٥٤) .

---

(٥٢) قيمة كا٢ غير دالة .

(٥٣) قيمة كا٢ غير دالة .

(٥٤) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٥,٠ .

مدينة الزرقاء

مسلسل	العناصر	١ المكانة الاجتماعية والاقتصادية	٢ التغير في النسق الاقتصادي	٣ تغير النسق الأسري	٤ التغير في أنماط الاستهلاك	٥ التغير المهني للأبناء	٦ الحراك المهني بين الأجيال	٧ الطموح للسلطة	٨ التغير في الظروف السكنية	٩ التغير في العلاقة مع الجيران	١٠ ظروف التنشئة	١١ التغير في أساليب التربية	١٢ الاتجاه نحو تنظيم النسل	١٣ التغير في اتجاه التعليم	١٤ التغير في الميل لاستخدام الأدوات الحديثة	١٥ التغير نحو الاتجاه للتثقيف	١٦ التغير في الانتماء والارتباط	١٧ التغير في التفكير الخرافي	١٨ التغير في إدراك قضايا المجتمع	١٩ التغير في بناء السلطة	٢٠ التغير في مكانة المرأة	٢١ البعد العام للتغير الاجتماعي
١	المكانة الاجتماعية والاقتصادية	—	٠و٠٤	٤٠و٤	٦و٦٧	٧و٥	٢٠و٥	صفر	١٥٢٢و٨	١١و٢	١٠و٦	٢و٥	٤٢و٤	٦٣و٦	٣٥و٢	١١٠و٤	٥٥و٠	٦٧و٦	٦٣و٣	٢٨و٨	١٨و٦	١٣و٤٩
٢	التغير في النسق الاقتصادي		—	٨و٤	١٠و٦٦٧	١١و٨	١٠و٠٠	١٢و٥	٣٦و٠٠	٤٤و٨	٥و٨	٣٨و١٧	١٩و٠٠	٣٢و٦	١٨و٤	١٢و٨	٦و٨٨	١٠و٤	١٥و٤٥	١٢و٤	٧و٣	١٦و٦
٣	تغير النسق الأسري			—	صفر	٢٥و٦	١٢و٠	٥٦و٤	٨٦و٠	٤و٨	١٥و٦	٢و٤	١٣٢و٠٠	٨٢و٤	٥٨و٠٠	٦٤و٨	٥٨و٤	٣٨و٠٠	٥٧و٦	٥٠و٨	٥٨و٨	٨٤و٦
٤	التغير في أنماط الاستهلاك				—	٥٢و٢	٥و٠	٩و١٦٧	٥و٧	١٠و٤	٠و٨	١و٦	٦و٤	٦٥و٦٦٧	١٦و١٧	٦و٦٦٦	٢و٢٧	٦و٠	٢و٦	٤و٥٨	٦و٥	٨و٧
٥	التغير المهني للأبناء					—	١٤و٧	٩٠و٠	١٢و٧	٠و٨	١٠و٣	٥و٣	٤٨و٤	٣٢و١	٣٥و١	٨٠	٣٠و٠	١٧و٢	١٥و٢	٤٨و٦	٤٣و٠	٣٠و٥
٦	الحراك المهني بين الأجيال						—	٥و٨٣	٤٦و٦٧	٦و٠	١و٠	١و٢٥	١٠و٤	٢٠و٨	٣١و٤	٢٦و٨	١٥و٠	١٠و٤	٣٢و٩	٢٣و٣	٢٨و٣٣	٤٩و١
٧	الطموح للسلطة							—	٧و٥	٢و٠	١١و٣	٥و٠	٣٠و٠	٣٥و٤	٤٥و٠	٣١و٣	٢٧و٢	١٩و٦	١٦و٢٥	٢٥و٤	٥٠و٨	٣٩و٥
٨	التغير في الظروف السكنية								—	٩و٦	٧و٠	٥و٨	٢٢و٦	٦١و١	٦١و٠٧	٧٩و٥	٦٧و٧	٤٤و٣	٧٧و٣	٧٧و٢	٤٠و٠	٩٣و٢
٩	التغير في العلاقة مع الجيران									—	٢و٢	٨و٧٥	١٠و٤	٢٧و٦	١و٩	١٢و٠	١٥و٦	٤و٨	٨و٤	٢٤و٨	٦و٨	٨و٦
١٠	ظروف التنشئة										—	٢و٢٥	٩و٦	١٨و٣	٨و٩	٢٢و٢	١٢و٣	٤و٤	١٢و٢	١٣و٣	٢١و٣	٢٨و٦
١١	التغير في أساليب التربية											—	١و٧	٢٩و٢	٩و٦	١و٢٥	٤٧و٥	صفر	٣٥و٨	١٤و١٧	١١و٢٥	١٢و٧
١٢	الاتجاه نحو تنظيم النسل												—	٧١و٠	٢٣و٦	٣٩و٣	٥٤و٥	٧٦و٢	٥٧و٢	٢٦و٦٧	٥٧و٦	٨٦و٤
١٣	التغير في اتجاه التعليم													—	٨٩و٠٢	١٠و٦	١٢و٠٠	٨٥و٦	٦٦و٤	١٥٢و٠	١١١و٦	١٤٦و٩
١٤	التغير في الميل لاستخدام الأدوات الحديثة														—	١٠٦و٣	٤٤و٩	٦٢و٠	٦٢و٤	٥٣و٣	٨٦و٦٧	١٦٣و٦
١٥	التغير نحو الاتجاه للتثقيف															—	١٢٦و٢	٦٣و٦	١٠٢و٠	٦٧و١	٥١و٧	١٢٩و٢
١٦	التغير في الانتماء والارتباط																—	٥٧و٦	١٢٣و٧	١٠٠و٥	٨٠و٧	١٥٢و٥
١٧	التغير في التفكير الخرافي																	—	٦٤و٤	٤٢و٤	٣٢و٥	٧١و٧
١٨	التغير في إدراك قضايا المجتمع																		—	٦٥و٢	٨٢و١	٨١و٧
١٩	التغير في بناء السلطة																			—	٨٠و٨	٧٢و٩
٢٠	التغير في مكانة المرأة																				—	٧٨و٧٥
٢١	البعد العام للتغير الاجتماعي																					—

١) قيمة كا٢ غير دالة = —   ٢) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠و٠٥ = ١   ٣) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠و٠٢ = ٢   ٤) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠و٠١ = ٣   ٥) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠و٠٠١ = ٤

أما تفاعل بقية العناصر الاجتماعية مع العناصر الأخرى فهو ذات طابع ايجابى ، اذ أن الأداء الوظيفى فيما بينها متكامل ويدعم توازن النسق •

أما العناصر التى لا تتفاعل بمستوى متكامل ، فتدعم عملية التوتر وتنقسم من التكامل التام • وبذلك تكون عوامل التوتر وعوامل التكامل قائمة بالصورة التى تدعم التوازن فى النسق الاجتماعى بمدينة الزرقاء •

أما عن تفاعل العناصر الاجتماعية مع العناصر الثقافية التى تؤدى للتوتر بمدينة السلط فتأخذ مستويات مختلفة تمثل اقصى مستوى لها فى التفاعل بين النسق الاقتصادى مع الأدوات الحديثة • والمستوى الثانى مع ظروف التنشئة ، اما النسق الأسرى فيتأثر بظروف التنشئة • كما تتأثر انماط الاستهلاك بتفاعلها مع ظروف التنشئة •

وبالنسبة للحراك المهنى بين الآباء ، يتأثر فى تفاعله بالظروف السكنية وظروف التنشئة والأدوات الحديثة بشكل واضح (٥٥) • وهذا التفاعل يثير التوتر بشكل بالغ • كما يمثل تفاعله مع الاتجاه نحو التثقيف مرحلة ثانية من اثارة التوتر على مستوى مهن الآباء •

أما الحراك المهنى بين الاجيال فيتأثر بشكل واضح بتفاعله مع الظروف السكنية وظروف التنشئة (٥٦) • وبمستوى آخر بالأدوات الحديثة (٥٧) أما عن تفاعل العلاقة مع الجيران مع ظروف التنشئة يأخذ مستوى عال من اثارة التوتر نظرا لغياب الدلالة •

أما عن علاقة الجوانب الشخصية باثارة التوتر فى العناصر الاجتماعية فنلاحظ ان التوتر قائم بين النسق الاقتصادى والطموح

---

(٥٥) قيمة كا٢ غير دالة •

(٥٦) قيمة كا٢ غير دالة •

(٥٧) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٥٠ر•

للسلطة وأساليب التربية • أما عن النسق الأسرى فتفاعله ايجابيا مع بقية العناصر الشخصية فى النسق الاجتماعى •

أما انماط الاستهلاك فتتأثر فى تفاعلها بالطموح للسلطة وأساليب التربية ، وبالنسبة للتغير المهنى للآباء فانه يتأثر فى تفاعله بأساليب التربية والاتجاه نحو تنظيم النسل بشكل واضح • فى حين انه على مستوى الأداء الوظيفى السليم مع بقية العناصر •

أما الحراك المهنى بين الآباء فيتأثر فى تفاعله بأساليب التربيـــة والاتجاه نحو تنظيم النسل والطموح للسلطة بدرجة عالية (٥٨) • فى حين أنه يتأثر فى تفاعله بعنصر الارتباط والانتماء بمستوى أقل (٥٩) •

أما الحراك المهنى بين الاجيال فيعانى من توترات فى تفــاعله بالطموح للسلطة وأساليب التربية والاتجاه نحو تنظيم النسل والتغير فى الاتجاه نحو التعليم والانتماء والارتباط والتغير فى ادراك قضـــايا المجتمع والنظرة لأفراد الأسرة ومكانة المرأة (٦٠) • وبذلك يكون هـــذا العنصر من أكثر العناصر تأثرا بالتوترات فى الجوانب الشخصية المتغيرة •

وبالنسبة للتغير فى بناء السلطة فليس هناك أى مستوى من التفاعل على هذا النحو • ومن ثم نجد ان النسق الاجتماعى لمدينة السلط يحوى كلا العنصرين معا • العناصر المؤدية لتوازن النسق والعناصر المؤدية لتوتره واثاره عوامل عدم التكامل على مستوى مدينة السلط •

***

---

(٥٨) قيمة كا٢ غير دالة •

(٥٩) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠٥ر٠

(٦٠) قيمة كا٢ غير دالة •

مدينة السلط

مسلسل	العناصر	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
		المكانة الاجتماعية والاقتصادية	التغير فى النسق الاقتصادى	تغير النسق الأسرى	التغير فى أنماط الاستهلاك	التغير المهنى للآباء	الحراك المهنى بين الأجيال	الطموح للسلطة	التغير فى الظروف السكنية	التغير فى العلاقة مع الجيران	ظروف التنشئة	التغير فى أساليب التربية	الاتجاه نحو تنظيم النسل	التغير فى اتجاه التعليم	التغير فى الميل لاستخدام الأدوات الحديثة	التغير نحو الاتجاه للتثقيف	التغير فى الانتماء والارتباط	التغير فى التفكير الخرافى	التغير فى ادراك قضايا المجتمع	التغير فى بناء السلطة	التغير فى مكانة المرأة	البعد العام للتغير الاجتماعى
١	المكانة الاجتماعية والاقتصادية	—	٣٢و٤	٨٠و٠٠	٤٢و٠٠	٥و١	٥و٨	١٠و٠٨	٤٨و٠٨	٤٤و٢	٢٢و١	١١و٤	٤٥و٨	٨٠و٩	٧٩و٩	٧٩و٦	٢٠و٧	٤٥و٤	٩و٢	٢٨و٤	٤١و٢	٨٧و٦
٢	التغير فى النسق الاقتصادى		—	٣٦و٢	٢٥و٢	٣و٧	٦و٠٠	١و٢	١٧و٩	٦و٥	١٠و٥	٨و٥	١٧و٨	٢٦و٦	٨و١٦	١٨و٧	٣٤و٠	١٦و٠	٦٢و٨	٢٧و١	٢٤و١٧	٤٠و٠
٣	تغير النسق الأسرى			—	١٢و٨	٣و٦	٤و٤	٣٩و٢	٥٨و٠	٢١و٢	٧و٢	٢٢و٤	٩٧و٢	٨٢و٢	٨٩و٢	٦٨و٤	٤٠و٨	٥١و٢	٨٢و٤	٥٢و٤	٥٨و٤	١١٣و٤
٤	التغير فى أنماط الاستهلاك				—	٦و٦٦٧	٠و٧١	٥و٢٨	١١و٢٥	٧و١	٧و٣٧	٢و٢	١٥و٨٣	٢٤و٧	٢٢و٤	١٥و٥	٢٤و٣	٩و٠	٢٦و٤	٢٦و٤	٢٦و٦	١٩و٦
٥	التغير المهنى للآباء					—	٤و٦٦٧	٤٠و٤	٨و٧	٧و١	٠و٥٣	١و٨٢	٣٠و٠٠	٢٤و٠	٥و٦	٩و٢	١٠و٦٦	٩و٣٨	١٧و٢	٣و٦	٢٢و٥	٢١و٦
٦	الحراك المهنى بين الأجيال						—	١و٢	٩و٣	صفر	٧و٩	٤و١	٢و٢	٥و١٥	٦و٠	٢و٢	١و٠	٩و٠٠	٧و٣	٧و٠	٢و٥	١٢و٠
٧	الطموح للسلطة							—	٢و٨	٤و٤	١٧و٣	٦و٤	٣٩و٤	٣٠و٨	٤٤و٨	١٢و٠	١٤و٠	٣٣و٩	٣٩و٥	٥٧و١	٣١و٦	٥٦و٨
٨	التغير فى الظروف السكنية								—	١٧و٥	٢٠و٠٠	٥و٩	٥و٠	٢و٥	٤٩و٦	٧٤و٢	١٠٣و٥	١٩و٥٨	٣٩و٥٨	٣١و٦٧	١٩و٦	٣٨و٠
٩	التغير فى العلاقة مع الجيران									—	٣و٥	١١و٩	٨و٥	٣٠و٠	١٤و٠	٣٨و٠	٣٥و٢	٩و٢	٢٨و٥	١و٤٣	١١و٥	٣٢و٤
١٠	ظروف التنشئة										—	١٦و٨	١٣و٧	٣٠و٠٠	٣٢و١	١٨و٤	١٦و٠	٣و٦	١٢و٦	١٨و٠	٤١و٦	٣٠و٤
١١	التغير فى أساليب التربية											—	٢٢و٣	١٨و٦	٢٥و٠	٢٠و٠	٢٢و٣	٨و٨	١٥و٤٤	١٠و٤	١٢و١	صفر
١٢	الاتجاه نحو تنظيم النسل												—	٦٣و٣	٢٣و٣	٤١و٩	٣٧و٥	٦٩و٦	٩٠و٠	٤٤و٤	٦٢و٩	٧٠و٤
١٣	التغير فى اتجاه التعليم													—	٥٢و٦	٤١و٤	١١٢و٠	٧٥و٠	٤٢و٤	٥٥و٦	٧٧و٩	١٠٨و٠
١٤	التغير فى الميل لاستخدام الأدوات الحديثة														—	٥٧و٦	٨٣و٥	٤٨و٣	٤٨و٤	٨٠و٠	٥٤و٤	١٣٨و٨
١٥	التغير نحو الاتجاه للتثقيف															—	١٣٥و٠	٥٥و٠	٧٩و٦	٨٦و٤	٤٤و٥٨	١٢٦و٠
١٦	التغير فى الانتماء والارتباط																—	٣٣و٧٥	٨٧و٠	١١٠و٥	٧٥و٥	١١٤و٥
١٧	التغير فى التفكير الخرافى																	—	٦٣و٣	٤١و٦٧	٢٧و٥	٦٨و٤
١٨	التغير فى ادراك قضايا المجتمع																		—	٧٨و٨	١٢٤و٦	٩٥و٢
١٩	التغير فى بناء السلطة																			—	٤١و٦	٩٠و٠
٢٠	التغير فى مكانة المرأة																				—	٨٠و٤
٢١	البعد العام للتغير الاجتماعى																					—

١) قيمة كا٢ غير دالة = — ٢) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠و٠٥ = ١ ٣) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠و٠٢ = ٢ ٤) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠و٠١ = ٣ ٥) قيمة كا٢ دالة عند مستوى ٠و٠٠١ = ٤

رابعا — الاسهام الوظيفى للانساق الفرعية فى عملية التغير الاجتماعى :

من التحليل السابق يتضح لنا أن العناصر المختلفة على المستوى الثقافى والاجتماعى والشخصى تتفاعل مع بعضها سواء على مستوى الأداء الوظيفى أو الاعاقة الوظيفية وهى فى تفاعلها هذا تحقق للنسق الاجتماعى فاعلية اجتماعية ترتبط بالتكامل غير التـــام واستجابات التلاؤم التلقائى التى تدعم عملية التوازن الدينامى فى النسق الاجتماعى لمدينتى السـلط والزرقاء .

ولا شك ان هذه العملية تسهم فى دعمهـا ميكـانزمات الضبط الاجتماعى فى النسق والجدير بالذكر ان عنـاصر النسق الاجتمـاعى المستجيبة استجابات مختلفة لعملية التغير فى النسق الاجتماعى ، وهذه الاستجابة ذات مستويات مختلفة من حيث اسهامها الوظيفى فقد تكون معوقة التغير ومثيرة للتوترات بشكل متطرف وقد تكون متوسطة فى أدائها الوظيفى بالنسبة للتوترات . وهنا تبدأ عملية الاستجابة التلاؤمية الى أن تصل الى مستوى الأداء الوظيفى والتكامل مع بقية العناصر فى النسق ومع النسق العام ولالقاء مزيد من الضوء على حدود الاسهام الوظيفى للعناصر فى عملية التغير تلك نتناول بالتحليل مستويات الدلالة للعلاقات القائمة بين العناصر الفرعية والبعد العام للتغير الاجتماعى وذلك بتحديد الابعاد التفسيرية التالية :

١ — انتماء ابعاد التغير الدنيا للبعد العام للتغير الاجتماعى .

٢ — القصور البنائى والوظيفى لعناصر التوتر الدافعة للتغير الاجتمـــاعى .

٣ — العناصر المتكاملة فى أدائها الوظيفى مع البعد العام للتغير فى النسق الاجتماعى .

٤ — ميكانزمات الاستجابة التلاؤمية وعلاقتها بالتوازن الدينامى فى النسق الاجتماعى .

١ — انتماء ابعاد التغير الدنيا للبعد العام للتغير الاجتماعى :

لا شك أن دلالة الانتماء القائمة بين الابعاد الدنيا والبعد العام

تكشف عن مدى استجابة العنصر لنسق التغير الاجتماعى ، وما اذا كان هذا العنصر لم يصل بعد الى مستوى التغير الملائم لاتجاه التغير العام ودرجته أم أن العنصر ما زال فى حالة قصور وظيفى يرتبط باثارة التوتر الذى يقلل من حالة التكامل التام فى النسق والتى يصحبها بالضرورة عمليات استجابة تلاؤمية من العناصر الأخرى لهذه العناصر وللنسق الاجتماعى الكبير •

والمصفوفة التالية توضح هذا الانتماء على مستوى مدينتى السلط والزرقاء :

الارتباط بالبعد العام / العناصر	الزرقاء	السلط
الجوانب الاجتماعية المتغيرة :		
النسق الاقتصادى	١٣ر٤٩	٤٠ر٠
تغير النسق الاسرى	٨٤ر٦٠	١١٢ر٤
انماط الاستهلاك	٨ر٧٠	١٩ر٦
التغير المهنى للابناء	٣٠ر٥٠	٢١ر٦
الحراك المهنى للاجيال	٤٩ر١٠	١٢ر٠
العلاقة مع الجيران	٨ر٦٠	٣٢ر٤
بناء السلطة	٧٢ر٩٠	٩٠٠ر٠
الجوانب الثقافية :		
الظروف السكنية	٩٣ر٢٠	٣٨ر٠
ظروف التنشئة	٢٨ر٦٠	٣٠ر٤
الادوات الحديثة	١٦٣ر٦٠	١٢٨ر٨
التثقيف الخرافى	١٢٩ر٢٠	١٢٦ر٠
الجوانب الشخصية :		
التفكير الخرافى	٧١ر٧٠	٦٨ر٤
الطموح للسلطة	٣٩ر٥٠	٥٦ر٨
أساليب التربية	١٢ر٧٠	صفر
تنظيم النسل	٨٦ر٤٠	٧٠ر٤
الاتجاة نحو التعليم	١٤٦ر٩٠	١٠٨ر٠
اتجاه الابناء والارتباط	١٥٢ر٥٠	١١١ر٥
التغير فى ادراك القضايا	٨١ر٧٠	٩٥ر٢
مكانة المرأة	٧٨ر٧٥	٨٠ر٤

يتضح من المصفوفة ان هنا ثلاث مستويات من الانتماء بين ابعاد التغير الفرعية والبعد العام للتغير على مستوى النسق الاجتماعى لمدينتى السلط والزرقاء • يتمثل المستوى الأول من الانتمـاء ادنى العلاقات الوظيفية تكاملا وأكثرها اثارة للتوتر فالنسق الاجتماعى ويمثل هـذا المستوى بالنسق الاجتماعى لمدينة الزرقاء على المستوى الاجتماعى التغير فى انماط الاستهلاك والعلاقة مع الجيران [٦١] • أما المستوى الثانى من الانتماء على مستوى الجوانب الشخصية فيمثل التغير فى الاتجـاه نحو أساليب التربية [٦٢] • ثم تأخذ بقية العناصر فى انتمائها للبعـد العام للتغير المستوى الثالث [٦٣] وهو يعكس تكامل وظائف العناصر مع البعد العام للتغير واتساقها فى أدائها مع الأداء الوظيفى للبعد العام للتغير فى النسق الاجتماعى • وعلى مستوى مدينة السلط نجـد أن المستوى الأول يشير لغياب الدلالة بشكل واضح وهو متمثل فى انتماء التغير فى الاتجاه نحو أساليب التربية للبعد العام للتغير [٦٤] • اما المستوى الثانى فتمثله الظروف السكنية [٦٥] • ثم تتماثل بقيـة العناصر فى أدائها الوظيفى من حيث التكامل مع البعد العام للتغير • وبذلك نجد ان المسـتويات التى تسـهم فى اثارة التوتر بالنسق الاجتمـاعى رغم اختلاف درجة اسهامها الوظيفى الا انها تلعب دورا أساسيا وفعالا فى انتقاض حالة التكامل التام وبالتالى تخلق الظروف المهيئة لدعم الفاعلية الاجتماعية التى تعبر عن حالات التفاعل بين عناصر المقاومة وعناصر الاستجابة وما يستتبع ذلك من ميكانزمات الاستجابة المتلائمة التى تدعم عملية التوازن الدينامى فى النسق الاجتماعى •

---

(٦١) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ٢٠ر

(٦٢) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى أ٠ر

(٦٣) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠٠ر

(٦٤) قيمة كا٢ = غير دالة .

(٦٥) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠ر

٢ ـ القصور البنائى والوظيفى لعناصر التوتر الدافعة للتغير الاجتماعى:

لا شك ان حالة التفاوت البنائية بين عناصر النسق ترتبط بالاعاقة البنائية للعناصر من ناحية وبالقصور الوظيفى (الاعاقة الوظيفية) من ناحية أخرى اذ ان العناصر البنائية للنسق عندما تتفاوت فى علاقتها ببعضها تفقد حالة الرشاد لغياب المجاراة بينها والتى يترتب عليها قصور كل منها وظيفيا فى دعم عملية التكامل فى النسق وبذلك تأخذ هـذه العناصر البنائية فى التفاعل مع بعضها استجابة أو رفضا الى ان تتم حالة التلاؤم والمجاراة التى تشير لحالة الرشاد وما يرتبط بهـا من بلوغ النسق لاهدافه وفى هذه العملية تسير عملية التغير فى مسارها التلقائى على أساس التوازن الدينامى : وقد تبين من المصفوفة ان عناصر هذه الفاعلية موزعة بين فئتين ، فئة مثيرة للتواترات وفئة مستجيبة ومتلائمـة مع عناصر النسق المتغيرة وابعاد التغير العام •

٣ ـ العناصر المتكاملة فى ادائها الوظيفى مع البعد العام للتغير فى النسق الاجتماعى :

ولما كانت حالات القصور الوظيفى لبعض العناصر ذات أهمية بالغة فى دعم الفاعلية الاجتماعية فان هذه الفاعلية لا تستكمل ابعادهـا على هذا المستوى فحسب لأن عوامل التوتر وحدها تؤدى لانهيار النسق ومن ثم يكون للعناصر المتكاملة ذات الأداء الوظيفى الايجابى لعوامل التغير فى النسق أداء وظيفيا لدعم هذه الفاعلية التى تشـير لحـالة التغـير التلقائى القائم على عملية التوازن الدينامى وتتمثل هذه العناصر على مستوى مدينة الزرقاء ، على المستوى الاقتصادى بجميع العنـاصر الثقافية (٦٦) • اذ ان لها اداء وظيفيا ايجابيا فى دعم التوازن الدينامى وقد يختلف مستوى هذا الأداء الوظيفى الا انها اقرب للتكامل فيـه

---

(٦٦) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠٠ر

لحالة القصور الوظيفى والتفاوت البنائى الذى يؤدى للتوتر والتصدع فى النسق الاجتماعى ، اما على مستوى الجوانب الاجتماعية فالعناصر المختلفة تسهم بفاعلية التكامل [٦٧] • فيما عدا انماط الاستهلاك والعلاقة مع الجيران • وبالنسبة لعناصر الشخصية يسهم فيها بفاعلية التكامل فيما عدا عنصر تغير الاتجاه نحو أساليب التربية •

وعلى مستوى مدينة السلط تسهم الجوانب الثقافية بفاعلية التكامل فى دعم الفاعلية الاجتماعية فيما عدا عنصر الظروف السكنية وهو عنصر مادى من الثقافة • أما الجوانب الاجتماعية فتستجيب لعملية التغير بشكل واضح ، ونفس الحال بالنسبة للجوانب الشخصية فيما عدا تغير اساليب التربية التى تكون على علاقة غير دالة وظيفيا بالنسبة للتغير العام فى النسق الاجتماعى [٦٨] •

٤ ــ ميكانزمات الاستجابة التلاؤمية وعلاقتها بالتوازن الدينامى فى النسق الاجتماعى :

من ثم يتضح لنا ان وجهى الفاعلية الاجتماعية عوامل التوتر وعوامل التكامل اذ ان كليهما يسهم وظيفيا فى دعم جانب خاص يؤدى لحالة الاستقطاب فيما بينها بحيث يتكشف للنسق ابعاد العناصر البنائية وادائها الوظيفى المثير للتوتر وعوامل التكامل بين العناصر البنائية ووظيفتها والتى تدعم بنفى عوامل التفاوت البنائى والوظيفى رفع حالة النسق الى صورة أخرى ومستوى آخر متوازن ومتكامل وعندما تأخذ عوامل الاختلاف والتفاوت البنائى والوظيفى فى الظهور تبدأ عملية جديدة أخرى بين الجانبين وهكذا يستمر النسق فى تغيره التلقائى القائم على التوازن الدينامى لتحقيق عوائقه وبلوغ أهدافه •

ومن ثم نجد ان تحليل العلاقات بين عناصر النسق المختلفة على

---

(٦٧) قيمة كا٢ = دالة عند مستوى ١٠٠ر

(٦٨) قيمة كا٢ = غير دالة .

المستوى الثقافى والاجتماعى والشخصى قد مكنا من مناقشة القضايا المنهجية المطروحة للدراسة والتعرف على صلاحيتها فى تحليل عملية التغير الاجتماعى بشكل واضح • وذلك ما سوف تكشف عنه فى مجال مناقشتنا لهذه القضايا فى ضوء التحليل الاجتماعى للتغير فى خاتمة البحث •

* * *

خامسا ـ المعطيات المعرفية للتحليل الوظيفى للتغير فى النسق الاجتماعى:

ساهمت المعالجة النظرية والمنهجية للتغير وموقف النظرية الوظيفية من قضاياه ، والمفاهيم المرتبطة به على المستوى النظرى والاجرائى • وبمناقشة المراحل المختلفة للنظرية الوظيفية ، وما آثاره الراود الوظيفيون من قضايا نظرية ومنهجية ، ساهمت فى تشكيل وصياغة النسق الوظيفى ، والذى نستند اليه فى تحليلنا لظاهرة التغير فى النسق الاجتماعى وصياغة القضايا والفروض فى ضوء المناقشة النظرية لقضية التغير فى النسق الاجتماعى ، وكيفية مراجعة الفروض والمفاهيم من واقع الدراسة والتحليل الوظيفى لمعطياتها • وذلك ما تحقق فى ضوء التفسيرات المقارنة بين معطيات الدراسة الميدانية وفروضها وبينها وبين القضايا التى آثارها الرواد الوظيفيون حول ظاهرة التغير الاجتماعى فى النسق •

وفى ضوء تلك المستويات المختلفة لتحليل ظاهرة التغير الاجتماعى من المنظور الوظيفى نعرض بايجاز لمعطيات التحليل الوظيفى للتغير فى النسق الاجتماعى فيما يلى :

ـ نتائج المعالجة النظرية والمنهجية للتغير الاجتماعى فى ضوء النظرية الوظيفية •

ـ اتساق فروض الدراسة مع قضايا المنظور الوظيفى فى فهم ظاهرة التغير الاجتماعى •

ـ المعطيات المعـرفية المتعلقة بالفروض الوظيفيـة والتعميمات الامبريقية حول التغير •

١ ـ نتائج المعالجة النظرية والمنهجية للتغير الاجتماعى فى ضوء النظرية الوظيفيـة :

وضح من المعالجة النظرية والمنهجية لظاهرة التغير الاجتماعى فى الانســاق المتغيرة ان الاتجاهات المختلفـة لمعالجة التغير فى التراث السسيولوجى لها رؤية خاصة ومنهج خاص فى معالجة التغير الاجتماعى فالتحليل الوظيفى يتخذ موقفا محافظا من النظام القائم ولذلك يؤكد على التغيرات التدريجية للكيانات الاجتماعية عن طريق ميكانزمات الاستجابة التلاؤمية وآليات الضبط الاجتماعى عندما يتعرض النسق الاجتماعى للتوترات والمعـاناة من حالات القصـور الوظيفى لبعض الانسـاق الأساسية والفرعية وذلك لأن التكامل قائم وان كان غير تام ، الا ان الاستجابات التلاؤمية تدعم هـذا التكامل ومن ثم يظل النسق الاجتماعى فى حالة تغير ولكن على أساس التوازن الدينامى • أما الاتجاه الجدلى فى المـادية التاريخية فيتضمن نموذج الصراع فى المجتمع حيث لا توجد عملية وفاعلية بدون صراع على نحو ما أكد ماركس(٦٩) • ومن ثم نجد ان الاتجاه الجدلى ليهتم بفهم العـالم على انه عمليـات معقدة تؤدى بالبناءات للتغير المستمر وتعتبر التناقضات القائمة فى البنـاء الاجتماعى أساس عمليات التغير(٧٠) • واذا كان هـذا هو الموقف الماركسى من التغيرات الاجتماعية فان المدخل الوظيفى يؤكد على نمطين من المتغيرات أولهما هو البناء والعناصر التى يتضمنها • والوظيفة التى ينظر لها على أنها الترابط القائم بين العناصر البنائية ومن ثم تنظر للتغير الاجتماعى على انه التغير المحتمل للنسق القائم على أساس الاستجابات التلاؤمية

---

(٦٩) Cole , Robert : Strural Functional Theory The Dialectic and Social Change op. cit p. 39.

(٧٠) Cornfarth Mavitee : Meriolim and the Dialectical Method ed. N. Y. International Puglishers , 1960 p .91.

بين عناصره وان كنا قد استندنا الى النسق الوظيفى فى معالجة التغير فلأنه يتسق مع واقع المجتمع الأردنى كما أنه يمكنا من فهـم التفاعلات القائمة بين عناصر النسق الاجتماعى الأردنى وبين انساقه الفرعية • وقد ساعدنا النسق الوظيفى على ايضاح الرؤيا بابعاد الواقع فى المجتمع الأردنى كما أنه مكننا من مواصلة البحث فى ضوء القضايا والفـروض التى اشتقت من القضايا النظرية وذلك ما لم يكن مستطاعا لو اسـتعنا بالنسق الجدلى فى عملية تحليل التغير فى المجتمع الأردنى • كما ان النسق الوظيفى يتسع فى فهمه لعملية التغير ليستوعب الرؤية الخاصة بالصراع فى الانساق ولكن على أساس أنه حادثة زمنية مؤقتة تسـاعد على دفع عملية التغير وينشط ميكانزمات الاستجابات التلاؤمية بين عناصر النسق بما يجعلها تستوعب عوامل التوتر والصراع تلك باحداث تغيرات جزئية وتدريجية •

كما ان النسق الوظيفى يتسق مع مدخلنا المنهجى لدراسة التغير من حيث التأليف بين العناصر البنائيـة والدينامية للظاهرة وذلك بتحليل العناصر البنائيـة ثم تناول التفاعل القائم بين هـذه العناصر وأدائها الوظيفى المتبادل فيما بينهما من ناحية أخرى • وفى ضوء ذلك ساعدنا التحليل الوظيفى على تكشف أبعاد القصور الوظيفى والأداء للعناصر وما تسهم به الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة فى عملية التغير والمدى الذى تكون فيه العناصر البنائية ذات أداء سوى أو غير سوى وحدود التفاوت البنائى بين العناصر المتضمنة فى النسق وهـذه هى مجموعة المفاهيم المتعلقة بعماية التفاعل فى النسق الاجتماعى فى ضوء النظرية الوظيفية(٧١) • وبذلك ساعدنا النسق الوظيفى على تحقيق اللياقة المنهجية بين موضوع البحث والاجراءات المنهجية وأدوات جمع المعطيات حولها •

وبذلك لم يكن اختيارنا للنسق الوظيفى فى معالجة التغير صادرا

---

(٧١) ورد تعريف هذه المفاهيم ومؤشرات تغيرها واسهامها الوظيفى فى عملية التغير بالفصل الخامس من البحث .

عن اية التزامات أيديولوجية بقدر ما هو قائم على أساس الرؤيا العلمية وتكامل النظرة لفهم الواقع والانساق من طبيعة الواقع الاجتماعى فى المجتمع الأردنى •

ومن ثم كان حوارنا حـــول المفهومات المرتبطة بمفهوم التغير الاجتماعى وتعريفاتها متحررا من أية التزامات أيديولوجية وذلك للوصول الى تعريفات دقيقة وصادقة وشاملة لقضيـــة التغير ثم جاءت معالجتنا للمسار التاريخى والأيديولوجى للتغير بغرض التعرف على تطور المفهم والمنهجى للتغير وطبيعة الخلط بينه وبين الأيديولوجيات وحدود هـــذا التغير وذلك تمهيدا لتعين المداخل المختلفة لدراســـة التغير فى ضوء النظرية الوظيفية حيث تكشف لنا أهمية المدخل البنائى من ناحية والمدخل الوظيفى من ناحية أخرى • وضرورة الربط بين المدخلين فى فهم ظاهرة التغير الاجتماعى فى النسق لتحقيق الرؤيا الكاملة بابعاد الظاهرة وتفاعلاتها وذلك ما ساعدنا على تحديد القضايا النظرية التى تستند اليها النظرية الوظيفية فى معالجة التغير الاجتماعى • ومن ثم كان اشتقاق القضايا المنهجية أمرا ميسورا بعـــد تعيين القضايا النظرية للنسق الوظيفى •

٢ ــ اتساق الفروض المطروحة مع قضايا المنظور الوظيفى للتغير الاجتماعـــى :

(أ) اتساق القضايا النظرية والمنهجية للمنظور الوظيفى فى فهم التغير :

ونحن فى تحليلنا للقضايا النظرية واشتقاق القضايا المنهجية منها • كنا على درجة من الاتســـاق مكنتنا من تحقيق النظرة الكليـــة للنسق الاجتماعى من ناحية والتأكيد على العوامل المتعددة المتبادلة التأثير فى عملية التغير والتعرف على حدود التكامل القائم فى النسق والمصادر التى لم تجعله غير قائم • والوظيفة التى يحققها هـــذا المستوى من التكامل سواء أكان على المستوى الثقافى أو المعيارى أو الوظيفى أو الشخصى •

ولذلك جاءت القضية المنهجية الأولى والثانية والثالثة متسقة مع القضايا النظرية الأولى والثانية والثالثة[٧٢] ٠

ــ أما عن التوترات والانحرافات والقصور الوظيفى التى يمكن أن تقوم داخل النسق والتى تحل بنفسها وصولا للتكامل والتوازن نتيجة العمليات التلاؤمية المتمثلة فى تلاؤم النسق وتكيفه مع التغيرات الخارجية والنمو الناتج عن الاختلاف الوظيفى والثقافى ، والتجديد والابداع من جانب أفراد المجتمع وجماعاته ٠ وهى الأفكار الأساسية التى تقوم عليها المصادرات الوظيفية الرابعة والخامســة والسادسة فذلك يتسق مع القضايا المنهجية الخامسة والسادسة والثامنة والتاسعة ٠ هــذا فضلا عن مجموعة القضايا المنهجية الفرعية التى استهدفنا بها خدمة التحليل للقضــايا المنهجية الأساسية لتعميق الفهم المنهجى بابعادها وايضاح طبيعتها والعلاقات التى تؤكد عليها ومن ثم كانت مناقشتنا لتبادل التأثير بين العناصر من حيث القصور الوظيفى حيث تبين لنا ان قصور الأداء الوظيفى يقتصر حيال عنصر يؤثر على أدائه الوظيفى حياله وحيال الانساق الفرعية الأخرى والنسق الاجتماعى العام هــذا فضلا عما تكشــف لنــا من أن التغير فى وظيفــة العنصر البنائى لا يقتضى التغير فى هــذا العنصر ٠ وذلك يتسق فى منطقة مع الفهم الوظيفى للتغير التدريجى دون احداث تغيرات نوعية فى النسق ٠

ــ هــذا بالاضافة لاتساق القضية الخاصــة بتحليل العلاقات باعتبارها أساسا تفسيريا يوصلنا لتعميمات ثابتة وصادقة وشاملة حول ظاهرة التغير مع طبيعة العلاقات القائمة بين العناصر البنائية التى تؤكــد عليها المصادرات النظرية ٠

أما عن الاتساق القائم بين القضيــة المنهجيــة الثانية عشرة مــع المصادرات النظرية للنسق الوظيفى يتمثل فى تأكيد المدخل الوظيفى على متغيرى البناء والوظيفة حيث تكتل الرؤيا بابعاد ظاهرة التغير ٠

---

(٧٢) الفصل الخامس من البحث ٠

وبالنسبة للاتساق القائم بين القضـية المنهجية الثالثة عشر الخاصة بالتأليف بين البعد الواحد والأبعاد المتعددة • فذلك يتسق فى منطقه ومنحاه المنهجى مع الفهم الوظيفى للتفاعل القائم بين العناصر المتعددة والتى تسهم فى عملية التغير • ومن ثم حددنا من العلاقات القائمة بين الأبعاد المتعـددة للظاهرة وعنـاصر النسـق المتغيرة للبعد العـام للتغير الاجتماعى •

ومن ثم كان لهذا الاتساق أهمية فى معالجة التغير الاجتماعى فى الأردن كمجتمع متحضر حيث تمكننا من تناول عناصر النسق الاجتماعى على المسـتوى الثقافى والاجتماعى والشخصى والتعرف على تفاعلها والتغيرات التى طرأت عليها فى المجتمع الأردنى بعامة والنسق الاجتماعى لمدينى السلط والزرقاء بخاصة •

(ب) اتساق فروض الدراسة فى فهم ظاهرة التغير فى النسق الاجتماعى :

اعتمدنا فى استخلاص فروض الدراسة على التراث الفكرى حول موضوع التغير الاجتماعى بصورة عامة والتحليلات السسيولوجية للمجتمع الحضرى وخصائصه بصورة خاصة •

وذلك لكى تأتى فروضنا متسقة مع طبيعة الموضوع والاطار التصورى الذى نستند اليه فى معالجة ظاهرة التغير فى المجتمع الاردنى المتحضر • ومن ثم جاءت فروض الدراسة متكاملة مع بعضها بنائيا • فى تناول ابعـاد ظاهرة التغير الاجتماعى ومظاهرها فى المجتمع الحضرى ، ومتساندة وظيفيا • لتشكيل اطار عام يوجه دراستنا لظاهرة التغير فى المجتمـع الأردنى • هـذا فضلا عن اتساق هـذه الفروض فى مرماها ومغزاها مع القضايا المتعلقة بالتغير فى النظرية الوظيفية •

وبذلك تحقق الاتساق على ثلاثة مستويات : تمثل على المستوى الأول فى الاتساق القائم فيما بين الفروض وبعضها ، وتمثل المستوى

الثانى فى الاتساق القائم بين فروض الدراسة وقضايا النظرية الوظيفية المتعلقة بالتغير • أما المستوى الثالث من الاتساق فقد تمثل فى الاتساق القائم فيما بين الفروض وموضوع الدراسة لشمولها لكافة جوانب ظاهرة التغير فى ظروف المجتمع الحضرى •

٣ ـ المعطيات المعرفية المتعلقة بالفروض الوظيفية والتعميمات الامبيريقية حول التغير :

من هـذه الدراسة المتكاملة بجانبيها النظرى والمنهجى فى عملية التفسير ، يمكننا استخلاص بعض التعميمات والفروض حول دراسة التغير الاجتماعى فى مجتمع حضرى ، والتى يمكن أن تكون مقدمات نظرية لدراسات أخرى تستهدف اختبارها والتعرف على لياقتها النظرية والمنهجية لفهم الواقع وتفسير تفاعلاته وعمليات تغيره •

هـذا فضلا عما كشفت عنه دراسـتنا لظاهرة التغير فى المجتمع الأردنى المتحضر من نتائج يرتبط بعضها بطبيعة المتغيرات التى يمر بها المجتمع فى ظروف عملية التنمية التى تستهدف النهوض بكافة قطاعاته واستحداث التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية القادرة على تحقيـق عملية التنمية ، ويرتبط بعضها الآخر بالمعوقات التى تواجه عملية التغير فى المجتمع الأردنى نتيجة لبقايا الطابع التقليدى على المستوى الثقافى • وبذلك تكون استنتاجات الدراسية ذات أبعاد ثلاثة رئيسية يتمثل أولهـا فى الاستنتاجات المتعلقـة بالجانب النظـرى المرتبط بالتغير ، وتمثل استنتاجات التغير الثانى فى الاستنتاجات المنهجية المتعلقة بدراسة ظاهرة التغـير كظاهرة اجتماعيـة • ثم تمثلت استنتاجات التغير الثالث فى الاستنتاجات المتعلقة بملامح ظاهرة التغير فى المجتمع الأردنى المتحضر ومشاكلها التى تضمنتها فروض الدراسة •

وفى اطار هذه الأبعاد الثلاثة نعرض لنتائج الدراسة التالية :

ـ يتمثل الاستنتاج الأول فى أهميـة التصـور المتكامل للتغير

الاجتماعى كظاهرة اجتماعيـــة تترابط جوانبها الثقافية والاجتماعيـة والشخصية ببعضها وتتبادل التأثير فيما بينها وبين عناصرها •

ـ ان عناصر النسق بجوانبه الثقافية والاجتماعية والشخصية متفاعلان بكاملها فى عملية التغير الاجتماعى وبذلك يقاس تعدد العوامل بتعدد عناصر النسق ولذلك يمكن تحديد هــذه العوامل فى ضوء العناصر المتعددة التى تعانى من القصـــور الوظيفى حيال العناصر الأخرى والنسق الاجتماعى العام •

ـ ان الأداء الوظيفى المعوق يتكامل مع العناصر البنائية المعوق فى عملية التغير الاجتماعى داخل النسق وذلك لأن التفاعل البنائى عامل فعال فى عملية التغير شأنه فى ذلك شأن القصور الوظيفى ويرجع ذلك الى أن التفاوت البنائى بين الوســائل والأهداف مثلا يرتبط بالاعاقة الوظيفية للعناصر البنائية تلك فى دعم التكامل •

ـ ان الاستجابة التلاؤمية مع وجود حالة التكامل غير التام تتكامل مع بعضها فى دعم عملية التغير التدريجى •

ـ ان القصور الوظيفى لعنصر يؤثر على الأداء الوظيفى للعناصر الأخرى المتفاعلة معه والأداء الوظيفى للنسق الاجتماعى العام المتضمن لهذه العناصر •

ـ وان التغير فى وظيفة عنصر من العناصر لا يقتضى بالضرورة حدوث تغيرات بنائية لهذا العنصر • وذلك لأن ترشيد العناصر البنائية فى المجتمع الأردنى يغير من أدائها الوظيفى دون أن يتغير العنصر نفسه •

ـ أن المصادر الخارجية للتغير (الثقافى والشخصى) قد تولد توترات داخلية فى النسق بمعنى انها قد تدعم مصادر التغير الداخلية والتى تتكامل معها فى دفع عملية التغير نتيجة للاستجابات التلاؤمية التى تواجه بها من النسق والعناصر التى يتضمنها •

ــ ان تحليل العلاقات أساس لعملية التفسير للتفاعل الاجتماعى بين عناصر النسق المتغير •

ــ ان التأليف بين الجانب البنائى والجانب الدينامى يتسق فى منطقــة مع الفهم السسيولوجى للظاهرة الاجتماعية والمدخل الوظيفى لدراستها والتى تنظر للنسق نظرة كلية باعتباره متضمنا لعناصر بنائية لها أداء وظيفى متساند •

ــ ان التأليف بين البعد الواحد للتغير والأبعاد المتعددة قائم على أساس التجريد من العلاقات القائمة بين الأبعاد المتغيرة فى النسق ولذلك لا ينطوى هذا التأليف على أية تناقضات بقدر ما يمكننا من تحليــل العلاقة بين ظاهرة التغير والظواهر الاجتماعية الأخرى المتفاعلة معــه مثل التوازن والصراع •

ــ كما تبين من معطيات الدراســة ان عناصر التوترات فى النســق الاجتماعى لمدينتى السلط والزرقاء كثيرة الى حد ما وهى توترات داخلية بشكل واضح وذلك يرجع الى التفاوت بين مستويات تغير هذه العناصر •

ــ ان مصــادر التغير الخارجية الدافعة لحالات التوترات داخل النسق تتمثل فى المحل الأول فى التغيرات الحادثة من الجانب المــادى من الثقافة والتى تتغير بشكل سريع نتيجة للاحتكاك الثقافى بين الأردن والثقافات الخارجية •

ــ ان مصدر التغير المرتبط بالجوانب الشخصية يرجع للتفاوت الحادث بين التغيرات الثقافية والاجتماعية والشــخصية اذ ان التغير الثقافى السريع والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية السريعة لم تجد التمثل الكافى من الشخصية ومن ثم نجد بعض صور المقاومة فى تقبل عوامل التغير المستحدثة فى النسق الاجتماعى نتيجة لحالات التغيرات الداخلية بين القيم التقليدية والقيم المســتحدثة فى ظروف التغيرات الثقافية والاجتماعية التى تعرض لها المجتمع الأردنى •

— ان الطابع التقليدى تجاه نسق السلطة العائلية يؤثر الى حـــد كبير على المواقف الايجابية والسلبية فى مجال السلطة العامة فى التنظيمات الحديثة بالمجتمع الأردنى المتحضر .

— انه رغم التغيرات التى طرأت على وظيفة الأسرة الا ان بناء الأسرة الأردنى لم يتعرض للتغير بنفس القدر الذى طرأ على وظائفها وذلك يتسق مع منطق القضية المنهجية الخاصة بعدم ارتباط تغير بناء العنصر (النسق الفرعى) بتغير وظائفه .

— ان التغير السريع بالمجتمع الأردنى أدى الى ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

— ان المعوقات التى واجهت خطط التنمية فى المجتمع الأردنى ترتبط ببقايا الطابع التقليدى على المستوى الاجتماعى والثقافى وما يرتبط بها من القيم المحافظة مثل القدرة والاتكالية .

— ان نمط الانتاج ليس بالعامل الحاسم وحده فى عملية تغير المجتمع الحضرى بمنطقتى السلط والزرقاء .

— ان مراحل التنمية المبكرة فى المجتمع الأردنى صاحبها العديد من المشكلات التى لم يتوفر لها الامكانيات الاقتصادية المناسبة لحلها .

— ان التغيرات بالمجتمع الأردنى تتسم الآن على قاعدة واسعة تمتد لتشغل الحياة الثقافية والاجتماعية والشخصية الأردنية وذلك لأنها جوانب متفاعلة مع بعضها ويؤثر كل منها على الأخرى بالسلب والايجاب .

— ان دائرة التطلعات الاجتماعية والاقتصادية تزداد اتساعا بالقدر الذى يخلق التفاوت بينها وبين الفرص المتاحة لتحقيقها والقدرات المتوفرة لدى الأفراد . وذلك نتيجة ازدياد مطالب الحياة فى المناطق الحضرية .

ـ انه رغم الطابع الحضارى الواضح بمدينتى السلط والزرقاء الا أن الأشخاص والجماعات مازالت تشــعر بانتماء قوى لمجتمعاتهم المحلية سواء كانت عائلاتهم أو المجتمعات البدوية والريفية التى تشكل الأساس المرجعى لهم ٠

وفى ضوء تلك النتائج النظرية والمنهجية والمتعلقة بملامح ظاهرة التغير الاجتماعى فى المجتمع الأردنى المتحضر والتعميمات المستخلصـــة من اختبار فروض الدراسة ٠٠ فى ضوء ما تقدم يمكن أن تســـهم هـــذه الدراسة فى فهم ظاهرة التغير الاجتماعى بالمجتمع الأردنى ، وفهم مصادره واتجاهاته والمعضلات والمعوقات التى تواجه عملية التغير ٠

* * *

(أ) المراجع العربية

١ — أبو زيد (د . أحمد) البناء الاجتماعى .
مدخل لدراسة المجتمع ، الجزء الأول ، المفهومات .
القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، عام ١٩٦٥ .

٢ — أبو زيد (د . أحمد) البناء الاجتماعى .
مدخل لدراسة المجتمع ، الجزء الثانى ، الانسان .
القاهرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، عام ١٩٦٦ .

٣ — الخشاب (د . أحمد) دراسات أنثروبولوجية .
القاهرة ، دار المعارف ، عام ١٩٧٠ .

٤ — الخشاب (د . أحمد) التغير الاجتماعى .
القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، عام ١٩٧١ .

٥ — الخشاب (د . أحمد) الارشاد الاجتماعى .
القاهرة ، مكتبة الوعى العربى ، السنة (بدون) .

٦ — الخشاب (د . أحمد) التفكير الاجتماعى .
القاهرة ، دار المعارف بمصر ، عام ١٩٧٠ .

٧ — الخشاب (د . أحمد) العلاقات الاجتماعية .
اقاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الاولى ، عام ١٩٥٧ .

٨ — الخشاب (د . مصطفى) علم الاجتماع ومدارسه .
الكتاب الثانى ، القاهرة ، دار البيان المصرى ، عام ١٩٦٥ .

٩ — الخشاب (د . مصطفى) دراسات فى علم الاجتماع العائلى .
القاهرة ، دار البيان العربى ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٥٧ .

١٠ — الخشاب (د . مصطفى) دعائم علم الاجتماع وحقائقه .
القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، الطبعة الثانية ، عام ١٩٦٥ .

١١ — الخشاب (د . مصطفى) تاريخ التفكير وتطوره .
القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٥٤ .

١٢ ـ الخشاب (د . مصطفى) أوجست كونت .
القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، الطبعة الثانية ، عام ١٩٥٦ .

١٣ ـ الخشاب (د . مصطفى) علم الاجتماع ومدارسه .
الكتاب الأول ، تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره .
القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٥٤ .

١٤ ـ الخشاب (د . مصطفى) علم الاجتماع . المدارس الاجتماعية المعاصرة
القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الكتاب الثالث ، عام ١٩٦٦ .

١٥ ـ الخشاب (د . مصطفى) الاجتماع الحضرى .
القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، عام ١٩٧٦ .

١٦ ـ اريك جون وسكوك فورد : التغير الاجتماعى .
ترجمة وحيد خيرى على ، وزارة الشئون الاجتماعية الادارة العامة للتدريب ، عام ١٩٦٩ .

١٧ ـ البراوى (د . راشد) اقتصاديات العالم المعاصر .
القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، السنة (بدون) .

١٨ ـ بدوى (د . السيد محمد) التطور فى الحياة والمجتمع .
الاسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، عام ١٩٦٦ .

١٩ ـ بريل (ليفى) فلسفة أوجست كونت ، ترجمة د . محمد قاسم ، السيد بدوى .
القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، عام ١٩٥٢ .

٢٠ ـ تيماشيف (نيقولا) نظرية علم الاجتماع ، ترجمة د . محمود عوده وآخرون . القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الاولى ، عام ١٩٧٠ .

٢١ ـ حسن (د . عبد الباسط محمد) أصول البحث الاجتماعى .
القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٦٣ .

٢٢ ــ حسن (د . عبد الباسط محمد) النتيجة الاجتماعية .
القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، عام ١٩٧٠ .

٢٣ ــ خيرى (د . محمد اسماعيل) الانثروبولوجيا الاجتماعية .
الاسكندرية ، دار المعارف ، عام ١٩٧١ .

٢٤ ــ دجانى (د . برهان) محاضرات فى النتيجة الاقتصادية فى الاردن .
معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ،
عام ١٩٥٧ .

٢٥ ــ سعفان(د.حسن شحاته)تاريخ الفكر الاجتماعى والدراسة الاجتماعية .
القاهرة ، مطبعة دار التأليف ، عام ١٩٥٧ .

٢٦ ــ سعفان (د . حسن شحاته) أسس علم الاجتماع .
دار النهضة العربية الخامسة ، عام ١٩٦٠ ، ١٩٦١ .

٢٧ ــ شتا (د . السيد على) الاغتراب الاجتماعى فى ضوء نظرية التكامل المنهجى .
رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، عام ١٩٧٤ .

٢٨ ــ شافعى (د . محمد) النتيجة الاقتصادية .
القاهرة ، النهضة العربية ، الكتاب الأول ، السنة (بدون) .

٢٩ ــ عبد الجبار (تيسير) خصائص الاقتصاد الارادى .
مجلة أعمال الاقتصادية،عام ١٩٧١،العدد الحادى والعشرون.

٣٠ ــ عويس (د . سيد) علم الاجتماع فى بلد اشتراكى .
الطليعة ، ديسمبر عام ١٩٧٠ ، عدد ١٢ .

٣١ ــ عزت (د . عبد العزيز) رأى فى طبيعة المجتمع البشرى .
القاهرة ، الطبعة الثالثة ، عام ١٩٦٢ .

٣٢ ــ عارف (د . محمد) نظرية التكامل المنهجى .
القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، عام ١٩٧٢ .

٣٣ ــ كامل (د . لويس وآخرون) البدو والبداوة .
سرس الليان ، عام ١٩٦٦ .

٣٤ ــ محمود (د . زكى نجيب) ارادة التغيير ، مجلة الفكر المعاصر .
العدد الخامس ، يونيو عام ١٩٦٥ .

ب ـ المراجع الاجنبيـــة :

1 — Ake, Claude : Modernization and Political Instability, World Politics 1974, Vol . 26 N . 4 .

2 — Alfion, Small , W, General Sociology, Chicago University of Chicago Press. 1967.

3 — Ander, Son W. Charles & Others, Issues of Political Development (2) Printed by Permission, New Jersey , 1967.

4 — Bernard, Barber , Alex Inkles; Stability And Social Change, Little, Brown Company Boston (NC) Copy right 1971.

5 — Biddle, Bruce, & Thomas, Edwing J, Role Theory Concepts and Research, New York, London, John Willy & Sons 1966.

6 — Bowernan, Charles&Glen,H Elder, Variations in A Doloscent Perception of Family Power, Structure, A. S. R. Vol, 29, Aug 1967.

7 — Blanksten , George : Modernization and Revoution in Latin America : See Developing Areas : Cambridge Sohenkman Publishing Company 1965.

8 — Becker, Howard, Modern Sociological Theory Toronto London, Halt, Rinart and Winston, 1966.

9 — Barnes, Harry, Elmer , An Introduction to the Hirtory of Sociology , The Universiy of Chisago 1970.

10 — Biesanz, John and others, Modern Society Printice Hall, New York 1954.

11 — Bagnell John Barry , The Idea of Progress In. John Eric Nordskog (ed) , Social Change New York Mcgraw Hill Book Co. In 1960.

12 — Bell, Narman, W. & Essa R, Voger, Modern Introduction to the Family , Routledge & Kegan Paul, London 1960.

13 — Brown, Radcliffe, Structure and Function in Primitive . Society , London Cohen & Wert Ltd. 1968.

14 — Brown, Radcliffe, The Comparative Method in Social Arthropology Journal of the Royal Anthropolgy J Institute 1962.

15 — Brown , Radcliffe : Introduction to Anthropology The Macmillan Company New , York , Third Edition, 1965.

16 — Bendix, Reinhard : Max Weber An Intellectual, N. Y Doubleday and Co . , Inc, 1960.

17 — Bottomore, T. B, Sociology , A Guide to Problems and Literature, New, York , 1964.

18 — Coole Ansly J, Population and Economic Development In Philip M. Hauser (ed) The Population Dilsnma , New Jersey . Prentic Hall, Inc 1963 .

19 — Coole : J . Ansly , Population and Economic Development In Philip M. Hauser (ed) The Population Dilenma, New Jersey , Prentic Hall Inc . 1963.

20 — Cohn Gerhard & Geiger Theodore, Public Planning and Private Decission , Maping in Economic and Social Development in Ward J. Richard, The Challing of Development, Theory and Practice.

21 — Clinard , Marshall, Anomie deviant Behavior Now, York, The Free Press, 1969.

22 — Cole Rofert, Structural - Functional Change, 1966.

23 — Cohen, R. S, Modern Social Theory, London Heineman , 1968 .

24 — Durkheim, E, The Division of Labour in Society trans, by Simpson, The Free Press of Glencoe, Colliers Macmillan Linited, London 1964.

25 — Devas, G, Values : Attitudes Towards Role Rehavior of Women in Two Japanes Village in N. A. Vol, 63, No.

26 — Demerath, N. J, System Change and Conflict New York, The New Press 1967.

27 — Dewy , Richard, The Rural Urban Countries American Journal of Sociology July 1966.

28 — Dessler , David , Sociology , The Study of Human Interaetion, California State Callege Long Beach U. S. A. 1969.

29 — Dov, Weintranb , Development of Change Towards a Generalized Conceptualization of its Basic Dimentions of Relation Among them, Dev, of Sociology, Hebrew uni, Jeruralem, 1970.

30 — Eirenstadt, S. N., Comparative Perspective on Social Change, Boston, Little Brown and Company 1968.

31 — Eirenstadt, S. N. Social Change Differentiation and Evolution, American Sociological Review Vol, 29 NO. 3 June 1970.

32 — Eirenstadt . S.N, Break Down of Modernization Economic Development and Cultural Change Vol XII No 4 July, 1971.

33 — Eirenstadt, S. N. Modernization Protest and Change, Engle Wood Cliffs , New Jersey Prentic, Hall, Inc, 1966.

34 — Eastion , David. The Equilibrium Modle, Social Research 1956.

35 — Friedrichs A, Sociology of Sociology, The Free Press, New. York 1970.

36 — Fairchild H. P : Dictionary of Sociology & Related Science Little Field , Adams & Co, New York 1959.

37 — Foster M. George, Traditional Cultures and the Impact of Technological Change, New York, Harper & Raw, Publishers, 1962.

38 — Finkle, Jason L, & Galele Richard, W : Political Development & Social Change N. Y. John Wiley & Sons, Inc. 1971.

39 — Foster, Philip, Education and Social Change in Gana, University of Chicago Press, Chicago , 1968.

40 — Gouldner, Alvin, The Coming Crisis of Western Sociology, London, New Delhi, Heineman, 1971.

41 — Gregor , A. James : Fassciam and Modernization World Politics : 1974. Vol XXVI.

42 — Geller, E. A. Determinism, A Dictionary of the Social Sciences.

43 — Giezerman , Griogary , The Laws of Social Development, Translated From Russian by Saifulim Foreigrn Language, Publishing Houre, Morcaw.

44 — Gillin, John Iewis & Gillin John Philips. An Introduction to Sociology, The Macmillan Company, Canada, 1942.

45 — Gould, Julius and Kolb Wiliam (eds) Dictionary of the Social Sciences United Nations Educational Scientific, and Cultural Organization, 1946.

46 — Gitter J, Review of Sociology (ed) , New York, John Wiley & Sam . Inc, 1957.

47 — Gusfield J, Issue on Tradition and Modernity, Conflict and Congruence Journal of Social Issues, XX I C, 6 Octofer 1968.

48 — Ginsberg, Mories, Essays in Sociology and Social Philosophy, Evolution and Progress Volume Three, Willian Heineman Ltd, London 1961.

49 — Hawlly , M. Amas, Human Ecology A Theory of Community, The Ronald Press Co., New York , 1950.

50 — Hunt, Elagin, Social Sciences, The Macmillan Company New York 1955.

51 — Hobhoure L. T., Social Development Its Nature Conditions, George Allen & Uniuin Ltd, London.

52 — Hauser Philip, The Population Dilemma , Prentic Hall Inc. New Jersey 1963.

53 — Hill, Reubin & Haurer A. Donald, The Identification of Conceptual Frame Works. Utilized in Family Study, Marriage and Family Iiving 22, Vo. 1960.

54 — Hetzler Stanley , Technalogical Growth and Social Change, London 1969.

55 — James and Feible, Man, The Institutions of Society, Jullone University Press, 1956.

56 — Kingsly Davis, Human Society, Macmillan Co., New York, 1950.

57 — Kingsly , Human Society, Socond Edition Macmillan Co. New York 1967.

58 — Koenig, Samuel , Sociology , An Introduction to the Science of Society Barnes and Noble , New York, 1964.

59 — Loomis, Charles p & Loomis Zonak. Modern Social Theories D. Van Nostrand Company Inc, New York, London, 1968.

60 — Lerner Daniel, The Passing of Traditional Society to Modernization Society New York , 1958.

61 — Lundberg, G. A. & Oth, Sociology , Harper and Row Pub. 3rd., New York 1963.

62 — Lary Nelson, and Others, Community Struclare the Macmillan Company New York 1960.

63 — Malinowski. B. A. Anthropology in Encyclopedia of Social Science.

64 — Malinowski, B, A, Scientific Theory of Gulbire and Others, Essays, A Glaxy Book, New York, Oxfard Press 1960.

65 — Malinowski, B, A, Majic Science and Religion , Meridian Book 1955.

66 — Malinowski , B, A, The Dynamic of Cultura Change, An Inquirey into Race Relation in Africa, Yale University Press, 1947.

67 — Martindale , Don , The Nature and Types of Sociological Theory Haughton Mifflm Company Borton, 1960.

68 — Martindale, Don, Social Life and Cultural Change, D. Van Nostrand Co., Inc., Prinston, New Jersey Canada 1962.

69 — Mayo, Elton , The Social Problems, Industrial Civilization, London, Reuthledge & Kegan Paul Ltd, 1957.

70 — Machlup, Fritz, Equilifruim and Disequilifruim From Demerath, New York.

71 — Macleish, John. The Theory of Social Change London, Routledge & Kegan Paul , 1969.

72 — Miclell, G, D, A Dictionary of Sociology Routledge & Kegan Paul, London 1968.

73 — Malville Herskouit, Economic Anthropology Alfred A. Knope , New York, 1952.

74 — Mannleim Karl, Man and Society in An Age of Reconstruction, Studies in Modern Social Studies tr, by Shells E. A. Routledge & Kegan Lt . London, 1940.

75 — Merton Robert , Theoretical Sociology Five Essays, old and New, Copyright, by the Free Press, 1967.

76 — Merton Robert, Social Theory Schenkman Publisbing Com- Free Press of Glencoe, New York 1962.

77 — Meadows Paul, The Many Faces of Change, Explaration in the Theory of Social Change Schenkman Puilisbing Company I. N. C. Cambridge Massacbusetts Copyright, 1971.

78 — Maciver, R. M, Social Caurition, Harper and Raw, New York , 1964.

79 — Maciver, R. M. & Pagech, Society An Introductory Analysis Macmillan and Co. Ltd, London 1964.

80 — Marshall, W. Principles of Economics An Introductory Volume, Eighth 2 d. Macmillan & Co. Ltd, London 1956.

81 — Moore, Wilbert E, Industrialization and Lobour Cornell Univerrity , Press, New York 1959.

82 — Moore, Wilbert E,Social Change, Printic Hall of India Private LTD, New Delbi 1965.

83 — Nordskog, John Eric, Social, Inc , Toronto, London, New York. 1960.

84 — Neal Arthur & Salemon Rettig, on The Multidmensionality of Alieration Am, Social , R, 1967.

85 — Noel, Girt and Sylvia Fava Urban Society Thomas Growell Company , New York, 1964.

86 — Ogburn, W & Nimkoff M. A, Hand Book of Sociology, Routledge and Regan Paul LTD Fourth Edition, London, 1960.

87 — Ogburn, W, F, Social Change With Respect by Culture and Original Natare The Viking Press, New York , 1956.

88 — Ogburn, W. F. & Nimkoff, Nayer E. Sociology Second Edition Houghton Mfflim Company , New York 1950.

89 — Ogburn & Nimhoff - Technology and Social Change, Opplication Century Craff. New York, 1951.

90 — Ogburn, W, Social Change in the Encyclopia of The Social Sciences, New York, Vol. 3 1963.

91 — Pappen bieme, F, The Alienation of Modern Man Monthly Review Press, 1960.

92 — Pierce, Albert, Durkbeim and Functionalisim in Kurt Wolf (ed) Durbleim 1858 , 1917, Colum Ohaio State University Press 1960.

93 — Powell, David E : The Social Costs of Modernization World Politics , 1971, Vol, 23. W. 4 .

94 — Payje, Sdanley : Political Ideology and Economic Modernization, World Politic 1975 Vol 27.

95 — Parrons , T , Social System , III, The Free Press, 1951.

96 — Parrons, T, Essays in Sociological Theory The Free Press New York, Colber, Macmillan, Limited , London, 1966.

97 — Parrons, T, Towards a General Theory of Acticn Cambridge Harvard Univerrity Press 1967.

98 — Parsons T, Paradigm Far The Analysis of Social Systems in Demerath N, and Peter Son R, (eds) System Change and Corflict New York 1967.

99 — Parsons , T, The Structure of Social Action Gloncoe I The Free Press 19.

100— Parrons, T, & Bales, R, Family Socialzation and Interaction Process Illinois , The Free Press 1955.

101— Rose, Arneld, Sociology The Study of Human Relations, Alfred Knopt , New York 1956.

102— Rogers Everett, M, Social Change in Rural Society Applenton, Century, Crafts , Inc. New York, 1960.

103— Ralph L. Beals, An Introduction to Anthropology, The Macmillan Company , New York , Third Edition, 1965.

104— Redfield R, The Folk Society, The American Journal of Sociology , 52, Vol , 11 No , 4 January 1947.

105— Stewart Charles, The Urban Rural Dictionary Concept and Uses, American Journal of Sociology, Vol LXV, Sep, 1958?.

106— Scheider Eugene, Inductional Sociology The Social Relation of Industry and The Community of Mac Graw Hill Book Company, Inc, New York 1958.

107— Sanders, Irwin ; Approach to Social Change in Bennies and orh, The Planning Change ed. Holt R. & Winston, New York , 1962.

108— Spencer , H, Principles of Sociology 3ed Reused, ed, 1855.

109— Smelser, N. T, Essays in Sociological Explanation Prentice Hall Inc. Englewood , New Jersay 1968.

110— Sorokin, P, Conremporery Socialogical Theories New York, 1928

111— Sorokin, P, Society . Culture , and Personality Coaper Square, Publishers Inc, N. Y. 1962.

112— Sorkin p, Social and cultural Dynamics, Vol. 3, Flacutions of Social Relationshipe War, & Revalution , American Book., Co., New York 1934 .

113— United Nations Documents E/2931, Twentieth Reporh of the Administrative comitte on coardination to the Economic and Social council, 1956, Annex .

114— Weintrauf . D, Traditions and change in Traditions, Paper Read at the conference of The Eurspean Society For Rural Socielogy , Muni ster 1970.
Sociology ,

115— Whitaker Jan, The Natare and value of Functionalism in Socialogy in Functionalism in Social Scien ed, By Don Martindale, Philodelphiai a February, 1965.

116— Walter, Wallace, Sociological Theory , London Heineman 1969.

117— Walker , Charles, R, Modern Technology and civilization on Introduction to Human Problems, The Machme age, ,an Introduction to Human Problems, The Mac graw Hill Book Co., Inc, New York 1960.

118— Wilensly Harold, Industrialism Society and Social change, in Simpron, Ritchard (ed) Social Organization and Behavior, John wiley and Sons New York 1964.

119— Whiaker Jan, The Nature of Functionalism in Sociology, Functionalism in science, ed, By Don Martindal , Philade-Iphia February 1956.

120— White lesli, The evaluation of Culture Mc Graw, Hill Book Company , Inc. 1959.

121— Weiner, Maryon, How Modernization Occurs, In M. Weiner (ed) Modernization The Dynamis of Growth, Basic Books New York. 1960.

122— Zeitlin. I. M, Ideology and The Development of Sociological Theory Prentice Hall of India, Private Limited, New, York 1969.

* * *

المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصــل السادس

المراجـــــع :

* * *



التغير الاجتماعي

التغير الاجتماعي من أهم الظواهر الاجتماعية. وهذا الكتاب يعالج بالدراسة المفاهيم الأساسية للتغير ويحدد المسار التاريخي والأيديولوجي له، ثم يعرض بالدراسة للنظرية الوظيفية لتحليل التغير وللتغير الاجتماعي بين النماذج التطورية للرواد الوظيفيين ويقدم نموذجا للتحليل الوظيفي للتغير في النسق الاجتماعي.